



حافظ محمود

القاهرة

مؤسسة دار الشعب

فرع الطاهرة

(١٩٧٥ م — ١٣٩٥ هـ)

مقدمة

ربما كان من عظمة الصحافة أن عتاة الذين حكموا العالم كانوا يحاولون أن يضعوها فى قفص الاتهام ، فإذا بهذا القفص يتحرك بقوة الدفع الصحفى حتى يأخذ مكانه فوق منصة القضاء . . . فالصحفيون الذين كانوا متهمين من جانب الطغاة العتاة ، يتحولون بقوة الدفع الصحفى إلى القضاة ، وهم القضاة الذين يأخذ التاريخ بالكثير من أحكامهم على أولئك الطغاة .

من واقع هذه الحقيقة كنت أدافع دائما عن النظرية الصحفية القائلة بأن الصحفيين هم « المخرجون » على مسرح السياسة ومسرح التاريخ ، لأن هناك صلة عضوية لا تنقطع بين تاريخ أية أمة وبين تاريخ صحافتها .

كنت أعرض هذه النظرية على طلبة الصحافة الذين أسميهم « زملاء المستقبل » فإذا بعضهم يلبس ثوب الادعاء ليتهم جيلى فى الصحافة بالتقصير عن تقديم المادة الكافية التى تؤكد النظرية . . . وأحسست أنه على حق ، فنحن حتى الآن لا نجد من المراجع الصحفية المصرية أو العربية التى كتبها صحفيون ممارسون إلا الشىء القليل وتحت تأثير هذا الإحساس بدأت أكتب أشياء عن الصحافة

والصحفيين فى بلادنا على مر الأجيال السابقة التى عاصرت بعضها بشخصى وعاصرت البعض الآخر بفكرى .

* * *

كنت متأثراً فيما كتبت بفكرة « الأرشيف » والأرشيف جهاز من أحدث الأجهزة التى يكتمل بها الفن الصحفى . . وكنت متأثرا بأن تاريخ الصحافة فى بلادنا هو صورة طبق الأصل من تاريخ نضالها . . ثم كنت متأثرا بأن مهنة الصحافة التى أنصفت الناس ، كل الناس ، كثيرا ما ظلمت نفسها ، لأنها لم تبذل من الجهد الفنى ما يكفى لأن تقدم نفسها للناس كجهاز من أجهزة الجهاد التاريخى .

إننى أحاول هذا التقديم فى هذا الكتاب . . أحاول أن أقدم للقارىء ، بصفة عامة ، والصحفيين الدارسين الجدد ، بصفة خاصة ، بعض تجارب الصحافة فى بلادنا . . أقول « بعض » لأن استكمال هذا « الأرشيف » يحتاج إلى جهود لايقدر عليها فرد ولا آحاد الأفراد ، بل يحتاج إلى مؤسسة متخصصة . .

ومع أننى أشعر بصغر حجم الجهد الذى أقدمه فى هذا الكتاب وما قد يتعرض له من نقد ذاتى أو موضوعى أعترف ، مقدما . أنه يستحقه — إلا أننى فى نفس الوقت أحسب أن هذا الكتاب يمكن أن يكون مفتاحا لأبواب كثيرة فسيحة فى تاريخ الصحافة .

* * *

لقد فتحت ، بمحاولاتى المتواضعة فى هذا الكتاب ثلاثة أبواب :

الباب الأول : « أسرار صحفية » : وفى هذا الباب بعض صور الالتحام بين الصحافة والناس وما فيها من أسرار بعض الشخصيات التى تمثل المجتمع الماضى لكيلا لا ننسى .

الباب الثانى « ألف باء الصحافة » : وفى هذا الباب موجز مبسط لما يدور فى دور الصحف من النواحى الفنية التى يحسن الوقوف عليها من جانب قراء الصحف والصحفيين الجدد .

الباب الثالث « المذاهب الصحفية فى مصر » : فى هذا الباب محاولة لدراسة تاريخ الصحافة على أسس فنية جديدة ، وإن كانت هذه الدراسة الشديدة الاختصار تعنى ، فى الدرجة الأولى ، دارسى الصحافة . إلا أنها فى نفس الوقت تعطى لكل قارىء شيئا من الضوء الذى يريح النظر عند إلقاء النظرة على تاريخ الصحافة فى بلادنا ، وتقدم له أسماء يدعو الوفاء إلى إزاحة ستار النسيان عن أصحابها .

* * *

إننى أقدم هذا الكتاب على استحياء بصغر هذه الأبواب وقلتها . ولتأثيرى فيها بأسلوبى الصحفى فقط .

لكنى أرجو أن يكون هذا الأسلوب من أساليب ما بعد ٦ أكتوبر « أساليب درء الاتهام الكاذب عن الماضى ونحن على الطريق إلى مستقبل أفضل فى كل شىء بإذن الله » .

يناير ١٩٧٥ حافظ محمود

بعض أسرار الصحافة



بعض اسرار الصحافة

* الغرفة السحرية فى كل دار صحفية ــ التى يتمنى كل قارىء أن يدخلها دون أن تتحقق له هذه الأمنية ــ هى غرفة الأرشيف . . . ففى هذه الغرفة تجتمع كل جميلات العالم وكل قادته وكل شواذ الناس وعباقرتهم ومشاهيرهم فى الخير ، والشر على هيئة صور وقصاصات أوراق و « أفيشات » تحمل الكثير من تاريخ حياة أولئك الناس .

* إن أية غرفة أرشيف فى أية دار صحفية هى مجموعة نادرة من المعارض التى تسكن فى أدراج منسقة منمرة بأرقام خاضعة لترتيب الحروف الأبجدية حتى يسهل على أمين هــذه الغرفة تلبية طلبات المحررين . وبعض المحررين الكبار يحتفظون فى بيوتهم بأرشيف خاص لكل منهم . . . مثل الأستاذ التابعى . وبعضهم — مثلى شخصيا — لا يعنون بشىء من هذا . . . إننى لا أحتفظ فى بيتى بقصاصة واحدة مع الأسف ، لأننى تعودت منذ نشأت أن أترك أية صحيفة أقرأها لغيرى أما الأرشيف الذى استعنت به فى كتابة مائة فصل من ذكرياتى التى نشرتها ، فهو أرشيف بشرى وضعه الله فى رأسى دون ان يكون لى أى فضل فى وجوده أو تنظيمه .

* وعلى كثرة ما كتبت فإن الأرشيف البشرى الذى لا فضل لى فيه لا يزال حاشدا بالكثير من الذكريات التى أحاول نشر بعضها فى

هذه الفصول وسأرتب هـذه المحاولة بترتيب الحروف الأبجدية .. تماما كما يعمل أمناء جميع الأرشيفات مع ملاحظة مبدئية لابد منها هى أننى أحصر محاولتى فى هـذا الأرشيف فيمن وفيما عرفت عن قريب من الناس ، أو من الأحداث التى لم أتناولها من قبل . أى أن هذا الأرشيف لن يكون أكثر من نموذج أرشيفى صغير جدا من آلاف النماذج التى تناولتها الأرشيفات الصحفية . . .

* * *

أرشيف :

* ليس شك أن أنسب بداية لحرف الألف هى البداية بكلمة — أرشيف — ذاتها أن الأرشيف فى الصحافة العربية بمعناه الحديث شىء حديث أيضا .. أن عمره لا يتجاوز الثلاثين عاما أو تزيد قليلا .. فقبل قيام الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٦ ظهرت فكرة الأرشيف الصحفى الحديث فى دوائر جريدة الأهرام . الطريف أن هذه الفكرة لم تظهر ، من الناحية العلمية ، فى أذهان الصحفيين . . . إنما كان صاحب الفكرة رجلا يشتغل بالتنظيم المكتبى فى دار الكتب . . . هذا الرجل هو أحمد لطفى السيد ، وهو شخص آخر غير أستاذ الجيل لطفى السيد .

* عرفت أحمد لطفى السيد — الصغير — فى الثلاثينيات شابا له هواية من نوع جديد هذه الهواية هى — أرشفة — جريدة الأهرام لحسابه الخاص . ولقد ظل هذا الشاب يتابع هـذه الهواية فى بيته

سنين . إلى أن اكتشف يوماً أن مسكنه الصغير قد أخذ يضيق بالعدد الضخم جداً من ــ الكروت ــ التي أرشف فيها جريدة الأهرام عدداً من السنين . وفجأة طرأت ببال هذا الشاب فكرة مستوحاة من تلال الصناديق التي اجتمعت فيها آلاف الكروت . هذه الفكرة هي أن يتحول بهذه الهواية إلى عمل .

* ذهب الشاب إلى المسئولين في جريدة الأهرام ليعرض عليهم شراء هذا المجهود الضخم من جهة ، ومواصلة أرشفة الأهرام لحساب الجريدة من جهة أخرى . وكان تقلا ــ باشا ــ صاحب الأهرام رجل أعمال قبل أن يكون صحفياً . وخشي إذا هو قبل هذا العرض من الشاب أحمد لطفي السيد أن يظل هذا العمل ــ الصحفي ــ مسجلا باسم صاحبه ، فعرض على الشاب عرضاً آخر هو أن يبدأ من جديد أرشفة ــ الأهرام ــ داخل الأهرام ذاتها كأي موظف يعمل نصف الوقت في ساعات فراغه من وظيفته ثم ما لبث بعد قليل أن عرض عليه مهمة أخرى ، هي أن يقوم بتمرين بعض شباب الأهرام على فن الأرشيف . وبعد أن قام لطفي السيد ــ الصغير ــ بهذه المهام لمدة عام استغنت الأهرام عن خدماته . . لقد كان صاحب الأهرام قد تنبه إلى دراسة فن الأرشيف الصحفي بالطرق المستحدثة في الخارج وإلى تمرين بعض شباب الأهرام على هذا الفن بالطرق الحديثة التي ظهرت في الخارج . . وأصبح معروفاً أن جريدة الأهرام هي أول جريدة عربية أضافت إلى المجهود الصحفي فن الأرشيف .

ومع هذا فإن الذى حدث فى الأهرام لم يكن هو كل الحقيقة بالنسبة لتاريخ فن الأرشيف الصحفى لكن بطريقة بدائية . هو الصحفى الأزهرى الشيخ على يوسف منشىء جريدة المؤيد فى سنة ١٨٨٩ .

كان الشيخ على يوسف إذا فرغ من عمله اليومى فى جريدته توفر على جمع قصاصات منها ومن غيرها من الصحف فى المواضيع المتماثلة ثم ضم كل مجموعة من هذه القصاصات فى ملف ثم وضع هذه الملفات فى درج من أدراج مكتبه . فإن هذا الدرج هو غرفة الأرشيف الأولى فى تاريخ الصحافة العربية .

الأهرام :

وبمناسبة — الأهرام — وسبقها إلى تنظيم الأرشيف الصحفى بالأسلوب الفنى الجديد الذى يختلف طبعاً عن أسلوب الشيخ على يوسف — هناك معلومات قد تكون غائبة حتى عن بعض العاملين فى جريدة الأهرام . . إن الأهرام ستحتفل بعيدها المئوى فى هذه السنة — سنة ١٩٧٥ حيث يكون قد مضى على إنشائها مائة عام وهو حدث ليس له مثيل فى تاريخ الصحافة العربية ، بل إن الصحافة العالمية ذاتها ليس فيها غير عدد قليل جداً من الصحف التى تبلغ هذا العمر . وأظهرها جريدة — التيمس — اللندنية .

لقد أنشئت جريدة الأهرام أسبوعية فى أول الأمر وكان مقرها مدينة الأسكندرية . . ثم انتقلت إلى القاهرة لتصدر فيها يومية . . وكان رئيس تحريرها الأول هو منشئها سليم تقلا . ثم أخوه بشارة تقلا والذى لا يذكره الكثيرون فى رياسة التحرير فى جريدة الأهرام قد آلت بعد مؤسسيها إلى الشاعر الكبير خليل مطران .

الأخبار :

إن كل ما هو معروف الآن هو جريدة الأخبار اليومية التى أنشأها مصطفى وعلى أمين فى ربيع سنة ١٩٥٢ وصدرت عن دار أخبار اليوم التى ظهرت فى نوفمبر سنة ١٩٤٤ . لكن هذا الإسم منقول عن إسم جريدة الأخبار — التى أنشأها أمين الرافعى فى سنة ١٩٢٠ . . وأمين الرافعى أيضاً قد نقل هذا الإسم عن جريدة الأخبار المصورة التى كانت تظهر وتختفى قبله بجيل .

لقد كان رأس مال — أخبار اليوم — الذى أنشئت به فى سنة ١٩٤٤ هو خمسة عشر ألف جنيه . . وكان سبب رواجها الأول يرجع إلى سلسلة مقالات إفتتاحية بعنوان — الخلاف بين القصر والوفد — وكانت مادة هذه المقالات تستقى رأساً من أحمد حسنين — باشا — رئيس الديوان الملكى فى هذه الأثناء .

وبلا شك أن — أخبار اليوم كانت أول دار صحفية تبنى لها مبنى من عدة طوابق عالية . إن أول مبنى صحفى كان مبنى جريدة البلاغ لصاحبها عبد القادر حمزة — وهو مبنى من طابقين اثنين . . أما مبنى أخبار اليوم فكان يتألف من أحد عشر طابقاً وقد تكلف هذا المبنى مائة وخمسين ألف جنيه . وهذا المبلغ الضخم كان مجرد سلفة من بنك مصر لهذه الدار الصحفية .

أنتيجونى :

* وينتقل بك أرشيفى الذهنى ، مع حرف الألف ، من المؤسسات الصحفية إلى بعض الأسماء التى ظهرت ثم اختفت من حياتى . .

إنها أسماء يعرفها الجميع . . لكن القليل منها لا يعرفه أحد كما أعرفه ، ومن هذا القليل إسم انتيجونى الجميلة .

كان زميلنا الأستاذ على الشيخ مكلفاً من جريدة القاهرة — فى سنة ١٩٥٣ بأن يؤسس مكتب الجريدة فى اسكندرية . . وبينما كان الزميل يقوم بعملية اختيار العاملين فى مكتب اسكندرية .. طرقت بابه فتاة جميلة تتكلم العربية بلغة أجنبية لطيفة . واقترحت عليه أن تشارك فى أعمال المكتب . .

ومع أن الزميل رئيس مكتب اسكندرية قد استشارنى بوصفى رئيس تحرير القاهرة إذ ذاك . فى كل الذين عينهم فى وظائف المكتب إلا أنه لم يستشر أحداً فى تعيين هذه الفتاة . . لقد كانت حريتها أكبر من أن تحتمل المناقشة .

وفى أول زيارة منى لمكتب اسكندرية قدم إلى رئيس المكتب زملاءه فى العمل واحداً واحداً ، وأخيراً قدم إلى انتيجونى وأقول الحق انى حسبت الزميل يمزح وهو يقدمها إلى مع العاملين فى المكتب لقد كانت أجمل من أن تحتاج إلى العمل الصغير الذى وكل إليها . . ثم كانت تتكلم العربية بلهجة أجنبية فهى من اليونانيين الذين سمعتهم فى إثينا يطلقون عليهم إسم — اليونانيين المصريين — .

سألت الزميل : كيف تستطيع هذه الفتاة أن تعمل معنا وهى قليلة المحصول فى اللغة العربية . فإذا به يجرى معها أمامى امتحاناً فى

معلوماتها المصرية ، فإذا بهـذه المعلومات معلومات عريضة وخاصة في شئون التموين .

كانت الظاهرة العجيبة في انتيجونى أنها ذواقة في كل الأطعمة المصرية ، وخاصة الفلافل . . لـكن الظاهرة الأعجب أنها كانت لا تشعر بجمالها . . كانت تسخر من شكلها وتشكو من أن وزنها ثقيل مع أنها لم تـكن كذلك . . بل لقد كانت انتيجونى تسخر من الجمال النسوى كله وتعتبر أن به شيئاً كثيراً من التصنع . . وتطبيقاً لهذا الرأى كانت هذه الفتاة لا تتصنع شيئاً . . كانت تتحرك وتعمل وتتكلم وتأكل على الفطرة وببساطة مذهلة . . وقرأت انتيجونى عن مسابقة عالمية للجمال فتقدمت إليها . . تقدمت من باب السخرية الحلوة اللاذعة التى كانت تمتاز بها . . وكانت تضمر من الاشتراك في هذه المسابقة شيئاً آخر ، لقد كان كل ما يهمها أن الإشتراك في هذه المسابقة سيتيح لها الفرصة لرحلة ممتعة في أوربا على حساب مهرجان الجمال الدولى .

كانت تقول إنها عند الامتحان سوف تهرب . لـكنها ما كادت تصل إلى مقر المهرجان حتى وجدت باب الهروب موصداً أمامها فاستعاضت عن هذا الهرب بمشاكسة أعضاء لجنة التحكيم مشاكسة أظهرت لهم — من حيث لا تدرى — كل موصفات الجمال التى لم يجدوا مثلها في غيرها من المتسابقات . . فأجمعت اللجنة على اختيار انتيجونى ملكة جمال العالم لسنة ١٩٥٨ وكانت انتيجونى نفسها أول من أدهشته هذه النتيجة .

إميل الغورى :

أما الإسم الثانى فلإميل الغورى المواطن الفلسطينى الذى درس الحقوق ، وكان من الممكن أن يكون محامياً ناجحاً ، لكن اندماجه فى ثورة شباب فلسطين سنة ١٩٣٦ قد غير مجرى حياته . . فقد كان أحد الذين تفرغوا لأعمال الثورة . وكان أولئك — المتفرغون — أول من جرفهم التيار بعد نكبة قيام إسرائيل على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨ .

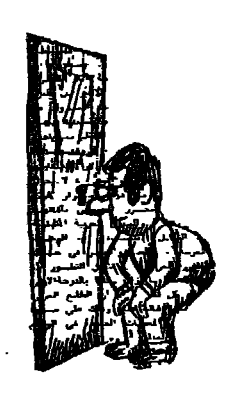
أخذ إميل الغورى يطوف بالبلاد العربية مع أهل الرأى من إخواننا الفلسطينيين الذين نقلوا فكرة الدفاع عن الأرض السليبة إلى البلاد الشقيقة ، وقد أختير أكثر من مرة ليمثل إخوانه الفلسطينيين فى حضور اجتماعات الأمم المتحدة بوصفه خبيراً فى قضية فلسطين .

فلما أنشئت جريدة القاهرة بمصر سنة ١٩٥٣ وشعارها الدفاع عن القضايا العربية انضم إلى أسرة تحريرها . . كان عمله الرسمى بها هو رياسة قسم السياسة الخارجية ، لكنه استطاع بمفرده أن يفتح على صفحات الجريدة أبواباً متخصصة فى قضية فلسطين من بدايتها .

ويوم قامت الوحدة بين مصر وسوريا فى ربيع سنة ١٩٥٨ قال لى اميل الغورى إن مكانه الطبيعى ينبغى أن يكون فى دمشق وأنشأ اميل بمفرده مكتب جريدة القاهرة فى العاصمة السورية . . وفى دمشق أخذت تناديه الدوائر التى تعرف عنه أكثر مما تعرف ، فعين محاضراً بكلية الحقوق فى جامعة دمشق .

لـكن . . لقد كانت فلسطين وقضيتها فى دم إميل ، فبارح دمشق إلى عمان ، ومع سكان الضفة الغربية وهم الفلسطينيون أصلا — قامت الحركة التى دفعت بعدد منهم إلى عضوية البرلمان الأردنى ، وانتخب إميل الغورى ، بالتزكية نائباً عن أعز دائرة على أرض فلسطين وهى دائرة القدس .

وفى تشكيل الوزارة الأردنية عين إميل الغورى وزيراً للشئون الاجتماعية . . فكان أول صحفى فلسطينى يتولى منصب الوزارة .



أشهر البخلاء
في الجيل الماضي

الأرشيف الذهني أرشيف معقد . . إنه لا يعتمد على مراجع ولا على أوراق أو مذكرات مكتوبة . . يعتمد فقط على الأبراج التي منحها الله تعالى للعقل البشرى العجيب . . وقد تكون هذه الأبراج مرتبة ترتيبا طبيعياً ، لكننا نحن الذين نفسد ترتيبها بخواطرنا . . إن خواطرى وخواطر الناس جميعا مغرمة بالوثب من هنا إلى هنا ، من غير ترتيب ظاهر ، وربما بترتيب لم ندرك سره حتى الآن . . وتحت تأثير هذا الوثب الذهنى قفزت خواطرى فجأة من حرف الألف إلى حرف الباء فى هذا الأرشيف .

حرف الباء

بدوى :

إن أشهر « بدوى » فى ذاكرتى هو اسم المرحوم الشيخ على بدوى . . إنه الرجل الذى علمنى « الخط العربى » فى المدرسة الابتدائية ، وهو ليس مسئولا عن رداءة خطى فقد كان هو من أشهر الخطاطين فى العشرينيات وكان فى نفس الوقت عالماً أزهرياً . . إنه صورة من صور الماضى . عالم أزهرى وخطاط ومدرس .

ويبدو أن اسم « على بدوى » يقترن من حيث الاستعداد بمهنة التدريس ، لقد كان فى وقت ما ألمع أستاذ فى كلية الحقوق هو الدكتور

على بدوى الذى تولى عمادة هذه الكلية مراراً وقد اقترن اسمه بهذا العمادة أكثر من اقترانه بمنصب الوزارة . . على أن أشهر بدوى على المستوى العام فى الجيل الماضى هو المرحوم الدكتور عبد الحميد بدوى « باشا » وقد كان . . عبد الحميد بدوى رجل قانون أيضا . لكن من طراز آخر . . كان يتولى منصب رئيس هيئة قضايا الحكومة وكانت هذه الهيئة تقوم — قبل إنشاء مجلس الدولة — بوظيفة الإفتاء فى كل التشريعات فما من تشريع صدر فى الجيل الأسبق إلا وكان عليه بصمات عبد الحميد بدوى . . وكان عبد الحميد بدوى أقدر من عرفته مصر فى صياغة مشروعات القوانين . . ولهذا كان الأستاذ التابعى يسميه « مفتى القرية » وينشر صورته الكاريكاتورية فى مجا وفوق رأسه عمامة كبيرة .

ولقد عاصر عبد الحميد بدوى نظاما من أنظمة الدولة فى مصر يبرز فيه أحد كعبد الحميد بدوى ، فما كان يشكل أى وفد رسمى مصر للمحافل الدولية إلا ويكون عبد الحميد بدوى مستشاراً لهذا الوفد . . ولهذا نستطيع أن نقول أيضاً أن بصمات عبد الح بدوى كانت وراء جميع الإتفاقات الدولية التى عقدتها مصر فى عصره

ثم عين عبد الحميد بدوى وزيراً للمالية . وبعقلية رجل القان الذى يرى فى القانون شيئاً أعلى من السياسة — اصطدم ببعض مطا القصر ، وطلب القصر من رئيس الوزراء الاستغناء عن خدمة عبد الحميد بدوى ، ولما كان هذا مستحيلا فى نظر رئيس الوزا فقد دبر القصر لعبد الحميد بدوى شائعة خطيرة لحمله على الاستقالة

كان بدوى « باشا » رجلا وسيما ، ومن هنا جاءت الشائعة بأنه وهو وزير ، على علاقة عاطفية بإحدى الحسان . . وطلب إلى بدوى أن يستقيل ، لكنه بعقلية رجل القانون قد تغلب على هذا « القلب » وقال إن استقالته تؤكد صحة هذه التهمة ، فعلى مروجى هذه الشائعة أن ينفوها إذا أرادوا أن يستقيل . . وكان له ما أراد .

ولقد عوض الله عبد الحميد بدوى خيراً بأن اختارته محكمة العدل الدولية قاضيا من قضاتها عند تشكيلها سنة ١٩٤٥ فكان أول شرقى يجلس على منصة القضاء الدولى . وبلغ من تقدير المحكمة الدولية له أن جددت عضويته فيها أكثر من مرة .

بخيل :

كان اسم بدوى « باشا » يقترن أحيانا بالبخل مع أنه من أسرة معروفة بالسخاء ذلك أنه كان يحسب لكل شىء حسابه فى زمن كان الناس ينفقون فيه بغير حساب . . أما أشهر البخلاء فى عصره فهو المرحوم الدكتور يعقوب صروف أحد مؤسسى مجلة المقتطف وجريدة المقطم كان صروف فى بخله رجلا ظريفا ومن ظرفه أنه كان يوصى سائق سيارته حين ينتظره أن يتوارى بها عن أعين حراسة السيارات حتى لا يطالبوه إذا عاد إليها بقرش .

وذات مرة لمحه أحد أولئك الحراس وهو خارج من باب محطة مصر فنادى على سيارته ووقف ينتظر نفحات الباشا الكبير . وجلس صروف يبحث بين طيات جيبه عن قرش من فئة الخمس مليمات ، وكلما أخرج قرشا وجده من فئة العشرة المليمات أعاده إلى طيات جيبه

وهو غضبان أسفا ، ثم استعار من سائقه القرش الصغير ليعطيه للحارس الذى تناوله بدوره تناول الذى نذر نذراً أن يحصل من صروف « باشا » على أى شىء يصنع منه « حجابا » يقيه شر الحاسدين .

لكن هذا البخل اليعقوبى هو الذى مكن صروفاً من ثلاثة ملايين من الجنيهات جمعها فى حياته ، والله وحده يعلم ماذا جرى بهذه الملايين بعد مماته .

وهنا تحلو المقارنة بين بخل صروف صاحب الملايين وسخاء حافظ إبراهيم صاحب المرتب الشهرى الذى لم يزد السبعين جنيهاً .

كان حافظ إبراهيم الشاعر يستأجر العربية « الحنطور » من دار الكتب بميدان باب الخلق إلى سكنه فى حى الزمالك بجنيه لا يسأل سائقها عن بقيته . . وذات مرة أراد الشاعر إسماعيل صبرى « باشا » أن يثير دهشة بخيل عصره الدكتور صروف فسأل أمامه حافظاً عما تبقى من مرتبه فقال عشرة جنيهات . . فقال صبرى لحافظ . . لقد كنت أحسب أن معك المزيد لأن الاكتتابات التى جمعناها لإقالة عثرة صديقنا فلان تنقصها عشرة جنيهات ، فإذا بحافظ يخرج الجنيهات العشرة الوحيدة فى جيبه فيقدمها لصديقه . . بينما كان الصحفى صاحب الملايين صروف يرسل اللعنات على هذا السفه . . ومع هذا فقد كان الدكتور صروف من خيرة علماء عصره .

• برلمان :

كان الدكتور فارس نمر عضواً بالتعيين فى مجلس الشيوخ أحد مجلسى البرلمان فيما قبل ثورة سنة ١٩٥٢ . . لقد كان هناك تقليد بتعيين كبار أصحاب الصحف أعضاء فى مجلس الشيوخ ولم يكن بخيلا بالمال فقط . . بل بالكلام أيضاً . . فلم يحدث مرة واحدة طوال عشر سنين أن نطق بكلمة واحدة داخل هذا المجلس ولست أدرى لماذا نسمى هذا بخلا ولماذا لا نسميه حرصاً .

وبهذه المناسبة أذكر أن مصر قد شهدت ما بين الثورتين : ثورة سنة ١٩١٩ وثورة سنة ١٩٥٢ تسعة برلمانات كان ترتيبها كالآتى : البرلمان الأول الذى أسفرت عنه ثورة سنة ١٩١٩ جاء بزعيمها سعد زغلول إلى الحكم ، وقد افتتح فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ ، وحل فى بداية دورته الثانية فى نوفمبر من سنة ١٩٢٤ ذاتها . . البرلمان الثانى الذى أعقب هذا الحل — وقد حل هو الآخر فى يوم افتتاحه ، أى أن عمره لم يتجاوز ساعة واحدة لان الانتخابات جاءت بصورة طبق الأصل من برلمان سنة ١٩٢٤ . . البرلمان الثالث الذى جاء به ائتلاف الاحزاب فى نوفمبر سنة ١٩٢٦ ، وهو البرلمان الذى تولى سعد زغلول فيه رياسة مجلس النواب تاركاً رياسة الوزارة لعدلى يكن زعيم معارضيه الدستوريين . . لقد جعل ائتلاف سعد مع معارضيه ورياسته للبرلمان من هذا البرلمان أهم برلمانات العهد الماضى . . وقد حل هذا المجلس فى بداية سنة ١٩٢٨ ، بسبب انتهاء الائتلاف ووفاة سعد زغلول . وفى نهاية سنة ١٩٢٩ جاء البرلمان الرابع لكنه لم يعمر أكثر من خمسة أشهر حل بعدها . وألغى دستور سنة ١٩٢٣ وظهر

دستور آخر جاء ببرلمان آخر من صنع رئيس الوزراء إسماعيل صدقى . وهو البرلمان الخامس .

وفى سنة ١٩٣٦ عاد دستور سنة ١٩٢٣ وجاء البرلمان السادس الذى أقر معاهدة سنة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا ثم حل فى إبريل سنة ١٩٣٨ ليحل محله البرلمان السابع الذى حل هو الآخر عقب أحداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وجاء فى إثره البرلمان الثامن الذى انتخب فى يناير سنة ١٩٤٥ وهو البرلمان الوحيد فى الماضى الذى أكمل دوراته الخمس إلى نهاية سنة ١٩٤٩ ، ثم جاءت الانتخابات التى أجريت فى يناير سنة ١٩٥٠ ببرلمان مغاير هو البرلمان التاسع الذى ظل قائماً إلى سنة ١٩٥٢ حيث جرفته الأحداث التاريخية التى ظهرت فى هذه السنة .

وكانت المعارضة فى غالبية هذه البرلمانات معارضة اجتهادتة إلى أن تولى الدكتور هيكل « باشا » رياسة مجلس الشيوخ فى سنة ١٩٤٥ فنظم تقاليد المعارضة بأن جعل لزعيم للمعارضة فى مجلس الشيوخ مكتباً خاصاً وسكرتيرية خاصة وكان أول زعيم للمعارضة فى هذا التقليد هو المرحوم صبرى أبو علم « باشا » الذى كان سكرتيراً عاماً للوفد وهو حزب الأغلبية .

لكن التقاليد البرلمانية التى أرساها هيكل ، ومنها فتح باب المناقشة للأعضاء فى ميزانية القصر الملكى ، قد أدت إلى فصله من

رياسة مجلس الشيوخ هو وإثنان وعشرون عضواً في سنة ١٩٥١ . .
وكانت هذه السابقة من عناصر الجو الذى تهيأ لقيام ثورة يوليو
سنة ١٩٥٢ .

تيمور :

حرف التاء

أشهر الأسماء في حرف التاء هو إسم تيمور ، وهو إسم الأسرة التى أنجبت أربعة من مشاهير الأدباء : أحمد تيمور « باشا » وولديه محمد تيمور ومحمود تيمور وأخته عائشة التيمورية .

كان أحمد تيمور مثال الرجل الموسر الذى تفرغ للعلم . فأنشأ مكتبتين ، مكتبة من مؤلفات الآخرين تحولت بعد وفاته إلى مكتبة عامة ومكتبة من مؤلفاته الكثيرة التى لم تتسع حياته لطبع غالبيتها . فشكلت لجنة — لا تزال قائمة حتى الآن — لطبع هذه المؤلفات ، وكلها مؤلفات متخصصة في تاريخ الآداب واللغة العربية .

أما أخته عائشة التيمورية فكانت أول سيدة تنظم الشعر باللغتين العربية والتركية فيما بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وهى أول وآخر شاعرة فى عصر النهضة لا يراها ولا يرى صورتها الجمهور فقد عاشت وماتت فى عصر الحجاب .

وأما ولداه محمد تيمور ومحمود تيمور فقد تخصص فى القصص ..
كان محمد تيمور فى مقدمة من كتبوا القصة القصيرة ، فلما مات شابا فى مشرق القرن العشرين حمل رايته أخوه محمود تيمور .

وقد بدأ محمود تيمور كتابة القصة فى العشرينيات باللهجة العامية ، وأخرج بهذه اللهجة عدة مجموعات قصصية لعله صار ينكرها ؛ فهو ما زال يتطور فى أدبه حتى أصبح من غلاة المتعصبين للعربية الفصحى .. وبعد أن كان يكتب فى شبابه باللهجة العامية أصبح وهو عضواً بالمجمع اللغوى متخصصاً فى رد كل لفظ عامى وكل لفظ منقول من اللغات الأجنبية إلى أصله العربى الفصيح أو استبداله بأصل عربى آخر .



الثورة بين جيلين

يقولون أن للحروف أسرارا .. ويبدو أن هذا صحيح .. فهناك حروف غنية باشتراكها فى ملايين الأسماء .. وهناك حروف قوية باشتراكها فى أعظم المعانى .. هناك حروف لها موسيقى وحروف لها فعالية ، وحروف لا بد من اقترانها بحروف أخرى ، هناك حروف تقبل الاستقلال كحرف «الواو» بينما سائر الحروف لا تستقيم بمفردها .. ويقولون أن هناك علوماً تبين مزايا هذه الحروف جميعاً ، كعلم الكلام وعلم البيان ، وعلم الفلك .. لكن النتائج التى نخرج بها من هذه العلوم نتائج نظرية قابلة للمناقشة .. أما الذى لا يحتمل المناقشة فى هذا البحث فهو فن الأرشيف .. إنك واجد فى صندوق «الألف» بالأرشيف حشداً من المعلومات بينما قد لا تجد نصف هذه المعلومات فى حرف الثاء وسأروى ما أستطيع أن آتى به من أرشيفى الذهنى فى حرف الثاء .

حرف الثاء

ثورة :

إزدادت شهرة حرف الثاء إبتداء من ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فى بلادنا والبلاد العربية فبعد نجاح حركة الضباط الأحرار التى قاموا بها يومئذ أصبحت كلمة « ثورة » التى تبدأ بحرف الثاء شريكة فى كل مقال .. لقد دخلت كلمة « ثورة » منذ هذا التاريخ فى كل شىء دخلت فى الأدب ، وأصبح العنوان الذى كان عجباً منذ أربعين عاما على

كتاب « ثورة الادب » للدكتور هيكل — شيئاً مادياً فى أى مقال يكتب الآن فى الادب أو عن الأدب . دخلت فى العلم .. بل لقد أصبحت كلمة ثورة جزءاً من العلم منذ قال الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد العلم منذ سنوات « أن الثورة هى علم تغيير المجتمع » .. دخلت فى الفن والصحافة والاقتصاد بل لقد دخلت على الجانب المضاد لمفهوم الثورة ذاتها فى هذا الجانب باسم « الثورة المضادة » .

ونحن نستطيع عدلا وأنصافاً — أن نرد هذا الرواج لكلمة « ثورة » إلى الضباط الاحرار الذين نجحت ثورتهم باسم الشعب المصرى فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. ولقد كانت هناك ثورة شعبية عظيمة فى تاريخ ما قبل سنة ١٩٥٢ ، هى ثورة سنة ١٩١٩ لكن أحداً من القادة فى السياسة والفكر لم يكن يستخدم كلمة ثورة إذ ذاك كما نستخدمها الآن .. إن زعيم ثورة سنة ١٩١٩ نفسه ، وهو سعد زغلول ، له كلمة قالها فى أحد مواقفه السياسية الهامة وهى « نحن قوم هادئون لا تحدثنا أنفسنا بثورة » — ربما كانت هذه سياسة .

قال سعد زغلول هذه العبارة بينما كان الشعب وهو على رأسه فى قمة الغليان .. إذن فهناك خلاف فى مفهوم « الثورة » بين الماضى والحاضر — نحن فى الحاضر نعتبر الثورة فى إرادة التغيير التى تتحرك فى نطاقها بالفعل .. بينما كان الثائرون فى الماضى يتجنبون كلمة الثورة كى يتحاشوا ، إن أمكن ، اتهامهم بمخالفة القانون .

كان مفهومنا للثورة فى الماضى أنها مخالفة للقانون غير معترف

بهـا .. أما مفهومنا الآن للثورة فهو مولد لقانون جديد يتعجله المجتمع .

ظهرت حركة الضباط الأحرار الأولى فى ١٦ يناير سنة ١٨٨١ بزعامة أحمد عرابى .. وهكذا نرى أن هناك أشياء كثيرة فى حياتنا كانت لها أشباه فى المـاضى .. .. فالحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل فى بدايات القرن العشرين كان له شبيه باسم الحزب الوطنى ظهر فى سـنة ١٨٧٩ .. وجمعيـة « مصر الفتاة » التى ظهرت فى ثلاثينيات القرن العشرين كان لهـا شبيه يحمل نفس هذا الإسم فى سبعينيات القرن التاسع عشر .. وهكذا التشابه فى الأسماء أو المسميات إنما يرجع إلى مفاهيم كلمة واحدة هى كلمة « ثورة » .

ثروت :

ومع كل الدوى الذى تتركه كلمة ثورة فى كل زمان وكل مكان فإن حرف الثاء الذى تبدأ به هذه الـكلمة من أقل الحروف نداء بالأسماء .. إننى لا أجد فى أرشيفى الذهنى من هذا الحرف إلا إسم ثروت « باشا » وإسمه بالـكامل محمد عبد الخالق ثروت .

هناك قليـل من الرجال لم يستطع التاريخ إنصافهم لا فى حياتهم ولا بعد مماتهم .. ومن هذا القليل عبد الخالق ثروت .

إن إسم ثروت يرد فى الأذهان ، وربما فى بعض صفحات التاريخ بين أسماء الذين لم ينتصروا للشعب وثورته فى سنة ١٩١٩ وقد يكون هـذا صحيحاً فى ظاهر الأمور ، أما فى الباطن فإن هـذا التصوير

يعتبر ظلماً ولكى يتبين هذا الظلم ينبغى أن تكون هناك صورة حقيقية دقيقة للحالة التى كانت البلاد عليها فى الفترة التى تولى فيها ثروت الحكم ، وهى بداية سنة ١٩٢٢ .

كانت القوات البريطانية تشغل كل ركن فى مصر بما فى هذا أقسام الشرطة ، بل كانت رئاسة الشرطة المصرية للإنجليز ، وقيادة الجيش المصرى للإنجليز وتمثيل مصر دبلوماسياً فى الخارج للإنجليز والتفتيش على كل نواحى الحياة المصرية فى الداخل للإنجليز بل كان رئيس الدولة ، وهو السلطان ، معيناً من قبل الإنجليز وكان هذا التعيين يحدد تلقائياً الوضع والظروف بالنسبة للوزراء الذين يعينهم السلطان .

نعم كانت هناك ثورة ، وثورة عظيمة عارمة . لكن القوات البريطانية كانت تقابل هذه الثورة العزلاء بالمدافع .. وصحيح أن الثورة قد أقلقت القوات البريطانية وقتلت الكثيرين من أفرادها ، لكن زمام القتل والقوة المسلحة كانت بالطبيعة فى يد الجيش المحتل لا فى يد الشعب الأعزل .

أما من الناحية السياسية فكان الوضع كما يأتى ، رفض مؤتمر الصلح الدولى الذى انعقد فى سنة ١٩١٩ لتقرير مصائر الأمم أن يدخله وفد من مصر ، وأقر الحماية البريطانية عليها .. طرق الزعماء المصريون باب المفاوضة مع الإنجليز بوفد يمثل الشعب مرة وبوفد يمثل الحكومة مرة وفشل الوفدان فى المفاوضة .. لجأ ممثلو الشعب إلى فرنسا وإلى أمريكا خاصة وإلى الضمير العالمى عامة فلم ينصت إليهم أحد .. وفى هذا الجو كان الجنود البريطانيون فى شوارع القاهرة

يوقفون أى كبير ليحملوه حجارة للتساريس التى كان الشعب يقيمها فى الشوارع لمنع القوات الإنجليزية من الحركة .. وكان المندوب السامى البريطانى هو الذى يحدد متى تضاء ومتى تطفأ مصابيح القاهرة ومتى يخرج الأهالى ومتى يعودون إلى ديارهم .. الخ

فحين يجىء أى سياسى وينتزع من بريطانيا فى هذا الجو اعترافاً بأن مصر مستقلة ذات سيادة وأن من حقها أن تنشىء البعوث الدبلوماسية التى تمثلها فى الخارج وأن تنشىء برلماناً يشارك فى إدارة شئونها فى الداخل .. فإن هذا السياسى يكون قد أزال كثيراً من الغبار الذى كان الاحتلال يهيله على ثورة الشعب ولقد كان هذا السياسى هو عبد الخالق ثروت ، وكان هذا الاعتراف هو التصريح البريطانى الذى اشتهر باسم تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .

صحيح أن بريطانيا قد قرنت هذا التصريح بأربعة تحفظات تؤثر فى معنى الاستقلال ، لكن دهاء ثروت قد جعله يصمم على أن يكون هذا التصريح من جانب واحد هو الجانب البريطانى حتى لا يكون اشتراك الجانب المصرى فيه ملزماً للمصريين بالموافقة على التحفظات البريطانية .

إن أى سياسى فى سنة ١٩٢٢ لم يكن يستطيع أن يعمل أكثر مما عمله عبد الخالق ثروت .. ومع هذا فقد لعن الكل ثروت تحت تأثير الدعاية الجماهيرية المضادة ، مع أن تصريح ٢٨ فبراير الذى جاء به هذا الرجل دون التزام بشىء من جانب للمصريين كان فى واقع الأمر رغم عيوبه هو نقطة الانطلاق إلى الحياة الدستورية والحياة

الدبلوماسية التى لم تظهر فى مصر إلا بعد هذا الجهد الذى بذله ثروت. وكان من نتائجه أيضاً الإفراج عن المعتقلين وفى مقدمتهم سعد زغلول. وإن كان أحداً لم يذكر له هذه الناحية ..

حرف الجيم

جمهورية :

كانت كلمة « جمهورية » قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كلمة غريبة على مصر .. بل كان القانون يعاقب من يطالب بتطبيقها فى بلادنا ثم أصبح العكس هو الصحيح بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. وأخذت الجمهورية فى مصر طابعها القانونى ابتداء من ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ .

إن الأرقام التى تحيط بإعلان الجمهورية فى مصر تدعو إلى العجب فقد أعلن جمال عبد الناصر قيام الجمهورية فى مصر فى الساعة السادسة والدقيقة ١٨ من شهر يونيو وهو الشهر السادس من شهور السنة فى سنة ١٩٥٣ وأنت إذا جمعت أرقام ١٩٥٣ تكون النتيجة ١٨ .

إنه كلام يشبه كلام الفلكيين وإن كنت لا أقصد .

جمال :

إذا ذكر إسم جمال بعد منتصف القرن العشرين فى التاريخ فإن الأفكار تتجه مباشرة إلى جمال عبد الناصر .. أما إذا ذكر إسم جمال فى التاريخ بعد منتصف القرن التاسع عشر فإن الأفكار تتجه مباشرة إلى جمال الدين الأفغانى .

إن مؤلفي قصص حياة المجاهد اللاتيني جيفارا الذي استشهد منذ قليل لم ينتبهوا إلى أن جيفارا في فلسفته ليس إلا تلميذاً غير مباشر لجمال الدين الأفغاني .. وأقصد بفلسفته فلسفة قومية الجهاد ، واتساع رقعة هذه القومية لكل البلاد التي تجاهد في سبيل الحق والحرية . .
إن كلا منهما يبدأ إسمه بحرف « جيم » وكلاهما تنقل بجهاده من بلد إلى بلد .. وإذا كان جيفارا قد استخدم في جهاده السلاح فجمال الدين الأفغاني هو القائل — شق قلب ظالمك — .. وإذا كان جيفارا قد مات قتيلا .. فقد تعرض جمال الدين الأفغاني للقتل بالسم أكثر من مرة ، وإن كان قد نجا حيناً إلا إن الذين درسوا حالة إعيائه التي أفضت إلى موته يردون هذا الحالة للسموم التي تعرض لها .. كل الخلاف بين الرجلين أن جيفارا كان يعتمد في جهاده على عقيدة سياسية وأن جمال الدين الأفغاني كان يعتمد على العقيدة الدينية .

على أن هناك علامات استفهام لاتزال قائمة حول نشاط جمال الدين الأفغاني السياسي .. ومنها على سبيل المثال — أنه حين جاء إلى مصر منادياً بمبادىء التحرير في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر كان في نفس الوقت صديقاً لرئيس الوزراء رياض باشا الذي كانت تعارضه الثورة الوطنية التي تأثرت فعلا بآراء جمال الدين الأفغاني .. وأنه كان يعارض الطغيان العثماني لكن هذه المعارضة لم تمنعه من الاتصال أحياناً بالقصر الملكي العثماني في أواخر حياته .. وأنه كان داعية عظيما للدين الإسلامي .. ومع هذا فقد كان يعتمد أحياناً على الصحفي اليهودي الذي أسلم يعقوب بن صنوع .. يبدو أن جمال الدين الأفغاني القائد الديني العظيم كان من دهاة السياسيين أيضاً .

جلال :

أول اسم من أسماء « جلال » فى أرشيفى الصحفى هو اسم جلال الحمامصى .

لقد دخل جلال الحمامصى دنيا الصحافة منذ ثلاث وثلاثين سنة من باب .. الرياضة .. كان أول أمره ناقداً رياضياً .. وكشاب تخرج فى كلية الهندسة لم يعجبه إخراج ركن الرياضة .. فأعاد تبويبه على نحو رشحه لأن يكون سكرتير تحرير .. ثم ما لبث سكرتير التحرير أن صار رئيساً للتحرير ..

لقد عرفت جلال منذ نشأته الصحفية شاباً أنيقاً ، لكن هذه الأناقة لم تمنعه من المداومة منذ صباه على أداء الفرائض الدينية كلها فى مواعيدها .. إن دقة المواعيد كانت دائماً جزءاً من شخصيته ، فهو فى السابعة صباحاً يؤدى تحية الصباح لمعاونيه فى العمل ، وفى الساعة الحادية عشرة يمتنع عن مقابلة الزائرين وفى الساعة الواحدة بعد الظهر يقوم برياضة المشى من دار الجريدة إلى بيته ..

إن دقة مواعيد جلال الحمامصى تنبع من اعتزازه بكرامته .. فما من عمل صحفى تولاه أو تولى عنه إلا وكانت الكرامة سبيله إليه أو سبيله عنه ومع هذا الاعتزاز كله فإنك لا تكاد تشعر فى مخالطته بأنه يستعلى على أحد أو يخاصم أحداً .

لقد كانت بينى وبينه معارك كثيرة ونحن وكيلان لنقابة الصحفيين لكنى ما رأيت زميلا يخاصمك فى الرأى كجلال .. إن ذرة من وده

أو صداقتــه لا يمكن أن تتأثر بهذه المخاصمة الفكرية .. إنك تجده دائماً عفيف القلب والقلم واللسان .

كان جلال الحمامصى يبــدو خارج عمله واحداً من — أولاد الذوات — لكنك إذا دخلت مكتبه وجدت رجلا لا يختلف كثيراً عن العمال .. ففى مكتبه طاولة عليها مساطر ومثلثات وأقلام فحم وألوان .. وهو بهذه الأدوات قد أنشأ مدرسة جديدة فى الإخراج الصحفى ينتشر الآن تلاميذها فى كل أركان الصحافة دون أن يشعر أحداً بأن مؤسس هذه المدرسة وأستاذها هو جلال الحمامصى :



عجائب حرف الحاء

أليس عجباً أن الحرف الأول من كلمة « حظ » هو نفس الحرف الذى تبدأ به أجمل كلمة فى الحياة وهى كلمة « حب » بل أن كلمة « حياة » ذاتها تبدأ بنفس الحرف الذى تبدأ به كلمة « حظ » وكذلك كلمة « حرية » وان كانت تبدأ به كلمات ذات معان مضادة مثل كلمة « حرب » و كلمة « حسد » .. أقول هذا وأنا أعرف أن الحرب قد تكون حياة وان الحسد فى رأى بعض العلماء نوع من أنواع الجاذبية ولكنها جاذبية مضادة .. هذه مقدمة لابد منها فى هذا الأرشيف ونحن نتحرك نحو حرف الحاء . وهو حرف على غناه فى المعانى ليس غنياً فى علم الأسماء بهذا القدر .

* حافظ

اسم حافظ ليس من الأسماء الشاعرية .. لكن أغلب حاملى هذا الاسم كانوا شعراء أو كان لهم بعض سمات الشعراء .. ومن أولئك الشعراء حافظ الشيرازى قديماً وحافظ جميل حديثاً .. ثم حافظ إبراهيم الذى لا يذكر عصر النهضة فى الشعر العربى المعاصر إلا ويذكر إسمه .

كان حافظ إبراهيم ثانى اثنين من شعراء الجيل الأول فى القرن العشرين وبرغم مرور أكثر من جيل على وفاة شوقى وحافظ اللذين توفيا فى عام واحد ، وهو عام ١٩٣٢ — فإن الفراغ الذى تركاه لم يشغله أحد حتى الآن . لأن عبقرية الشعر قد اختفت من بلادنا بل

لأن الجو الذى عاشا فيه قد تغير تغييراً جذرياً فى حياتنا الفكرية .

ولقد عرف الناس حافظ إبراهيم شاعراً ، لكنهم ، إلا قليلا منهم لا يذكرون أنه كان ضابطاً .. كان ضابطاً فى جيش مصر الذى دخل السودان فى نهايات القرن التاسع عشر ثم تمرد على رؤسائه وكانوا من الانجليز ، ففصل من الجيش ، فظل مشرداً يبحث عن عمل يجرى عليه الرزق حوالى عشر سنين .. وفى هذه الفترة قال حافظ أعظم قصائد البؤس فى حياته ومن هذه القصائد ما يصف فيه خيبة مساعيه فى الحصول على عمل .. يقول فى مطلع إحداها :

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما وأبت وما أعقبت إلا التندما

فى هذه الفترة من حياته ترجم حافظ إبراهيم قصة البؤساء أروع روائع فيكتور هيجو وقيل يومئذ أن حافظ قد استطاع فى هذه الترجمة أن يدخل بأسلوبه فى تلافيف عقل المؤلف الفرنسى ، مع أنه لم يكن بهذا القدر من قوة المتابعة للأدب الفرنسى ، لكنه فى ترجمته لقصة (البؤساء) إنما كان يترجم أحاسيسه الخاصة ..

ثم انتقل من دنيا الصعلكة إلى دنيا الوظائف الكبرى حيث عين فى وظيفة من وظائف الدرجة الأولى مباشرة .. وهى وظيفة الوكيل العام لدار الكتب .. واطمأن حافظ فى هذه الوظيفة إلى رزقه ، لكن شاعرية الشقاء لم تفارقه إلى آخر حياته ، فعرف بأنه أبلغ شعراء المراثى فى عصره .. وهذا هو السر فى أن شوقى أمير الشعراء قد تمنى يوم وفاة حافظ لو كان السباق إلى الوفاة كى يحظى برثاء حافظ ،

وهذا واضح فى مرثية شوقى لحافظ التى يقول فى مطلعها :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى   يا منصف الموتى من الأحياء

كان شوقى يطمع أن يرثيه حافظ كما رثى هو سعداً بقوله .

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها   وانحنى الشرق عليها فبكاها

لكن الله أكرم حافظاً بأن كان السباق إلى الوفاة كى يرثيه أمير الشعراء الذى لحق به إلى العالم الآخر بعد نصف عام فقط .

إن التصوير الدقيق لحافظ وشوقى أن حافظاً كان يحظى بحب الجماهير وأن شوقى كان يحظى باحترامها .

ويبدو أن أبى كان من عشاق حافظ فأسمانى باسمه .. ومن يدرى .. ربما كان أبى يتمنى أن أكون شاعراً مثله .. وقد بحثت فى أرشيفى الذهنى عساى أجد فى مستهل حياتى شيئاً من الشعر فلم أعثر على قصائد كاملة لكننى عثرت على الأخيلة التى كنت أكتبها فى صباى الباكر ،

إنى تخيلت فى هذه المقالات الحلول لمشكلة المواصلات التى ظهرت فيما بعد ومنها أن خطوط المترو ستمتد على قناطر تعلوا سطح المساكن فى طول المدينة وعرضها وأن الترولى باس — الذى يسير فوق الأرض سيجعل فى عجلاته قضباناً تنفرد ثم تنطوى مع العجلات بحيث لا يرى الناس قضباناً ممتدة على أرضية الطريق .. وأن بعض السيارات العامة ستكون قادرة على السير فوق الماء .. وأن البعض سوف يسير بالطاقة الشمسية ..

ثم تخيلت الحلول لأزمة المساكن التى ظهرت فيما بعد .. بأن المدينة ستعمر بالفنادق التى يشتمل كل منها على عدد من الشقق الصغيرة التى تصلح كل منها لسكنى عائلة لا يكون الساكن فيها مسئولا عن تدبير شئون مسكنه حيث تكون كل النساء والبنات من العاملات وأن غرف هذه المساكن ستبدو فارغة ، لكنك إذا ضغطت زراً برزت من الحائط المائدة أو السرير أو الأدراج التى تحمل الثياب وغير الثياب .

وذهب بى خيال الصبى فى مستقبل بلادى إلى أن علماء سيظهرون بها ، فيكتشف أحدهم الدورة الأثيرية ، أى دورة الجسم الأثيرى الذى يقول العلم إنه يحيط بأجسامنا إلى ما بعد الموت .. وأن عالمة مصرية شابة سوف تكتشف العلاقة بين المادة والروح ، .. فيعتبرها العالم كله فى عداد الأنبياء ، وتدعى لزيارة كل دول أوربا وأمريكا لنشر هذه الرسالة الجديدة التى ترد إلى الناس إيمانهم بالروح عن طريق مكتشفات مادية جديدة .

إلى هذا الحد بلغت أخيلتى فى صباى .. وهذا دليل حى على أن الفكر الإنسانى يتجه بنا خلال الصبى إلى المستقبل ، فإذا ماتقدمت بنا السنون تلفتنا إلى الماضى لنكتب ونقرأ عنه .. وليس فى هذا تناقض ولا رجعية كما يظن البعض .. فما من مستقبل إلا وهو صنيعة الماضى ..

حسن :

إننى حين أتلفت إلى الماضى أذكر ذلك الشاب الوسيم الفارغ الذى

ساهم بنصيب مجهول فى تكوين جيلنا .. الشاب الذى قام بمغامرات قل أن يكون غيره قد قام بمثلها .. ومع هذا فقد نسيه الكثيرون .. ولم يعد يذكره الآن إلا أعضاء نادى المعادى الذين يقضى أوقات فراغه فى شيخوخته بينهم .

فنحن حين دخلنا دنيا الصحافة طلاباً نتدرب على الأعمال الصحفية كنا ننظر بإعجاب إلى (حسن صبحى) القصاص الذى كان ينشر قصص (أوراق البردى) فى جريدة (السياسة الأسبوعية) .

من أين جاء حسن صبحى خريج كلية الآداب بهذه الأقاصيص الفرعونية الفريدة ؟

لقد كان أحد العشرة الأوائل الذى (تطوعوا) للالتحاق بمعهد الآثار القديمة ثم تخرجوا بعد ثلاث سنوات ليخلفوا علماء الآثار المصرية الأجانب وأصبحوا كلهم عدا حسن صبحى — أئمة علوم الحفريات وأساتذتها ومديرى أعمالها .. أما حسن صبحى ، ثالث أولئك المتخرجين العشرة .. فقد آثر الصحافة ..

كان دخوله الصحافة مغامرة .. مغامرة على الأقل بالوظائف التى كانت تنتظره ، بل الوظائف التى كان يشغلها بالفعل ، ومنها نظارة مدرسة .. لكن حياة حسن صبحى ذاتها كانت مغامرة .

لقد انتقل ، دون مقدمات ، من جريدة السياسة الاسبوعية إلى جريدة البلاغ فأنشأ فيها ، لأول مرة فى الصحافة اليومية المسائية ، صفحة أخيرة مصورة .. لكن روح المغامرة لم تتركه فى هذه الصفحة الناجحة لحاله ، فإذا به يهاجر إلى السودان .. وفى السودان أنشأ

حسن صبحى بتشكيل سودانى أول جريدة يومية سودانية فى الثلاثينيات . وهى جريدة (النيل) . . . وعلى الرغم من أن هذه الجريدة قد احتلت مكانة رفعت حسن صبحى إلى الصدارة الصحفية إلا أن روح المغامرة عادت به إلى القاهرة .

عاد إلى القاهرة لينشىء مكتباً للسياحة قبل أن تكون القاهرة قد رأت أو سمعت عن المكاتب السياحية الوطنية ، وغامر حسن فى هذا المشروع فى مواجهة الأجانب إلى الدرجة التى اضطرته إلى أن يبيع ملابسه .. لكن أى خيط من خيط اليأس لم يمر برأسه ، فتقدم بمشروعه السياحى إلى الزعيم الاقتصادى طلعت حرب ، ولأول مرة تدخل السياحة فى مشروعات بنك مصر ، وأصبح حسن صبحى مدير مكتب مصر للسياحة.

كان يمكن لحسن صبحى أن يقف عند هذه المغامرة دون غيرها بعد أن أصبح فى عداد مديرى الشركات .. لكن عمله كمدير لمكتب مصر للسياحة وما كان يتيحه له من التجوال بين أنحاء العالم الخارجى قد فتح شهيته مرة أخرى للصحافة .. فعاد ليعمل محرراً مرة ، ومرة أخرى ينشىء لحسابه صحفاً أسبوعية مختلفة الألوان حتى استقر أخيراً على مشروع صحفى فريد فى نوعه ، ألا وهو إصدار صحيفة أسبوعية تنطق بلسان ضاحية المعادى ، وهى الصحيفة التى تصدر بانتظام منذ سنين .

وقد يعلم الكثيرون أن حسن صبحى صاحب هذه الصحيفة الفنية ومحررها شاب متوثب وهو فوق السبعين من عمره لا يقلل من

أنشطته أنه فقد بصره .. أنه مازال يجوب العالم الخارجى داعياً لبلاده وليزود صحيفته الصغيرة التى لا تتخطى ضاحية المعادى بالمادة التى تعنى بها كبريات الصحف فى كل العواصم الكبرى .

حرف الخاء

* خطأ وخطيئة

ربما كانت أشهر كلمة فى باب حرف الخاء هى كلمة خطيئة وترجع شهرة هذه الكلمة إلى بدء الخليقة الإنسانية . فخطيئة آدم التى أغرته بها حواء هى التى كانت السبب فى خروجها من الجنة — كما تقول الكتب المقدسة — إلى الأرض لكى ينشأ فيها العمران .... فالاستغفار عن الخطيئة له علاقة بعمران الارض ، وربما كان هذا هو السبب فى كثرة ترديد السيد المسيح لكلمة خطيئة من باب التحذير والدعوة إلى طرق أبواب الغفران ، وبالتالى طرق أبواب العمران .

ويبدو أن كلمة (خطأ) هى المذكر لكلمة خطيئة ، فالخطيئة كالمرأة تحمل معنى الإغراء ، والخطأ كالرجل الذى يستجيب لهذا الإغراء ، ولما كانت الاستجابة إلى الاغراء طبيعة فى الانسان يتبعها ثم يقاومها ثم يستغفر عنها ويتجنبها — فقد اقترنت كلمة خطأ بكلمة تجربة .. فالمجربون هم الذين يمارسون الخطأ اضطراراً لكى يتجنبوه من بعد اختيار . وفى هذا المعنى يقول برناردشو (إن الأديب يلطخ يديه فى الوحل لكى يرى الناس أن هذا وحل)

* خبطة :

وفى دنيا الأدب معركة أثارها الصحفيون المصريون الذين يستخدمون كلمة (خبطة) صحفية تعبيرا منهم عن الخبر أو للموضوع الذى يمتاز بسبق صحفى يهز وجدان القراء . . ذلك أن كلمة (خبطة) من كلمات اللهجة العامية التى لا مرجع لها فى الفصحى . . فالخبط فى اللغة العربية هو الضرب بقدم البعير على الأرض . . . تصور أى وضع يضع فيه أنفسهم أولئك الصحفيون الذين يستخدمون كلمة (خبطة) صحفية .

ومع هذا . . فحتى الآن لم يظهر بدليل لغوى يغنى بلفظ فصيح واحد عن كلمة (خبطة) كما يستعملها بعض الصحفيين . . والخطاب — والخطاب أيضا من أسماء حرف الخاء — . الخطاب هنا موجه إلى أساتذتنا أعضاء المجمع .



الأرشيف الصحفى ، كالعمل الصحفى ، ليست الأسماء فيه هى كل شىء . . إن الأحداث فى الصحافة أهم من الأسماء بكثير ، فقد يكون أمام المحرر مقال لصاحب اسم كبير اسم لامع . . ثم تأتى الأخبار بحادث — فما أيسر على المحرر أن يرجىء نشر مقال صاحب الاسم اللامع ، بل أحيانا يمزقه ليفسح الطريق إلى المطبعة لتفاصيل الحادث الذى وصل إليه . . إن أى اسم فى العمل الصحفى ، مهما كبر ، إذا لم يقترن بخبر أو بموضوع أو حادث ، لا يهم الصحفيين كثيراً .. والأرشيف الصحفى أيضاً له مثل هذا الطابع .. نجد فيه أسماء كثيراً ما تتوارى فى الأرشيف أمام الأحداث أو الموجودات الأخرى التى تصادف الصحفى فى حياته ..

* * *

حرف الدال

دائرة المعارف :

إن دائرة المعارف هى التوأم للأرشيف عند الصحفيين .. كل الصحفيون قد يعرفون دائرة المعارف البريطانية ودوائر المعارف باللغات الأخرى .. إلا باللغة العربية .

لقد كان من أسس التفكير فى إنشاء المجمع اللغوى منذ أربعين عاماً أن يتوفر على وضع دائرة معارف عربية — ومع أن المجمع

المصرى قد قطع من عمره زهاء ثلث قرن ومع أن المجمع السورى قد قطع من عمره زهاء نصف قرن — فإن أحد المجمعين لم يصل بعد إلى وضع دائرة للمعارف العربية .

هذا الجهد الجبار فى وضع دائرة معارف .. الجهد الذى ماتزال تهيبه المجامع قد أقدم عليــه فى الجيل الأسبق رجلان ، كل منهما على حدة .. الأول هو الأديب المصرى محمد فريد وجدى .. وأنا ، بحكم النشأة ، لم أعرف الثانى ، لكننى عرفت فريد وجدى .

كان فريد وجدى قبل نصف قرن صحفياً يصدر جريدة يومية اسمها « الدستور » وهو الإسم الذى اختاره زميلنا المرحوم محمد خالد لجريدته بعد أن اختفت جريدة فريد وجدى .. لقد اختفت جريدة وجدى لأن عقليته الفلسفية لم تتمش مع العقلية السياسية التى كانت تسود عصره ..

نقل فريد وجدى حروف مطبعة الجريدة ، بعد توقفها إلى بيته بحى المنيرة .. فشغل بصناديقها غرفتين من غرف الطابق الأول لمنزله — أما الغرفتان الأخريان . فكانت إحداها له ، والثانية لسكرتيره ..

كان فريد وجدى وسكرتيره « مصطفى افندى الغلوى » راهبين فى محراب العلم وقد أثمرت هذه الرهبنة العلمية زهاء سبعة وعشرين مجلداً متوسط الحجم أطلق عليها فريد وجدى « دائرة المعارف » .

وقد اشتهرت هذه المجلدات على عهد صبانا باسم « دائرة معارف

وجدى » .. أين ذهبت هذه الشهرة لست أدرى .

لقد امتازت دائرة معارف وجدى بما فيها من بحوث علمية فلسفية روحية ..

.. إن المؤلف نفسه كان فيلسوفاً فى حياته .. كان يعكف على كتبه منذ الشروق إلى الغروب فى البحث وراء الحروف وما تحمله من معانى العلم والحكمة .. حتى إذا غربت الشمس — صحب سكرتيره فى جولة على الأقدام حول حى المنيرة والأحياء المجاورة .. وكنا ونحن صبية نقف فى ساعة الغروب فى مكان ما لنشهد مسيرة هذين الرجلين اللذين لا يفترقان أبداً واللذين يبدوان وكأنهما عودان من عيدان القصب لا يكسوهما اللحم .. لقد كان كل منهما نباتياً لم يعرف طعم اللحوم فى حياته .

ومع أن « دائرة معارف وجدى » هى دائرة المعارف المصرية الوحيدة حتى الآن فقد أنكرها الكثيرون بعد أن أفاد منها الكثيرون .. ولست أدرى أين البديل ؟ !

الدوائر :

إن كلمة « دوائر ، ومفردها دائرة » كانت تطلق فى الأجيال السابقة بمصر على الدواوين التى كان الأمراء ينشئونها لإدارة أموالهم .. أو إقطاعهم .. وقد قلدهم فى هذا الأسلوب كل الإقطاعيين .. فكان من المألوف فى تلك الأجيال أن ترى على بعض المبانى اللافتات المكتوب عليها « دائرة الأمير فلان أو الأميرة

فلانة » أو دائرة أولاد فلان باشا .

وكانت هذه « الدوائر » منجماً كبيراً للوزراء والمحافظين وللمديرين السابقين حيث كان أصحاب هذه الدوائر غالباً مايقضون معظم حياتهم أو نصفها فى الخارج وحيث يكونون بحاجة إلى رجال ذوى خبرات ومقامات ونفوذ لينوبوا عنهم فى دائرة أعمالهم .

ولقد كان مستوى كل دائرة يرتفع بارتفاع مقام المشرف على أعمالها .. لقد بلغ التنافس فى هذا الميدان إلى درجة أن رئيس وزراء سابقاً وهو المرحوم على ماهر ، كان إذا خرج من الوزارة تولى إدارة أعمال دائرة الأمير سيف الدين ..

دائرة انتخابية :

على أن كلمة دائرة مالبثت بعد ذيوع أنشطة الانتخابات البرلمانية إن أطلقت على أسماء المناطق التى يرشح فيها المرشحون أنفسهم لعضوية البرلمان .. وكان من مهام الأحزاب القيام بعملية « تقسيم الدوائر » بين المرشحين ، فمن كان مشهوداً له من الحزب أعطى دائرة « تسمى الدائرة المقفلة » أى أن الحزب لايسمح بترشيح أحد فى هذه الدائرة غير هذا المرشح أما الدوائر الأخرى فتسمى دوائر مفتوحة ، أى أن لكل إنسان أن يرشح نفسه فيها .. وكان كثير من المرشحين يتنافسون للحصول على الدوائر المقفلة .

وأظرف قصة تروى عن الدوائر الانتخابية أن المرحوم ويصا واصف كان يرأس ذات يوم جلسة مجلس النواب بوصفه وكيلا

للمجلس سنة ١٩٢٧ ، وجاء رئيس المجلس سعد زغلول بعد بداية الجلسة فجلس فى صفوف الأعضاء ، وخطر له أن يرفع يده ليطلب الكلمة ، فإذا بويصا واصف لا يناديه بشىء من ألقابه .. إنما قال :

الكلمة لنائب السيدة زينب .. وهى الدائرة التى كان سعد منتخباً فيها ..

أما أطرف نكتة تروى عن بعض المجالس النيابية فى هذا المجال — فهى أن رئيس المجلس نادى للكلام نائباً أسماه بنائب دائرة « نمره » فإذا بعشرة نواب يتزاحمون على منبر الخطابة فى المجلس ..

دستور :

إن الحياة البرلمانية تقوم أساساً على الدستور والدستور فى لغة المشرعين هو قانون القوانين .. وقد شهدت مصر فى أقل من تسعين عاماً ستة دساتير : صدر الدستور الأول فى ٨ فبراير سنة ١٨٨٢ وقد حل مجلس النواب الذى أصدره فور صدوره مع أنه لم يكن قد أكمل من عمره شهرين اثنين . وجاء الاحتلال البريطانى فى صيف سنة ١٨٨٢ نفسها فأصبح هذا الدستور فى خبر كان .

وظلت مصر بلا دستور أربعين عاماً إلى أن صدر الدستور المنبثق عن ثورة سنة ١٩١٩ .. وكان صدوره فى يوم ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ وقد ألغى هذا الدستور فى سنة ١٩٣٠ وحل محله دستور ما ، هو الدستور الثالث الذى ألغى هو الآخر فى سنة ١٩٣٦ وعاد دستور سنة ١٩٢٣ إلى مكانه .. وهو الدستور الذى ظل معمولا به إلى أن قامت

ثوره ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وقامت فى إثرها فترة انتقال لمدة ثلاث سنين تبدأ من ١٦ يناير سنة ١٩٥٣ حيث صدر الدستور الأول بعد قيام هذه الثورة . وهو الدستور الرابع فى تاريخ الدساتير المصرية المعاصرة وذلك فى منتصف يناير سنة ١٩٥٦

فلما قامت الوحدة الدستورية بين مصر وسورية فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ كان لا بد من أن يصدر عنها دستور جديد وهو الدستور الصادر فى ٥ مارس سنة ١٩٥٨ .. .. وكان ترتيبه الخامس فى تاريخ الدساتير المصرية المعاصرة .. أما الدستور السادس فهو الدستور المعمول به حالياً

دستوريون :

إن الأرشيف الذهنى يعتمد فى ترتيبه على تداعى المعانى .. ومن هنا فإننا نجد أن كلمة « دستور » تلحق بها كلمة « دستوريون » .. والدستوريون هم الذين شكلوا أول حزب انشق على الوفد المصرى فى أعقاب ثورة سنه ١٩١٩ واتخذوا له اسم « حزب الأحرار الدستوريين »

إن هناك غموضاً يكتنف هذا الحزب فى التاريخ .. وقد نشأ هذا الغموض نتيجة لأن مؤسسى هذا الحزب كانوا هم الأغلبية بين أعضاء « الوفد » الذى وكلته الأمة فى سنة ١٩١٩ للدفاع عن حقوقها ، ثم اختلفت هذه « الأغلبية » مع رئيس الوفد سعد زغلول « باشا » لكن سعداً كان قد وصل إلى زعامة الشعب فلم يعد انفصال أغلبية

أعضاء الوفد عنه بالشيء الذي يعنيه لأن أغلبية الشعب كانت معه ..

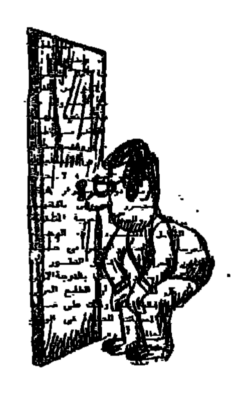
ولقد انهالت الاتهامات على أولئك المنشقين على سعد نتيجة لأن وسائل الإعلام وكانت تتلخص في الصحافة ، كانت كلها مع سعد زغلول : وكانت إنشاء أية صحيفة تعارض سعداً يعني الخسران .. ولهذا تصور الناس خطأ أن الأحرار الدستوريين قد وجدوا لتصفية الثورة التي أخذت طابعاً سعدياً .. وقد يكون هذا صحيحاً إذا هم خرجوا على الإجماع ، وألفوا حزباً خلال ثورة الشعب في سنة ١٩١٩ .. لكن الذي حدث هو أن حزب الأحرار الدستوريين لم يتشكل إلا بعد وضع الدستور والاستعداد لإجراء الانتخابات البرلمانية التي كان النظام الدستوري فيها يتطلب أن يكون هناك مؤيدون ومعارضون .. .. فالدستوريون قد أنشأوا حزباً للمعارضة ، ولم يظهر هذا الحزب إلا في ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ أي بعد أن كانت مسودة الدستور قد وضعت وبعد أن تحولت الثورة بالفعل إلى عمل سياسي يتخذ الحياة النيابية سبيلا له .

وليس شك أن للدستوريين ، كما لغيرهم ، أخطاء سياسية كوقف العمل بالدستور في بعض شهور سنتي ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ .. لكن الذي ينساه الكثيرون بما فيهم بعض المؤرخين أن هذه الجماعة هي التي وضعت الدستور الذي تمسكت به الأمة زهاء ثلاثين سنة ..

ومع هذا فإن الدستوريين الذين ظهر حزبهم في أخريات سنة ١٩٢٢ لم يكونوا أول دعاة الحياة الدستورية .. لقد سبقهم في هذه

مصطفى كامل ، وسبق مصطفى كامل الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد الذى شكل من خلال جريدته قبل عامين حزباً باسم « حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية » .

لقد كان الدستور ، هو النقطة التى لاخلاف عليها بين كل الساسة .. إنما كان الخلاف فى التفاصيل .. وفى أساليب التطبيق السياسى .



فى اللغة العربية حرفان شقيان ، و « شقيان » هنا يمكن ردها إلى « الشقاء » باللهجة الفصحى ويمكن ردها إلى « الشقاوة » باللهجة العامية .. .. الحرفان هما : الثاء والذال .. فلكى تنطق هذين الحرفين نطقاً سليما لا بد من إخراج اللسان قليلا .. وحين كنا تلاميذ صغاراً كنا نتحاشى استخدام هذين الحرفين ما أمكن حتى لانتعرض لعصا المعلم إذا لم نخرج لساننا .. كان أسعد التلاميذ فى نطق هذين الحرفين هو « الألثغ » الذى ينطق السين ثاء .. وقد استطاع أكثر من « ألثغ » أن يتحدى ويتفوق على غيره حتى فى فنون التعبير كمحمد عبد الوهاب الذى صار أشهر مغن منذ الجيل الماضى إلى الجيل الحاضر بل وربما الجيل المقبل .. لهذه الأسباب كانت الأسماء التى تبدأ بحرف الثاء قليلة ، وأقل منها الأسماء التى تبدأ بحرف الذال .

حرف الذال

ذكرى :

إن أشهر كلمة تبدأ بحرف الذال هى كلمه « ذكرى » وهى كلمة قد تكون حزينة أشد الحزن وقد تكون سعيدة أكثر السعادة .. كان الصديق والزميل الراحل دكتور محمد مندور إذا اختلفنا على شىء .. هل هذا الشىء قد حدث بالفعل أو أنه لم يحدث بعد كان يردد حكمة جميلة تقول : « أن يكون أملا لخير من أن يكون ذكرى » .. لكن

الحزب الذى كان ينتمى إليه مندور فى الماضى ، وهو الوفد ، كان له رأى آخر .. كان يرى — ككل أحزاب الماضى — أن « الذكرى » تنفع الناس جميعاً .. ولهذا : كانت أكبر حفلة يقيمها حزب الوفد هى حفلة « ذكرى سعد » فى ٢٣ أغسطس من كل عام .. وكذلك كان يفعل حزب الأحرار الدستوريين فى الاحتفال بذكرى زعيمهم الراحل محمد محمود فى ٣١ يناير .. ومن قبلهم كان الحزب الوطنى يداوم على الاحتفال بذكرى مصطفى كامل فى ١١ فبراير ..

زعيم وطنى واحد لم يحظ بالاحتفال بذكراه ، كما لم يحظ بشىء فى حياته هو محمد فريد .. فقد ظلت ذكرى فريد منسية خمسين عاماً — إلى أن تذكرها الأستاذ فتحى رضوان فى نوفمبر سنة ١٩٦٩ ، فأقام لها حفلا كبيراً بدار الأوبرا .. وحتى فى هذه الحفلة قد لاحق الحظ فريداً ، فبدلا من أن تقام الحفلة فى الحادى عشر من نوفمبر — وهو تاريخ وفاة فريد — لم تقم إلا فى ٢٢ نوفمبر أى بعد موعدها بإحدى عشر يوماً :

إن حفلات الذكرى الثلاث التى كانت تقيمها الأحزاب فى الماضى ، بالإضافة إلى ذكرى يوم ١٣ نوفمبر ، يوم المطالبة بالاستقلال ، التى سبقت ثورة سنة ١٩١٩ هذه الحفلات الأربع كانت هى النوافذ السياسية الأربع التى تطل على مسيرة الأحداث فى البلاد حيث كان كل زعيم حزب يدخر مايريد أن يقوله للخطاب الذى سيلقيه فى هذه المناسبة وبهذا كانت تتحول هذه « الذكريات » إلى مؤتمرات سياسية ليس لأصحاب الذكرى فيها غير العنوان فقط !.

حرف الراء

رشدى :

أشهر الأسماء التى تبدأ بحرف الراء هو إسم « رشدى » فى الجيل الماضى هو حسين رشدى « باشا » رجل التاريخ الذى ظلمه التاريخ

لقد تولى حسين رشدى الوزارة مرات فى ظروف يعتبر كل ظرف منها نقطة تحول فى تاريخ البلاد .. فهو رئيس الوزراء فى وزارة سنة ١٩١٤ السنة التى أعلنت فيها الحرب العالمية الأولى وأعلنت فيها بريطانيا الحماية على مصر .. وتحت حكم « الحماية » البريطانية نفى الخديوى عباس وعين حسين رشدى قائمقام خديو إلى حين تعيين خلف للخديو المنفى ..

بعض المؤرخين يحملون رشدى مسئولية قبول هذا المنصب تحت هذه الظروف .. .. يبدوان هذا البعض لايعرف أن بريطانيا كانت تهدد يومئذ بتعيين أحد الأجانب ، مثل أغا خان وغيره رئيساً للدولة فى مصر وتعيين وزراء لرئيس الدولة من الإنجليز .. فقبول حسين رشدى هذه المسئولية قد أعفى مصر من أن يؤول الحكم فيها إلى نظام المستعمرات التى لا يشترك أبناؤها فى الحكم بأى قدر أو أية صورة .

صحيح إن أعباء ثقيلة قد فرضت على كاهل الشعب المصرى فى هذه الفترة لكنها كانت الحرب .. وما إن علم بأن هناك اتجاهاً لتشكيل « وفد » يمثل الشعب المصرى لتحقيق هذا المطلب حتى أفسح رشدى

الطريق أمام هذا الوفد .. . كان رئيس الوزراء رشدى هو الذى يعطى التعليمات السرية للعمد والمشايخ بجمع التوكيلات والاكتتابات للوفد ، وحين وجه المندوب السامى البريطانى نظره إلى ذلك أجابه صراحة بأن هذه حتمية الأمور . .

وصحيح أن رشدى كانت له من بعد آراء أخرى فى التفاصيل . . لكن . . يكفى أنه حين كلف بتشكيل وزارته الأخيرة قد اعتذر عنها فظلت البلاد بغير وزارة شهوراً حتى اضطر الإنجليز إلى الموافقة على بعض شروط ثروت « باشا » لتشكيل الوزارة ، ومنها إلغاء الحماية على مصر . . . .

لم يذكر المؤرخون ، إلا قليلا ، هذا الوجه من صورة رشدى وإن ذكروا الوجه المضاد من هذه الصورة ، إلى أن خطب سعد زغلول فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٥ مبشراً بالائتلاف بين الأحزاب وبين الساسة جميعاً فذكر أسماء الذين كان لهم سهم فى دفع الحركة الوطنية من بدايتها ، وفى مقدمتهم مصطفى كامل قبل حركة سنة ١٩١٩ ، وحسين رشدى عند مولد حركة سنة ١٩١٩ .

رخا :

لا أستطيع أن أتجول عن حرف الراء دون أن أذكر « رخا » أحد رفاق السلاح فى مهنة الصحافة . . إسمه بالكامل ، محمد عبد المنعم رخا .. وأول مرة رأيته فيها فى الثلاثينيات كنا كلانا نزيلين فى سجن الاستئناف . . . أنا لبعض أسابيع ، وهو لأربع سنوات حكم بها عليه

حكماً مشمولا بالأشغال الشاقة لاتهامه بما كان يسمى « العيب فى الذات الملكية » .

كان عجيباً أن يتهم رسام بالعيب فى الذات الملكية .. وهو العيب الذى لم يكن يتم قانوناً إلا بالكلام المكتوب ورخا رسام ، لكن هذا الرسام الشاب استطاع بفنه المبتكر أن يرسم ماتراه رسماً كاريكاتورياً عادياً ، فإذا قلبت الرسم على أحد جوانبه تحول الرسم إلى كلام ، وكان هذا الكلام يمثل القذف فى حق الملك فؤاد بعد أن ضاعفته يد مدسوسة عند حفر الرسم للإيقاع برخا ومع أنه لم يكن إلا معبراً عما يقوله عامة الشعب فى كل مجالاتهم الخاصة دون عقاب .. فقد عوقب لأنه نقل رأى عامة الشعب .. لكن هل أفادت هذه العقوبة القاسية فى تحول رخا الرسام عن شعبيته . . . كلا .

إن رخا قد تعلم رسم الكاريكاتير من الشعب .. تعلم هذا الفن من حوارى حى عابدين حيث كان التناقض قوياً بين قصر الملك فى هذا الحى وبين سكان الحى الآخرين .

لقد أفاد رخا فى فنه من رسوم « سانتس » أول رسام كاريكاتير أجنبى استقدمته الصحافة المصرية منذ نصف قرن .. لكن سانتس أو غيره من زعماء الكاريكاتير الأجانب لم يستطيعوا فرض شخصيتهم الفنية على رخا .. فرخا هو الذى خلق فى الشخصيات الكاريكاتورية التى تعبر عن آلام الشعب وسخريته ، ومن هذه الشخصيات الكاريكاتورية . المصرى افندى وميمى بك ومخصوص باشا ، ورفيعة

هانم .. فكل شخصية من هذه الشخصيات كانت تعبر عن واقع اجتماعى أو سياسى ملموس .. مهما بلغ من فن الكاريكست الأجانب فإن أحداً منهم لم يستطع بالطبع أن يصل إلى ماوصل إليه رخا من تمصير فن الكاريكاتير فى صحافتنا .

فرخا هو صاحب مدرسة الكاريكاتير المصرية فى الصحافة . وهو أستاذ هذه المدرسة الأول ، وقد يكون بعض تلاميذ هذه المدرسة قد نبغ نبوغاً فنياً لم يدركه رخا ، لكن رخا سيظل دائماً هو مؤسس هذه المدرسة فى تاريخ الصحافة المصرية .

لقد عمل معى رخا حين كنت رئيساً لتحرير جريدة « السياسة الأسبوعية » وزاملنى فى مجلس نقابة الصحفيين سواء حين كنت عضواً أو نقيباً . فكنت أجد فيه شيئاً أعجب من فنه . . . هذا الشىء هو قلبه .. إن رخا فى صباه وشبابه وكهولته على السواء له قلب طفل .

ذات مرة فى أحد انتخابات نقابة الصحفيين جاءنى رخا ليقول لى فى براءة الأطفال « أنا سأحاربك حتى تسقط » . فلما لم أسقط جاءنى ليقول لى : أنا عملت المستحيل لإسقاطك أما وقد نجحت فلا بد أن يكون خصومك قد غشونى .

وفى هذه الواقعة بكل جوانبها تبرز شخصية محمد عبد المنعم رخا .. الرسام .. والإنسان . . .

رودلف فالنتينو :

سأخرج على تقاليد هذا الأرشيف مرة وأنا أختتم حرف (الراء) باسم أجنبي .. لكن عذرى أو بعض عذرى أن جميع فتية وفتيات أواخر العشرينيات — وأنا منهم — كانوا يحفظون هذا الإسم .. إسم رودلف فالنتينو .. لقد تحول هذا الإسم فى أواخر العشرينات إلى أسطورة .. أسطورة حب تغلب على كل أساطير روميو وجوليت وقيس وليلى ..

كان رودلف فالنتينو نجما من نجوم سينما هوليود ، ويبدو من إسمه أنه كان إيطالى المولد .. كان أول أمره عاملا من عمال استديوهات السينما ، ثم اكتشفه المخرجون فإذا به بعد ثلاث سنوات فقط يغدو أشهر نجم سينمائى فى العالم وهو فى السابعة والعشرين من عمره .. وترجع هذه الشهرة كلها إلى الدور الذى مثل فيه حياة أمير عربى تجرى وراءه — الحسان .. لقد تحول هذا الخيال إلى حقيقة .. فبدأت حسناوات هليود بالسعى إلى فالنتينو . ثم تبعتهن حسناوات الولايات الأمريكية المتحدة كلها .. ثم سائر حسناوات العالم ..

لقد كانت صورة رودلف كثيراً ماتشاهد بين طيات الكتب والكراريس فى مدارس البنات .. كانت صورته كثيراً ماتشاهد فى الإطارات المعدنية فوق (التسريحة) فى غرف ملايين النساء فى جميع أنحاء العالم .. بل لقد كانت صاحبات الملايين يزرن هوليود لمجرد الأمل فى مقابلة رودلف .. وكانت أسعد لحظة بالنسبة لمن تعجز عن

مقابلته هى اللحظة التى تقف فيها وراء أسوار حديقته لتختلس النظرات إليه وهو يسبح فى حمام السباحة بحديقة داره . . .

والواقع أن رودلف فالنتيو كان من أكمل الشباب جسما فضلا عن قسمات وجه تلتقى فيها ملامح الرجولة الباكرة بحلاوة السمات .. ولعل رودلف فالنتينو كان أول من أرسل سوالف شعره على النحو الذى يصطنعه الآن (الخنافس) لكنه لم يكن يرسل بقية شعره مثلهم احتفاظاً منه بمظاهر الرجولة الكاملة .. وكان هذا الفتى أنيقاً إناقة طبيعية لكن إناقته كانت إناقة خشنة لا نعومة فيها .. تماماً كالأدوار السينمية التى كان يمثلها .. لقد كان فى تمثيله مثال الرجل الخشن الذى لا يفتعل الخشونة . كما يصنع المثلون الآن ، لكنه يمارسها وكأنه يمارس فناً من فنون الجمال ..

لقد مثل رودلف فالنتينو ثلاثة أفلام كبار .. لم تتسع حياته لأكثر منها .. فقد مات بعدها وهو فى عز الصبا والشباب حتى تكمل الأسطورة .. لكن هذه الأفلام الثلاثة كان لا يقل عرض الواحد منها فى أى بلد من بلاد العالم عن مائة يوم .. مائة يوم مليئة بتأوهات الفتيات من نظارة هذه الأفلام ، وكان بريد رودلف من النظارة يحتاج إلى مجموعة من السكرتيرين لا إلى سكرتير واحد .. ومن الطرائف أن بعض الحسان كن يرشين سكرتيريه ليقدم إليه خطاباتهن حيث لم يكن يستطيع أن يطلع على واحد فى الألف من هذه الخطابات .

ورودلف فالنتيو هو أول نجم سينمى تقام له التماثيل فى مدينة

السينما .. لأن عشيقاته قد اكتتبن فى إقامة هذه التماثيل .. وهو أول .. وأظن أنه آخر ، معبود نساء ترى المجتمعات النسائية العاشقة أنه شركة بينهن .. لعل السبب فى هذه العاطفة المشتركة أنه كان معبود النساء فى الخيال .. فلم تكن له عشيقة بذاتها .. ولهذا الخيال استمر هذا العشق له بعد مماته أيضاً .. فألفت عشيقاته ، بالاشتراك مع بعض الفنانين والفنانات ، الجمعيات التى تحمل إسم فالنتينو .. وقد قرأت إسم هذه الجمعيات منذ سنوات قليلة بمناسبة الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على وفاته .. وفى هذه المناسبة اكتشف محررو مجلات السينما أن حبه لا يزال مقيما فى قلوب بعضهن حتى الآن .

لقد تحول اسم فالنتينو من إسم شخص إلى رمز على الحب والجمال .. فكانت نجمة مسرح رمسيس فى قاهرة الثلاثينيات السيدة زينب صدقى تصف كل ما أو من هو محبوب أو جميل بأنه (فالنتينو خالص) .. وأول ما أطلقت هذه الصفة فى شارع الفن بالقاهرة ، وهو شارع عماد الدين ، أطلقت على نجم مسرح رمسيس إذ ذاك المرحوم أحمد علام الذى صار نقيباً للممثلين فيما بعد .

إنقاذ ما يمكن إنقاذه

أعترف أنى حين قدمت حرف (الذال) قد أخطأت الهجاء .. فالأصح لغة أن نقول حرف (الذاى) وها أنا أكرر هذ الخطأ فى حرف (الزال) فالأصح لغة أن تقول حرف (الزاى) .. لكن من هذا الذى يستطيع أن يدعى المعرفة بكل الخطأ وكل الصواب فى لغتنا العظيمة .. إن الصحيح فى رأى بعض الفقهاء قد يكون خطأ فى رأى البعض الآخر . . والعكس صحيح . . .

حرف الزال

زيور :

أحد ساسة العشرينات كان يحاول تطبيق هذه النظرية اللغوية فى دنيا السياسة وهذا السياسى هو أحمد زيور « باشا » الذى قبل تشكيل الوزارة فى ظرف من أسوأ الظروف السياسية التى مرت بها البلاد . . كان هذا فى أخريات سنة ١٩٢٤ .. فى أعقاب استقالة سعد زغلول من الحكم أثر الإنذار البريطانى الذى وجهه المندوب السامى البريطانى اللورد اللنبي إلى سعد زغلول بمناسبة مقتل سيرلى ستاك « سردار » الجيش المصرى وحاكم السودان إذ ذاك . . وقد وضع زيور لسياسة وزارته شعاراً هو « إنقاذ ما يمكن إنقاذه » . وكان هذا « الإنقاذ » هو تنفيذ كل ما جاء فى الإنذار البريطانى . .

كان زيور باشا « يسوق الهبالة على الشيطنة » فيقول إنه وزير « إدارى » وليس سياسياً . . ويقيم الدليل على هذا بدعوة الناخبين إلى استفتاء جديد لتشكيل برلمان جديد دون أن يتدخل كثيراً فى حرية الانتخابات . فلما جاءت الانتخابات ببرلمان له صورة طبق الأصل من برلمان سنة ١٩٢٤ أصدر زيور مرسوماً بحل هذا البرلمان فى يوم افتتاحه .. ثم غطى هذا الخطأ بأنه ليس إلا رجلا يمهد لقيام وزارة أخرى ترضى عنها كل الجهات . . وبالفعل جاءت هذه الوزارة برياسة ثروت وبموافقة سعد وبتشكيل ائتلافى من الأحزاب جميعاً ..

هل كان هذا كله عملا إدارياً ؟ . . الواقع أنه كان عملا فى صميم السياسة التى كانت ترسم لزيور باشا فينفذها حتى على نفسه . . ولهذا وصفه عبد العزيز البشرى بقوله « حطوه وزيراً فانحط » .

زكى :

فى أرشيفى الذهبى ثلاثة باسم « زكى » ؟

أولهم زكى أبو السعود باشا ، وكان رجلا من تشكيلة زيور باشا . . فحين غضب الملك فؤاد على عبد العزيز فهمى « باشا » وكان يشغل منصب وزير العدل ، لأنه رفض فصل الأستاذ على عبد الرازق من القضاء بعد ظهور كتابه « الإسلام وأصول الحكم » . وحين رفض عبد العزيز فهمى أن يستقيل من الوزارة لأنه خالف إرادة الملك — عين الملك أحمد على باشا ثم زكى أبو السعود باشا وزيراً للعدل دون إقالة عبد العزيز فهمى . . !

وذات صباح ذهب عبد العزيز فهمى إلى الوزارة فوجد الوزير الجديد فى مكتبه .. فقال له : بما أنى لا أستطيع مبارزتك ، فليس أمامى إلا أن أنسحب . .

ثانيهم أحمد زكى « باشا » صاحب « المكتبة الزكية » التى نقلها فى حياته من بيته فى الجيزة إلى قبة الغورى لتكون مكتبة عامة .. لقد كان لأحمد زكى باشا لقب شعبى غير لقبه الرسمى . . هو لقب « شيخ العروبة » وقد أطلق عليه هذا اللقب أصدقاء من البلاد العربية الشقيقة فاقترن باسمه حتى كان اسمه لا يذكر فى صحفنا إلا مقترناً بهذا اللقب .

وترجع هذه التسمية إلى أن زكى باشا بعد أن أحيل إلى التقاعد فى العشرينات من منصب السكرتير الدائم لمجلس الوزراء قد وضع مخططاً واسعاً للوحدة الفكرية بين المثقفين العرب ، وكانت مقالاته الكثيرة على صفحات الإهرام تدور حول هذا المخطط ، كما كان بيته على شاطىء النيل بالجيزة مقراً لاجتماعات الوافدين على القاهرة من البلاد الشقيقة . . تقام لهم فيه الحفلات وتعقد الندوات . . كان زكى باشا رجلا غير ذى ولد ، فكان ينفق كل دخله فى هذا الأسلوب من الحياة .

أما ثالثهم فهو الدكتور زكى مبارك . . وزكى مبارك هو آخر من حصلوا على شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة فى سنة ١٩٢٤ ، وأول من اشتغل معيداً ثم مدرساً فى الجامعة المصرية الجديدة بعد قيامها فى سنة ١٩٢٦ . .

كان زكى مبارك يريد أن يكون طه حسين آخر .. فقد نشأ أزهرياً مثله ، وتعلم اللغة الفرنسية فى المدارس[1] الليلية ، وسافر إلى فرنسا — على نفقته! — ليحصل على الدكتوراه من باريس .. ولما كانت هذه الدكتوراه الباريسية ليست نتيجة بعثة فقد تقدم إلى جامعة القاهرة وهو يعمل بها مدرساً ، للحصول على الدكتوراه منها .. ثلاث شهادات دكتوراه حصل عليها زكى مبارك فى أقل من عشر سنين .. ولهذا كان يسمى نفسه « الدكاترة زكى مبارك » .

أقول يسمى نفسه .. لأنه كان أجرأ كاتب جامعى يكتب للناس فى أعماق نفسه دون تحرج ..

لقد فصله الدكتور طه حسين بوصفه عميد كلية الآداب من الجامعة بسبب تهوره فى موقف جامعى ، فكتب فى جريدة « البلاغ » يقول : «يوم لا أجد طعاماً لأبنائى فسأشوى لهم لحم الدكتور طه حسين» .. ولما اشتدت حملته فى الصحف على طه وأبدى الدكتور طه أسفه لأن يكون هذا الأسلوب أسلوباً لأحد (تلاميذه) رد زكى مبارك قائلا : « هذا — يا أستاذى — بعض ما علمتنى » .

كان زكى مبارك رجلا عجيباً حقاً ، وأكثر من أعجب به العراقيون فعينوه أستاذاً للأدب العربى فى جامعة بغداد .. لكن حنينه إلى الصحافة المصرية قد عاد به إلى القاهرة ليكتب كل يوم .. ثلاثة أعمدة فى جريدة « البلاغ » .. كان كاتباً سيال القلم .. يكتب بسهولة عجيبة .. وليس أدل على هذه السيولة من كتابه عن « الشعرانى » .. لقد كتب

عن صاحب هذه الشخصية فقط مجلدين يكاد يبلغ مجموع صفحاتهما ألف صفحة ..

لقد كان زكى مبارك يبدو كواحد من عتاة أدباء العرب القدامى هرب من الماضى بكل كنوزه ، لا إلى عصره فقط .. بل إلى ما بعد عصره أيضاً . كان يعيش الأدب كما يكتبه ويكتب الأدب كما يعيشه إلى آخر يوم فى حياته ، وكان يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٥٢ .

زين :

لقد اشتهر زكى مبارك فى حياته بأنه كاتب ، لكنه كان يرى أنه شاعر ، وله قصيدة بعنوان « مصر الجديدة » كان يحدثنى عنها دائماً بأنه قد نظمها «ليتحدى بها كل شعراء العالم» .. ولم يكن زكى مبارك يحسب حساب أحد من شعراء عصره فيما عدا الشيخ أحمد الزين .

لقد عملا معاً فى دار الكتب فترة ، فكانت مناظرتهما فى الشعر حديث الدار كلها .

كان أحمد الزين ثانى اثنين فى الماضى أعفيا من الكشف الطبى عند التوظف ، أما الأول فهو ، الطبع ، أستاذنا طه حسين .. ومع هذا فقد كان الشيخ الزين يشتغل فى دار الكتب مراجعاً .. ولعله كان أكفأ المراجعين .

ولقد كان الشيخ الزين .. الكفيف .. فى مقدمة الذين ثاروا على الزى التقليدى للأزهريين .. ليلبس الملابس الأوربية ، وتأنق فيها رغم دخله المحدود ، لكنك ما كنت تسمعه يتحدث حتى تشعر بأزهريته

لقد كانت أية ندوة للشعر لا يشترك فيها الزين تعتبر ناقصة ، فقد كان شاعراً من طراز قديم ممتاز .

إن أحمد الزين كان أحد أعضاء الثلاثى الثانى بين شعراء العشرينات والثلاثينيات فكما كان يقال : « شوقى وحافظ ومطران » كان يقال أيضاً : « الكاشف ومحرم والزين » . ومع هذا كله فقد غدا الزين فى المنسيين . . ! !

زينة :

من الكلمات الزائية التى قل الآن تداولها كلمة « زينة » .. لقد كانت كلمة زينة تعنى فى الماضى أشياء غير ما تعنيه الآن .. إنها الآن تنسحب على التزين الذى تسميه السيدات « تواليت » بينما هى فى الثلث الأول من القرن العشرين كانت تعنى مظاهر الأبهة التى كانت تحيط بالقصر الملكى الذى كان من قبل قصراً سلطانياً ، وكان من قبل قصراً خديوياً ..

وكانت هذه « الزينة » تتألف من سرية من سرايا الحرس « تزدان » بأثواب مزركشة وملونة .. وكانت هذه السرية أحياناً من جنود « السوارى » — أى راكبى الخيل وأحياناً من « البيادة » أى المشاة ..

وعند الساعة العاشرة صباحاً تخرج هذه السرية من ثكنات الحرس بميدان عابدين لتقف أمام القصر فى طابور تحية للملك أو السلطان أو الخديوى ، بمناسبة استيقاظه من النوم فى هذه الساعة ، ثم تظل موسيقاها تعزف الألحان الشجية على آلاتها النحاسية ثلاثين

دقيقة بمعدل لحن كل عشر دقائق ، وبشرط ألا يتكرر عزف لحن منها إلا فى الأسبوع التالى أو الذى يليه . . .

وكانت هذه العملية تتكرر بصورة أخرى عند ما يعتزم الملك أو السلطان أو الخديو الخروج من قصر عابدين إلى أى جهة أخرى ، وهو مالم يكن يحدث كل يوم .. وكان الجمهور يعرف من طريقة اصطفاف هذه السرية ومن طريقة استعداد موسيقاها للعزف — ما إذا كانت تستعد لمجرد تحية الصباح أو هى تستعد لتحية « المليك » بمناسبة خروجه ..

ولهذا ألف شعراء الشعب بروحهم الساخرة المعروفة فى الماضى البعيد زجلا كان يردده الناس فى مجالسهم الخاصة ضاحكين .. وكان هذا الزجل يقول «أفندينا دخل الزينة .. ضربوا له سلام بالمزيكه» .. وكنا ونحن أطفال نردد هذا الكلام على أنغام «السلام الملكى» . .

زواج :

وبمناسبة « الزينة » لست أظن أن الناس كانوا يتزينون فى الماضى — كما كانوا يتزينون للزواج .. لم تكن زينة الزواج فى الماضى قاصرة على العروسين .. بل لقد كانت الثياب الجديدة تصنع لكل أفراد الأسرتين المتصاهرتين .. وكان من المألوف بين « بنات الذوات » أن تسمع من إحداهن قولها « هذا الفستان فصلته على فرح فلان أو فلانة » ..

أما زينات حفلات الزوجية فكانت شيئاً هائلا .. أذكر أن إحدى قريباتى قد تزوجت فى طفولتى وهى من سكان ضاحية حلوان ، فإذا

بالعريس يقيم معالم الزينات فى جميع شوارع حلوان ابتداء من المحطة إلى الجبل .. وإذا بالموسيقات تعزف فى كل هذه الشوارع .. لماذا لست أدرى .. ؟!

لقد اخترع الإنسان مخترعات لا حصر لها ابتداء من الحجرين اللذين كان يستخدمهما لإشعال النار إلى القنبلة الهيدروجينية إلى الأقمار الصناعية إلى مراكب الفضاء .. بعض هذه المخترعات قد اختفى فى طى الأزمان .. وبعضها تطور .. وبعضها تغير . أما الاختراع الوحيد الذى لم يتغير قط وإن اختلفت أشكاله ، فهو إختراع الزواج ..

إن الزواج هو أول اختراع عرفه الإنسان منذ عشرات الألوف من السنين .. ربما أكثر وربما أقل .. فكل ما كان قبل « الزواج » من متطلبات الغرائز كان مكتشفات . أما تنظيم غريزة الحياة بنظام اسمه « الزواج » فهذا يعتبر اختراعاً .. هو الاختراع الخالد الذى لم ينجح أى بديل له حتى الآن ..

وليس من شك أن الإنسان كان ملهماً فى هذا الاختراع .. ذلك أن الزواج هو الذى يجمع بين أسباب الحب والحنان والأبوة والأمومة وتنازع البقاء وبناء الأسرة وبناء المجتمع والحض على الحرب والدعوة للسلام والسعى فى سبيل الرزق وارتفاع هذا السعى إلى مستوى العبادة .. والجرأة فى الدفاع عن البيت .. والبيت هو الوطن .. والحذر من تعريض أهل البيت للمهالك .. والتفنن فى وضع الميزانيات والتفلسف فى إرساء قواعد التربية واعتبار الأخلاق ضرورة ومحاربة الفساد ضرورة أخرى .

تصور عالماً ليست فيه هذه المعانى ؟ .. ولولا اختراع الزواج لما كانت هذه المعانى كلها بالصورة المغروسة فى نفاوسنا وضمائرنا وعقائدنا .

ومع هذا كله ، فالزواج قيد لكنه القيد الذى تحبه المرأة ، وحب الرجل للمرأة غريزة تقود الرجل إلى هذا القيد سواء أراد أو لم يرد .

لقد فكر الإنسان فى اختراع بديل عن الزواج .. وكان المفكر دائماً هو الرجل لأن المرأة لا تفكر فيما لا يجدى ، وقد كان تفكير الرجال فى هذا البديل لا يجدى دائماً وأقصى ما استطاع أن يقوله الرجل عن الزواج على لسان أحد الفلاسفة هو « أن الزواج شر لابد منه » .. أو هو بمعنى آخر الخير الذى يثاب عليه المرء رغم أنفه . .



سين وجيم

حرفان لا يمكن أن تخلو منهما حياة إنسان : س ، ج . . لقد اشتهر حرف السين بأنه « سؤال » وحرف « الجيم » بأنه « جواب » وقد أخذت هذه الشهرة طابعاً رسمياً معمولا به بحكم القانون . . فأى قاض أو محقق إذا وجه لأى إنسان سؤالا فى أى تحقيق قال « س » . . فإذا أجاب المسئول عن سؤال المحقق قال : « ج » . . وتحقيق الناس مع الناس ليس قاصراً على جهات القضاء . . إنه تحقيق متواصل فى الحياة اليومية داخل البيوت وخارجها فأنت تسأل الطفل فى سنته الثانية عن إسم أبيه . والمدرس يسأل التلاميذ عن دروسهم والامتحانات تسمى أسئلة ، وما يقول التلاميذ فيها يسمى أجوبة .

وأنت حين تحب وتتقدم لخطبة من تحبها كان لا بد من الأسئلة . . بل المحبة والزوجة لا تستثنى يوماً واحداً بلا أسئلة لمن تحبه أو تزوجه ، والزوج أيضاً له أسئلة لا تنتهى زوجته وأولاده . . وحتى حينما يصل الناس إلى مراكز الصدارة فإن الصحفيين يلاحقونهم بالأسئلة لينشروا ما يحصلون عليه من إجاباتهم . . فالسين والجيم يقومان بدور « البوهرات » التى لا يخلو منها أى طعام . . أحياناً تكون هذه التوابل حلوة وأحياناً تكون مرة للذاق .

حرف السين

سنهوري :

اسم السنهورى هو الإسم السينى الذى يشغل حيزاً خاصاً في إرشيفى الذهنى والسنهورى مثل من أمثال العصامية . . لقد توظف بشهادة البكالوريا ، أى الثانوية العامة ودرس « الحقوق » وهو موظف ، فكان فى مقدمة الفائزين بشهادة الليسانس ، ولم يكتف بالليسانس فحصل على الدكتوراه من الخارج وأصبح الكاتب الصغير فى أحد المرافق أستاذاً فى القانون .

لم أعاصر ، أنا ، هذه الفترة ، فالسنهورى من الجيل السابق علينا ، لكننى عاصرت الفترة التى أراد فيها وزير المعارف — أى التربية والتعليم — أن يعين الدكتور السنهورى وكيلا للوزارة ، فلما لم يستطع عينه سكرتيراً عاماً للوزارة . . وكانت هذه هى الخطوة الأولى التى تحولت بالسنهورى من كرسى الأستاذية إلى كرسى المناصب الإدارية إذ ما لبث أن عين وكيل وزارة فوزيراً للمعارف . . وكان مجلس الدولة قد بدأ يتبوأ مكانه فى أنظمة الدولة ، فرؤى أن أنسب من يتولى رياسة هذا المجلس هو السنهورى .

وإذا كان منصب الوزارة لم يظهر كل مواهب السنهورى — فإن هذه المواهب قد ظهرت فى مجلس الدولة . . ظهرت هذه المواهب إلى لدارجة التى أثارت عليه القصر الملكى فى الماضى فطالب القصر الحكومة

بأحد أمرين : إما إلغاء مجلس الدولة ، وإما الاستغناء عن خدمات السنهورى . . وكانت الثانية أيسر سبيلا . . لكنه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ عاد إلى رياسة مجلس الدولة . . إلى أن أحيل إلى التقاعد . .

لكن . . هل تقاعد السنهورى ؟ . . أوهل يمكن للذهنية النابضة أن تتقاعد ؟ الذى حدث أن السنهورى قد ندب لوضع الدساتير فى أكثر من بلد عربى . . ثم عاد إلى بلده ليحول تقاعده ، رغم تقدم السن وتأخر الصحة ، إلى بحوث فقهية .

سيد :

حينما كان السنهورى وزيراً كان لى صديق يشغل وظيفة سكرتير للوزير . . الصديق هو سيد نوفل .

لقد تخرج نوفل فى كلية الآداب سنة ١٩٣٥ واختير لتفوقه كى يكون أميناً لمكتبة من مكتبات الجامعة ، لكنه كان يتجه بطبيعة ميوله من قبل إلى الصحافة الأدبية بالذات . . فكم من الصفحات الأدبية كتبها نوفل أو أشرف عليها فى الصحف . . لكن الإنسان لا يصنع قدره . . فقد اختاره الدكتور هيكل « باشا » لكى يكون سكرتيره فى وزارة المعارف — وزارة التربية والتعليم — سنة ١٩٣٨ . . وترك هيكل الوزارة ، لكن الوزراء الذين تعاقبوا من بعده كانوا حريصين على وجود نوفل فى مكاتبهم بالرغم من أن معظمهم كان يعلم أن لهذا الشاب آراء تختلف عن آراء . . وهذا هو سر سيد نوفل .

لقد كان دائماً رجل العمل الذى يعرف مسئولياته جيداً ولم يكن يتخطى هذه المسئوليات إلا إلى ما هو أفضل .

كل الوزراء الذين عمل معهم سيد نوفل سكرتيراً ثم مديراً لمكاتبهم كانوا يرون فى هذا الشاب عقلا يرتب لهم أعمالهم ، لا التى ستعمل اليوم ، بل والتى ستعمل غداً ، وكانت له من ثقافته قدرة خاصة على أن يريح وزيره من عداد البيانات أو الخطب أو التصريحات الصحفية . . لقد بلغ من كفاءته فى هذه الناحية أن كان وزيره يفوضه فى تصحيح كلام الوزير نفسه .

ولقد شغل سيد لعدة سنين منصب مدير مكتب رئيس مجلس الشيوخ ، فإذا بهذه الملكة الأدبية فى مراجعة كل أعمال المجلس تؤهله لأن يكون فى نفس الوقت مدير الإدارة التشريعية فى هذا المجلس . . إنها وظيفة تحتاج إلى رجل قانون ، لكن توفر نوفل على دراسة عمله جعله يفوق رجال القانون فى القيام بمهام هذه الوظيفة . . فلما قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وشكلت أول لجنة لوضع الدستور اختارت هذه اللجنة سيد سكرتيراً عاماً لها .

هذه النزعة الدراسية فى حياة هذا الرجل التى جعلته يحصل على شهادتى الماجستير والدكتوراه وهو المسئول عن مكتب الوزير الذى يحمل أعمال المكتب أو الوزارة معه لينجزها فى بيته . ومع هذا فإن هذه الأعمال لم تستطع أن تعطل المسيرة الذهنية فى حياة نوفل وهى المسيرة التى حصل فيها على هاتين الشهادتين ، وأهلته لأن يكون مؤلفاً ومحاضراً ممتازا فى أكثر من معهد رغم الشواغل الجمة التى كانت تلاحقه فى عمله دائماً .

ومنذ سبعة عشر عاماً عين الدكتور سيد نوفل مديراً للإدارة التشريعية بجامعة الدول العربية ، ثم خلا منصب الأمين العام المساعد للجامعة ، وهو من المناصب التى تحتفظ بها الجامعة العربية للدبلوماسيين البارزين من مختلف الدول العربية .. لكن كفاءة هذا الرجل الذى كان يشغل وظيفة مدير الإدارة التشريعية قد حققت له إجماع مجلس الجامعة على أن يشغل منصب الأمين العام المساعد .. ومنذ تولى سيد نوفل هذا المنصب وهناك إحساس بأن دماً جديداً قد ظهر فى هذا المكان .. وخاصة حين مثل نوفل الجامعة العربية فى الدورة العشرين للأمم المتحدة .

حرف الشين

شعراء :

إن نشاط سيد نوفل الأدبى ، إلى جانب نشاطه العملى ، يذكرنى دائماً بالشعر .. فقد كان موضوع أول كتاب أخرجه هو « شعر الطبيعة » وقد أحرز بهذا الكتاب درجة الماجستير بتفوق ، لأنه نجح فى معارضة القائلين إن الشعر العربى القديم لم يتغلغل فى أوصاف الطبيعة كالشعر فى اللغات الأجنبية الحديثة .

وبهذه المناسبة أذكر أن هناك خطأً شائعاً فى المجالات الأدبية المعاصرة حول الشعر .. بعض الأدباء المحدثين يحسبون أن الشعر المرسل الذى يزحف فى هذه الأيام شىء جديد ، وهذا غير صحيح ، فإن الشعر المرسل قد ظهر فى مصر منذ أكثر من أربعين عاماً ،

والضجة التى تقوم حوله الآن ليست إلا مصغراً للضجة التى ظهرت حوله فى الثلاثينيات .. كان النقاد فى الثلاثينيات يسمونه « الشعر المنثور » . والشعر المنثور ليس صناعة مصرية فى نشأته .. إن أول من اهتم به حديثاً هم الأدباء اللبنانيين ، وخاصة منهم أدباء المهجر ، وفى مقدمتهم جبران خليل جبران ، وله فى هذا اللون من الشعر عدة دواوين ، ربما كان أشهرها ديوان « للواكب والكواكب والدرر » الذى ظهر فى العشرينات وكانت الأديبة النابغة « مى » فى حبها لجبران خليل جبران تصنع مثل ماصنع فى كتابه الشعر المنثور .. ولقد ظهر فى القاهرة إذ ذاك أدباء شبان شكلوا منذ عشرات السنين مدرسة الشعر المنثور ، ولعل فى مقدمتهم الأستاذ حسين عفيف القاضى والأستاذ على مراد وقد أحيلا منذ فترة قصيرة إلى التقاعد .

لقد كانت للشعر دولة فى مصر ، وبخاصة فى العشرين سنة الثانية من عشرات القرن العشرين .. وكان من مظاهر هذه « الدولة » أن كان من بين وظائف الديوان الملكى وظيفة تسمى « شاعر صاحب الجلالة الملك » وكان يشغل هذه الوظيفة المرحوم الشيخ عبد الله عفيفى (بك) .. ثم كانت هناك الألقاب التى تمنحها الصحافة للشعراء فشوقى كان أمير الشعراء ، وحافظ إبراهيم شاعر النيــل ، وخليل مطران شاعر القطرين ، ورامى شاعر الشباب . . . الخ .

ولقد كان من أسلوب العصر أن برامج الحفلات السياسية كانت لاتخلوا مطلقاً من الشعر .. ففى كل حفلة سياسية من حفلات حزب الوفد كان لابد من قصيدة للعقاد .. ولما اشتد الخلاف بين الحزب

الوطني وبين الوفد أقام الوفديون حفلة تكريم للعقاد ونادوا به أميراً للشعراء ، وكان الذى أعلن هذا النداء فى الحفلة هو أستاذنا الدكتور طه حسين .. .. ومعنى هذا أن الشعر كان يخوض المعارك السياسية بحرارة ..

وكانت لدولة الشعر نوادرها .. بل وكان لها شهداؤها .. ومن أطرف نوادر الشعراء أن أبلغ شعراء البؤس المرحوم عبد الحميد الديب كان يمتدح بقصائده إبراهيم دسوقى أباظه « باشا » الذى أنشأ فى بيته « رابطة أدباء العروبة » وقد نسى دسوقى أباظة يوماً أن يكافىء الديب على إحدى قصائده ، فإذا بالديب يعبر عن ضيقة لهذا النسيان بقصيدة هجاء لدسوقى من عشرة أبيات وسمع دسوقى بهذه القصيدة وأعجبته بلاغتها فبعث فى طلب الديب وقدم له بعدد أبياتها جنيهات رغم أنها فى هجوه .. وما إن رأى الديب ، وربما لأول مرة ، الجنيهات العشرة حتى قال للوزير .. «تسمح أكمل القصيدة ياباشا ؟» .

ومن طرائفهم أيضاً أن الشاعر محمد مصطفى حمام قد ألف قصيدة فى الشكوى من حال مؤذنى المساجد ، وفى حفلة بدار دسوقى أباظة — وكان وزيراً للأوقاف — وقف حمام فألقى هذه القصيدة على طريقة أذان المؤذنين ، وكان مطلعها : « ياوزير الأوقاف نسألك الإنصاف » .

أما شهيد الشعر الذى رأيت استشهاده فكان الشاعر الكبير على الجارم .. كانت هناك حفلة بقاعة الجمعية الجغرافية أعد لها قصيدة ،

وفى يوم الحفلة مرض ، لكنه أصر على حضور الحفلة ، ثم زاد عليه التعب فوكل إلى ابنه إلقاء هذه القصيدة .. وبينما كان الإبن يلقى قصيدة أبيه إذا بالأب يسلم الروح وهو يردد الأبيات التى كان ولده يلقيها .

شهداء :

وبمناسبة الاستشهاد أذكر أن مصر قد رأت عن الاستشهاد ألواناً منذ سنة ١١١٩ حتى الآن .. وكان أعجب هذه الألوان استشهاد الشباب فى سبيل العلم .. ففى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ضاق عدد من الطلاب بالدراسة فى مصر ، فسافروا معاً إلى ألمانيا لاستكمال دراستهم . . . وفى ألمانيا لحقهم ما كان ينتظرهم من الاستشهاد فى مصر ، لكن بأسلوب آخر .. فبينما كان القطار يحملهم من بلد إلى بلد فى ألمانيا — إذا به يصطدم بقطار آخر ، فأصيب كل من فيه ، واختار القدر أن يكون الطلاب المصريين هم أصحاب الإصابات القاتلة .. وأطلق عليهم اسم شهداء العلم .

.. وكم فى تاريخ مصر من أمجاد فى الاستشهاد .

الصحافة ولغة الضاد

الصاد هو أحب الحروف وأقربها إلى الصحفيين .. فمن الصاد تبدأ مادة « صحافة » .. و « الصحافة » كلمة جديدة في اللغة العربية لا يزيد عمرها على مائة عام .. وقبل المائة عام كانت الصحف تسمى « غازيته » ثم تطورت كلمة « غازيته » إلى كلمة جريدة .. وكان الصحفي يسمى « جرائدى » وظلت هذه التسمية شائعة في بلاد المغرب العربي إلى منتصف القرن العشرين .. ثم ظهرت كلمة صحافة وانتشرت وأصبح لها مدلول معين يعرفه الناس جميعاً .

وكان من رأى الصحفي العظيم الدكتور محمود عزمي أول من رأس معهد الصحافة العالى في مصر — كان من رأيه أن العمل الصحفي يسمى « التصحيف » والتصحيف في اللغة العربية يعني تفسير الألفاظ .. ومن طرائف اللغة أيضاً أن « الصحفي » هو الذي يأخذ العلم من الصحف بمعناها الأصلي الذي جاء في القرآن بقوله « فيها صحف قيمة » والواقع أن الصحفيين القدامى كان الجانب الغالب على ثقافتهم ناتجاً عن اطلاعهم قبل أن توجد معاهد الصحافة .. ثم أصبح الصحفي هو الذي يعطي ما يعلم للناس في صحفه . . ومع هذا فإن الصحفي الذي « لا يأخذ العلم من الصحف » كما تقول قواميس اللغة ، يعتبر صحفياً غير متطور كأى صاحب مهنة لا يطلع على ما جد فيها من مؤلفات .

حرف الصاد

صالح :

أول من عرفت من الصحفيين باسم « صالح » هو « صالح جودت » عرفته وهو طالب بكلية التجارة .. وحين قدمه الأصدقاء إلى حسبته طالباً ، أو متخرجا ، فى كلية الآداب .. لقد كان يتحدث إلينا بأبيات من الشعر حسبتها لأول وهلة « مقتبسة » من دواوين كبار الشعراء إلى أن قرأت شعره فى بعض المجلات ، فآمنت بأنه قائلها — لقد كان ناشئة الأدب على عهد صبانا يدنون بالأدب من الاقتصاد فى تحركاتهم لمقاطعة البضاعة الأجنبية ودعوتهم إلى تشجيع البضاعة الوطنية .. أما صالح جودت فكان يدنوا باقتصادياته من الآداب .

وحين تخرج صالح كان الإقبال على خريجى كلية التجارة عظيما من المؤسسات الاقتصادية الجديدة ، ولكن صالحاً فضل على كل الدواوين ديواناً من الشعر ينظمه ثم يخرجه للناس .. ولقد ربط الشعر بين صالح جودت وأهل الفن .. وفجأة ظهر بين صفوف شعراء الأغانى . على أن شعر الأغانى قبل جيلى لم يكن مورداً للعيش فكان ولا بد لهذا الشاعر الشاب أن يعمل وهو مصمم على ألا يعمل بالمحاسبة التى يثرى العاملون فيها .. ومن هنا عرف طريقه إلى الصحافة .

دخل صالح جودت الصحافة من باب دار الهلال ، ولا يزال يعمل بها حتى أصبح أحد نجومها الأوائل لكن .. هل استطاع أن يحصر

شهرته فى عمله الصحفى : .. كلا إن صالح جودت حتى بعد أن وصل إلى الصفوف الأولى بين زملائه الصحفيين لا يزال محسوباً فى نظر الناس على عالم الشعر والشعراء .

إن هذا الزميل لم يستطع أن يتخلص مرة من سلوب حياته كشاعر .. فمنذ بضع سنين قام برحلة صحفية إلى أمريكا ، وعاد فكتب عن هـذه الرحلة كأحسن وألمع ما يكتب فى الرحلات الصحفية .. لكنه ما كاد ينظم فى هذا المجال قصيدة واحدة حتى غطى شعره على كل ما كتب ..

لقد عرفت فى دنيا الصحافة صالحاً آخر غير صالح جودت .. هو صالح البهنساوى الذى احتفلت جريدة الأهرام ، منذ سنين ببلوغه أربعين سنة من العمل المتواصل فيها .. إنه من الصحفيين القلائل جداً الذين يتمركز تاريخ حياتهم فى صحيفة واحدة .. وهو بهذه الصفة كان شيخ الأهرام الذى تروح وتجىء عليه العهود والشخصيات وهو فى مكانه لا يتغير وليس شك أن أغزر مرحلة فى حياته الصحفية هى المرحلة التى كان فيها أنطون الجميل رئيساً لتحرير الأهرام .. إن أنطون هو الذى اكتشف صالح فاتخذه أميناً لسره ، وأعد له غرفة صغيرة تجاور غرفة رئيس التحرير ، وكانت هذه الغرفة الصغيرة تتسع لمن تضيق بهم ندوة أنطون الجميل . أى أن جريدة الأهرام فى الماضى كانت ذات ندوتين ندوة أنطون الجميل ، وملحقها فى ندوة صالح البهنساوى .. وهى الندوة التى وثقت العلائق بين صالح وبين عدد من كبار

الشخصيات .. وعلى أساس هذا التوثيق كانت الأهرام تندب صالحاً لكل المهام الصحفية فى القصر الملكى ..

وهنا تعرض صالح لمشكلة .. ذلك أن هذه المهمة لا بد فيها من ثياب رسمية ، والثياب الرسمية لها أبعاد لا تتفق مع حجم صالح الذى يسمى حجم « الكارت بوستال » لكن صالح نجح فى تفصيل هذه الثياب على حجمه إلى الدرجة التى جعلت أناقته فيها تلفت الأنظار ..

فى هذا الجو حصل صالح البهنساوى فى سنة ١٩٥١ على لقب البيكوية .. لكن صالح « بك » لم ينس قط أنه « مندوب » يجرى وراء الخبر .. وبهذه الروح نجح صالح بعد قيام العهد الجديد .

إن صالح البهنساوى الذى تلقاه فتلقى المرح بكل فنونه لا يغفل عن واجب قط .. لقد أجرينا ذات مرة إحصاء عن الزملاء الذين يسارعون إلى تعزية زملائهم فى أى مصاب فإذا باسم صالح البهنساوى يتقدم الجميع ..

وصالح البهنساوى هو أول من فكر فى تنفيذ مشروع القصاصات الصحفية .. حين اكتشف صالح قلة اهتمام مجتمعنا بهذه القصاصات إتخذ من مشروعه خدمة خاصة يؤديها لزملائه مجاملة لهم فى المناسبات التى تتصل بأشخاصهم .. وشىء صحفى جديد آخر نفذه صالح هو إنشاء جريدة أسبوعية متخصصة فى سباق الخيل .. وكان اسمها « شيخ الصحافة » ولعل القدر قد ربط بين اسم هذه الجريدة وبين

صاحبها الذى كان شيخ الندو بين الصحفيين فى مرحلة من أغنى مراحل الصحافة المصرية ..

حرف الضاد

ضمير :

فى جيل الصحافة الماضى لم يكن فى الصحافة العربيـة كلها حرف أشهر من حرف الضاد لقد كان هذا الحرف وحده عنواناً على اللغة العربية كلها .. كان الصحفيون والأدباء بل والسياسيون إذا أشاروا إلى اللغة باعتبارها مقوماً من مقومات الوحدة العربية وصفوا هذه اللغة بأنها (لغة الضاد) .

كنا ونحن طلاباً أو صحفيين مبتدئين أينما ذهبنا لنستمع إلى خطباء العروبة الذين ينادون بالوحدة العربية لابد أن نسمع كلمة « لغة الضاد » وكلما قرأنا مقالا عن الوحدة العربية كان لابد أن نجد فيـه أكثر من مرة كلمة « لغة الضاد » .

بيد أن الصحفيين والأدباء القدامى كانوا مقتنعين بأنه يستحيل على غير العرب أن ينطقوا حرف الضاد .. ويبدو أن هذا الاقتناع قد تضاءل مع زيادة الاتصالات بين العرب وبين شعوب أخرى كثيرة .

أما على عهدنا فقد حلت كلمة ضادية أخرى محل « لغة الضاد » . فى الأوساط الصحفية

هذه الكلمة هى « الضمير الصحفى » فبعد أن أصبحت الصحافة فى البلاد العربية كياناً قومياً وعالمياً له آداب تقنن وأصول تدرس ظهرت

كلمة « الضمير الصحفى » باعتبارها صفة للمسئولية الصحفية التى تعددت فى وصفها اللوائح والقوانين والمواثيق والكتب وآخرها بالعربية كتاب « أزمة الضمير الصحفى » للأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة العميد السابق لقسم الصحافة بجامعة القاهرة و جامعة بغداد وجامعة أم درمان .

ضجة

ومن أشهر الكلمات الضاحكة فى الصحافة العربية فى الماضى كلمة « ضربنى وبكى وسبقنى واشتكى » لقد كانت هذه العبارة من أشهر العبارات فى الصحافة العربية من خلال تعليقاتها على موقف إسرائيل فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات .. كان أسلوبها العدوان فإذا رددنا عدوانها هرعت إلى مجلس الأمن شاكية كأننا نحن المعتدون وملأت صحافتها فى الخارج بالعويل .. وكان من أشهر الكلمات الصحفية فى الماضى كلمة « ضجة » فقل إن كان وصف الجلسات البرلمانية يخلو من هذه الكلمة .. ومن أطرف النكت السياسية بهذه المناسبة أن بعض رجال الريف قد عاب على عضو فى البرلمان صمته على طول جلسات المجلس .. قال لهم العضو لابد أنكم لا تقرءون مضابط الجلسات فرد أحدهم بقوله هاهى المضبطة أمامنا ، فأين أنت مما ورد فيها .. وهنا قلب العضو صفحات المضبطة إلى أن عثر على كلمة « ضجة » فقال لهم : أنا هنا ..

حياة كلها تحديات

مظلوم حرف الطاء ، فيه كلمة « طماع » وقد جرى العرف على أن الطماع إنسان سيء ، مع أن « الطمع » فى اللغة هو الأمل فى الحصول على شيء .. لكن « الأمل » كلمة محبوبة جداً ، بينما « الطمع » كلمة بغيضة جداً .. وبحرف الطاء تبدأ « كلمة طعمية » وهى أشهر وأبرز طعام شعبي مصرى لكن العرف جرى على اعتبار « الطعمية » طعاماً فارغاً ، مع أن الطعام « الطعم » بضم الطاء هو فى اللغة الطعام المشبع .. وكما أن للظالم تحفزهم للظلومين كذلك نجد أن أغلب الذين تبدأ أسماؤهم بحرف الطاء — مثل الطائى — يتحدون المألوف ويخرجون عليه إلى ما يرفع شأنهم .

حرف الطاء

طه :

إن أول دليل حى يحقق هذا المعنى نجده فى أستاذنا الدكتور طه حسين — فما من إنسان مصرى فى القرن العشرين تحدى كل شيء كما تحداه طه .. تحدى طبيعة الأشياء حين صار من الكتاب وهو لايملك الجهاز الطبيعى للكتابة ، تحدى القوانين الوضعية حين دخل وظائف الحكومة وهو لايستطيع مواجهة (القومسيون الطبي) .. تحدى للمألوف حين دخل الوزارة .. وحين دخل الوزارة تحدى العرف

أيضاً ، فهو لم يدخلها لتبعيته إلى حزب من الأحزاب أو لجماعة من الجماعات ، إنما دخل الوزارة لأنه طه حسين .

وتبدأ قصة حياة طه حسين فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩ يوم مولده .. وكتابه الأيام يصف المرحلة الأولى من حياته بما يغنى عن الإشارة إليها .. لكنه لم يشر إلى أنه كان أول من حصل على دكتوراه الآداب من مصر .

فقد كانت الجامعة المصرية التى أنشأها الشعب فى سنة ١٩٠٨ قد فتحت أبوابها للشباب من مختلف معاهد التعليم ، فانفتح بانفتاحها باب عريض لشباب الأزهر الذين شخصت أفكارهم إلى التعليم المدنى ، وكان فى مقدمتهم الطالب الأزهرى طه حسين .

وحصل الطالب طه حسين على ليسانس الآداب من الجامعة المصرية القديمة ، لكنه لم يبرح قاعات الدرس فاضطر الجامعة إلى تنظيم قسم الدكتوراه الذى لم يدخله سواه .. وفى سنة ١٩١٤ نوقشت رسالة الطالب طه حسين وموضوعها (ذكرى أبى العلاء) . وحصل بهذه الرسالة الضخمة على أولى شهادات الدكتوراه فى الآداب من مصر .

وكانت الجامعة قد أوفدت بعض طلبة الليسانس فى بعثات إلى الخارج .. فلم يكن طبيعياً أن يحظى بالبعثة حامل الليسانس ولا يحظى بها حامل الدكتوراه .. وهكذا أوفد طه حسين فى بعثة لدراسة الآداب فى جامعة السوربون ، بينما كانت بعثات زملائه الذين سبقوه إلى جامعات أخرى ليست لها كل وجاهة السوربون .

وجاءت الأخبار من باريز بأن مبعوث الجامعة طه حسين قد ظهرت عليه ملامح تجديد وصفه شيوخ الجامعة القديمة بأنه جنوح إلى الإلحاد ، فأرسلت الجامعة فى استدعائه إلى القاهرة تمهيداً لإلغاء بعثته بحجة أنه ليس بحاجة إلى الدكتوراه بعد أن حصل عليها من القاهرة .. وفى هذه الأثناء ، فى سنة ١٩١٥ بالذات ، كانت قد ظهرت فى القاهرة جريدة أسبوعية اسمها (السفور) . وكانت هذه الجريدة منتدى شباب المثقفين الجدد فانضم إليهم ، ونشر على صفحات هذه الجريدة سلسلة من المقالات فى نقد الجامعة . وأخذ يفتن فى وصف شيوخها .. يكفيك فى هذا الوصف أنه قال عن شيخهم أنه كان يدخل قاعة المحاضرات فى الجامعة متأبطاً الجهل .. ! !

.. وأثارت مقالات الشاب طه حسين ضجة حول الجامعة كان يمكن أن تتطور إلى خطر عليها لولا أن عبد الخالق ثروت (باشا) بوصفه مفتش الجامعة المصرية القديمة قد أفتى بأن إلغاء بعثة الطالب طه حسين يعتبر خطأ قانونياً .. وأعيد طه حسين لمواصلة بعثته ودراسته فى باريس .

عاد طه حسين من البعثة بعد حصوله على درجة الدكتوراه ، مع مرتبة الشرف ، من جامعة السوربون لينضم إلى صفوف الأساتذة فى كلية الفلسفة والآداب بالجامعة المصرية القديمة ، وحدد مرتبه الشهرى بأربعين جنيهاً ، وأربعون جنيهاً قبل سنة ١٩٢٠ كانت ثروة .. لكن كفاءة طه حسين ونشاطه وشهرته المبكرة قد فتحت أمامه أبواب أعمال أخرى ، وفى مقدمتها القيام بصفحة الأدب فى جريدة السياسة نظير سبعين جنيهاً فى كل شهر ..

فى نهاية سنة ١٩٢٥ صدر المرسوم بتحويل الجامعة المصرية القديمة وكانت أهلية ، إلى جامعة تنشئها الدولة . . وقد عرض هذا المرسوم أساتذة الجامعة القديمة لمتاعب عدة ، إذ بدأت الدولة تقيم شهاداتهم ، ورواتبهم ، ومايستحقون من درجات على أساس هذا التقييم — إلا طه حسين فقد استثنى من هذا كله ، ونص فى قرار تنظيم الجامعة بإعفاء الدكتور طه حسين من كل هذه العمليات التى تقتضيها لوائح الحكومة . . وكان طه حسين هو أول أستاذ أدب فى كلية الآداب بالجامعة التى سموها يومئذ (جامعة فؤاد) .

لكن فؤاد الملك حين ذهب ليفتتح المبانى الجديدة للجامعة فى سنة ١٩٣٣ بمناسبة الاحتفال الجامعى بمرور ربع قرن على إنشاء هذه الجامعة شعبيا ـ وحين رأى الملك فيمن رآهم من الأساتذة الدكتور طه حسين ـ التفت إلى وزير التعليم الذى كان يرافقه فى هذه الزيارة ، وهو حلمى عيسى باشا ، قائلا : ألا يزال هذا الرجل هنا ؟ ! .. وخرج طه حسين من الجامعة .

خرج طه حسين من الجامعة ليدعم عددا من الصحف بمقالاته السياسية بعد أن أصبح خصما سياسيا للحكومة .. لكن الحكومة ماإن تغيرت بعد قليل حتى عاد طه حسين عميدا لكلية الآداب .

ومرة أخرى فصل طه حسين من الجامعة لكنه عاد بعد قليل مديرا لجامعة اسكندرية ، وكان اسمها جامعة فاروق .

ومرة ثالثة فصل طه حسين من الجامعة ، لكنه عاد مع بداية سنة ١٩٥٠ وزيرا للمعارف ..

هذه هى خلاصة قصة التحدى فى حياة طه حسين .. أما بقية القصة فيعرفها كل الكاتبين وكل القارئين على السواء .

طلعت

رجل آخر يبدأ اسمه بحرف الطاء ، لكن حياته كانت سلسلة من التحديات ، هذا الرجل هو طلعت حرب .. وقد لايعرف كثيرون أن ثقافة طلعت حرب قانونية ، فهو خريج مدرسة الحقوق التى صارت كلية الحقوق ، ولم يكن علم الاقتصاد جزءاً من دراسة الحقوق قبل مطلع القرن العشرين عندما تخرج طلعت حرب ، ومع هذا فقد كان طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادى فى الماضى .

كيف حدث هذا ؟؟

لقد اختير طلعت حرب فيمن وقع عليهم الاختيار لتصفية (الدائرة السنية) عند تصفية أملاك الخديو السابق اسماعيل .. وبينما كان الشاب طلعت حرب يمارس هذا العمل أحس بكل المظالم التى كانت تقع على كاهل الفلاح . فالفلاح كان مضطرا إلى الاستدانة ليسدد ماعليه من أقساط الإيجارات ، والذين يسلفونه كانوا يهودا يعرفون جيدا كيف يحسبون الحسابات المركبة على الفلاح ، وتكون النتيجة أن رأسمال الفلاح سواء كان سهما أو قيراطا أو فدانا على الأكثر معرض للضياع فى كل الأحوال ..

أحس طلعت حرب بأن لاضمان للفلاح فى هذه الحالة إلا بوجود مصرف وطنى يجبر الفلاحين وينقذهم من الضياع لكن نداء طلعت حرب بهذه الفكرة فى مشرق القرن العشرين كان مصيره الضياع .

كانت البنوك فى مصر كلها أجنبية ، والحقيقة أن غالبيتها كانت يهودية ، وكانت اليهودية الصهيونية تعمل من وراء الستار فى هذه البنوك لإضعاف قوى الفلاحين العرب من شدة الحاجة .. وكان الأثرياء والسراة ، وهم غافلون عن هذه الحقيقة ، مقتنعين بأن الأعمال المصرفية صناعة أجنبية يهودية لا يمكن لها أن تتمصر .. لقد بلغ من عنف الدعاية الاستعمارية الصهيونية فى هذا المجال ظهور فكرة تبدو الآن مضحكة ، هى أن حسابات البنوك لا يمكن أن تكتب باللغة العربية .. !!

فماذا يصنع طلعت حرب إزاء هذا السيل من الأوهام الباطلة ؟

اعتمد على نفسه بالاشتراك مع صديق حميم له من أسرة «سلطان» وأنشأ شركة مالية باسم (شركة التضامن المالى) هى المعروفة فيما بعد باسم التضامن المالى .. وقد لا يعرف كثيرون أن هذا البنك كان شركة صغيرة رأسمالها آحاد الآلاف من الجنيهات، وأنها أسست سنة ١٩٠٧.

انحصر جهد طلعت حرب فى هذه الشركة سنين ـ إلى أن انعقد (المؤتمر المصرى) فى سنة ١٩١١ فوقف فيه خطيبا يعرض فكرة إنشاء بنك مصرى ، واستطاع بالبحث العلمى الذى قدمه للمؤتمر أن يقنع الحاضرين .. وسارت الخطى التمهيدية لإنشاء البنك فى شيء من التعثر ، وقامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ فقضت على هذا المشروع فيما قضت عليه من المشاريع الوطنية .

فلما انتهت الحرب العالمية الأولى فى نوفمبر سنة ١٩١٨ وأعقبها قيام ثورة سنة ١٩١٩ اقتبس طلعت حرب من الأحاسيس الوطنية قبسا

يضىء به فكرة البنك المصرى .. وفى هذه المرة نجح ، وأعلن قيام بنك مصر فى ٧ مايو سنة ١٩٢٠ .

على أن هذا النجاح كانت تسبقه الدموع — فقد رفض كثرة الأغنياء المساهمة فى تأسيس البنك خوفاً على أموالهم من الضياع . . ورفض الساسة تشجيع فكرة البنك خوفاً من تفتيت جهود الأمة فى طلب الاستقلال السياسى .. لكن طلعت حرب لجأ إلى الشباب . . إلى الطلبة .. وقسم قيمة السهم الواحد من أسهم البنك المعروضة إلى الاكتتاب لأربعة أقسام كل قسم ثمنه جنيه واحد ليستطيع أى فرد عادى أن يكتتب .. أما أسهم التأسيس التى تقدر بربع رأس مال البنك وقيمتها عشرون ألف جنيه فقط ، فقد دفعها طلعت حرب هو وستة من أصدقائه تألفت منهم الجمعية التأسيسية لبنك مصر .. هذا البنك الذى خطط فيما بعد طريق اقتصاديات مصر من خلال تسع عشرة شركة أنشأها طلعت حرب فى الوقت الذى كانت فيه مصر لاتزال محتلة ..

وكانت هذه هى قصة التحدى فى حياة طلعت حرب ، وقد قوبل هذا التحدى فى النهاية بتحد مضاد .. فبعد هذا كله تقررت تنحية طلعت حرب من إدارة بنك مصر سنة ١٩٣٩ بحجة أنه كان يعطى سلفيات كبيرة لبعض الأسر بلا ضمانات كافية وكان رد طلعت حرب أنه بهذه السلفيات كان يعوض أعضاء الأسر التى فقدت ثروتها فى الجهاد الوطنى ، وأنه يضمن سداد هذه السلف بوطنيتهم . .

يومئذ سخروا منه .. لكن الأيام أثبتت صحة نظريته ، فإذا بكل هؤلاء قد ردوا للبنك ماله عليهم .. وأقامت البلاد لطلعت حرب التماثيل ..

طاهر :

لعل الذين يحملون إسم (طاهر) هم أكثر الناس الذين تبدأ أسماؤهم بحرف الطاء .. وأشهر اسم (طاهر) وهو طاهر (باشا) الذى كان يتطلع لأن يكون والياً على مصر لولا تفوق محمد على . . وقد خلف طاهر (باشا) أسرة كبيرة فى مصر كان من أبنائها فى الماضى الفنان التشكيلى الشهير صلاح طاهر ومن أبنائها فى الحاضر عادل طاهر وكيل وزارة السياحة .

لكن أقسى من قست على شهرته الأيام من أصحاب إسم (طاهر) هو المرحوم طاهر لاشين .

كان طاهر لاشين مهندساً ومدير أعمال فى وزارة الرى ، لكنه كان معروفاً بأنه قصاص .. لقد كانت قصص طاهر لاشين تقف جنباً إلى جنب مع قصص محمود تيمور ومن قبله محمد تيمور ، ومن قبلهما محمود عزمى وحسين فوزى .. إن طاهر لاشين أحد الرواد الأول فى كتابة القصة القصيرة ، وله فى هذا المجال أكثر من كتاب .. لكن هذا كله قد جار عليه النسيان مع أن بعض أقاصيصه أفضل من بعض أقاصيص الذين اشتهر من قبله ومن بعده .

هل هذا حظ ؟ . . لست أدرى . .

العلاج بالضحك

فجأة خانني الأرشيف في حرف (الظاء) . . لم أجد في خانة هذ الحرف شيئاً يذكر من الأسماء . . وفجأة اكتشفت أن هذا الحرف حرف عنيد ، لايمكن تركيبه مع ثلثي الأحرف الهجائية . وكدت ألجأ إلى اللهجة العراقية التي ينطقون بها الضاد ظاء . . فإخواننا العراقيين يقولون « ظجة » بدلا من « ضجة » . . لكنني خشيت أن يختلط الأمر على القراء . . ثم كدت أن أتجاوز عن هذا الحرف العنيد . . وأعددت بالفعل الأسباب التي أتخطى بها هذا الحرف . . فهو حرف « الظلم » وحرف « الظمأ » وكلها مسميات لا تفتح شهية كاتب ولا قارىء . . وفجأة وقع نظري على كتاب في المرأة للمرحوم عبد العزيز البشري التي تتألف فصوله من المقالات التي كان ينشرها البشري على الصفحة الأولى بجريدة السياسة الأسبوعية ليقدم في كل مقال شخصية من شخصيات عصره بأسلوب ممتع تستطيع أن تسميه أسلوب الكاريكاتير في الأدب .

فعندما جاء دور الشيخ رشيد رضا في مقالاته (في المرأة) وصفه البشري بقوله (لقد ثقل حتى خف) . . يعني أن هناك شيئاً زاد عن حده فإنقلب إلى ضده كما تقول الأمثال العربية . . وفجأة أحسست أن هذا الوصف ينطبق تماماً على حرف الظاء . . لهذا الحرف العنيد الذي تبدأ به كلمات ممعنة في القسوة هو نفسه الحرف الذي تبدأ به كلمة (الظرف) بفتحة على الظاء في الفصحى وبضمة

على الظاء فى العامية ، وهى كلمة تعنى خفة الظل والروح وإشاعة النكتة والفكاهة بين الناس إلى الدرجة التى تسرى عنهم .

حرف الظاء

ظرفاء بالقول :

وهنا تذكرت أننى نشأت فى جيل اشتهر بنخبة من الظرفاء الذين هونوا على أنفسهم وعلى أنفس غيرهم الكثير من الأزمات ، بما فيها أزمات الحرب والسياسة وكان ظرفهم مادة معنوية لإزالة الصدأ عن هذه النفوس كى يستطيع الناس أن يستقبلوا ما هم فيه من جد بروح تملؤها البسمات .

لقد مررنا بمرحلة : لعلها مرحلة العشرين الثانية من عشرات القرن العشرين ، أى بين سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٤٠ — كان الأدب والظرف فيها توأمين . . لقد كان الأدباء الظرفاء هم الأغلبية فى هذه المرحلة وأذكر من هذه الأغلبية ، حافظ إبراهيم وإمام العبد ، والبشرى ورامى وحمام .

وكان الشاعر : حافظ إبراهيم فى شبابه وبوهيميته الأدبية رفيقاً دائماً للشاعر إمام العبد . . كانا يتكسبان بالشعر الشىء القليل ، وقد اتفقا على أن يقتسما كل ما يصل إلى يد أحدهما . . وذات مرة سمع إمام العبد أن حافظ يقول أنه هو الذى خلق شاعرية إمام العبد فعزت عليه نفسه واختصم حافظ اختصاما ترتب عليه وقف إقتسام

(الأرباح) . . ولم يدم هذا الخصام إلا شهراً ، وتشاء المقادير أن يصيب إمام العبد فى هذا الشهر مبلغاً وفيراً من المال بينما كانت الضائقة تكاد تخنق حافظاً . . فذهب لصالحة إمام العبد وبعد أن تصافيا قال لصاحبه (هات نصيبى مما أعطاك الله) فإذا بصاحبه يقول له منين (يا مولاى . . كما خلقتنى) .

وكان الأستاذ عبد العزيز البشرى : قاضياً بمحكمة مصر الشرعية وإنتدبته المحكمه للنظر فى قضايا محكمة حلوان يومين كل أسبوع ، فاستأجر بحلوان شقه صغيرة يبيت فيها ليلة واحدةفى الأسبوع . وهى إقامة لم تكن تشكل حاجة إلى تأثيث هذهالشقة إلا بالقليل . ولكن أحد اللصوص كان قد سمع بثراء الشيخ البشرى ، وظن أن هذا الثراء ينعكس على موجودات مسكنه فى حلوان . فتسلق إلى هذا المسكن ليدخله من نافذة المطبخ حيث لم يجد فى هذا المطبخ شيئاً . . وأحس الشيخ بحركات اللص فنهض من فراشه واتجه إلى الحائط ليعطيها وجهه معطياً ظهره لمن يقتحم الغرفة . فلما اقتحمها اللص أدهشه موقف الشيخ الذى لا يدير إليه وجهه ولا ينطق بكلمة ، ولو كلمة إستغاثة . واستغرب اللص هذا الموقف ، وقرر أن يحسم أمره بمخاطبة الشيخ مباشرة . . قال له : — ياسيدنا الشيخ ألم تشعر بأن فى مسكنك غريباً ؟ . . قال نعم . . قال اللص ألم تتصور أن هذا الغريب لابد وأن يكون لصاً قال نعم . قال اللص فما بالك تقف هكذا دون حركة ؟ قال الشيخ : لأننى مكسوف منك يا ابنى .

وكانت النكتة لا تبرح الشاعر أحمد رامى فى شبابه وحتى

حين كان مدرساً كان يخاطب تلاميذه بهذه الروح المرحة .. ذات مرة ظل يشير إلى إسم بلد على الخريطة وأنا لا أرى هذا الإسم ، وبعد أن أعيته الحيل معى قال لى (ياواد إنت لازم عينك فوق حواجبك)

وذات مرة كانت السيدة أم كلثوم عائدة من رحلة إلى لندن والمذيع يجرى معها حواراً حول مشاهداتها هناك وهو يلوك بعض الكلمات برطانة انجليزية أثارت ضحكنا .. وأخيراً قال المذيع (والآن تسمعون كوكب الشرق الآنسة أم كلثوم) فرد عليه المرحوم الشاعر محمد مصطفى حمام بقوله : غلطان . . الآن تسمعون مس إمى كلثوم ، وأم كلثوم نفسها التى نسميها الآن (سيدة الغناء) كانت معروفة بأنها (سيدة النكتة) . . . ذات مرة فى إحدى الحفلات تقدم إليها باشا عجوز يسير فى شىء إلى الإنحناء بفعل السنين كى يأخذ بذراعها ، إلى صدر الحفلة .. فتقدم منها المرحوم الدكتور محجوب ثابت وكان هو الآخر منحنى الكتفين ، ليأخذ بذراعها الأخرى ، فنظرت إليهما أم كلثوم قائلة : « أيوه يادكتور عشان أمشى بين قوسين » .

ظرفاء بالفعل :

على أن الظرفاء فى الماضى لم يكونوا كلهم ظرفاء الكلمة فقط .. لقد كان هناك ظرفاء التحركات أيضاً وكان على رأس هذا الفريق المرحوم حفنى محمود (باشا) وزميلنا المرحوم كامل الشناوى والشاعر محمد مصطفى حمام وغيرهم ..

كان حسن صبرى (باشا) الذى صار رئيساً للوزارء فى أوائل

الأربعينيات وأسلم الروح وهو يلقى خطبة الافتتاح فى مجلس النواب — كان يرى قبل هذا أن الوزارة قد تأخرت عليه (فزملاؤه وأقرانه جميعاً صاروا وزراء) وهو لم يكن قد دخل الوزارة بعد وكان هذا الرأى يسبب له قلقاً نفسياً كلما بدا فى الأفق تشكيل وزارى جديد .. وقد علم حفنى محمود بهذا السر الخاص لحسن صبرى ، فانتهز فرصة تشكيل الوزارة التى يشكلها شقيقه محمد محمود (باشا) فى أول يناير سنة ١٩٣٨ وذهب إلى منزل حسن صبرى قائلا له إن أخاه قد كلفه بأن يستدعيه لمقابلته فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم بداره . . ألح حسن صبرى على حفنى محمود لمعرفة السبب فى هذا الاستدعاء لكن حفنى قال لا أدرى .. وفتح حسن صبرى صحف اليوم ، فعلم منها أن رئيس الوزراء الجديد سيجتمع بالوزراء الجدد فى نفس الساعة التى حددها له حفنى استعداداً للتوجه معاً إلى القصر لحلف اليمين الدستورية فاعتقد أنه مدعو للانضمام إلى التشكيل الوزارى وإذا به يرتدى بذلة الردنجوت ويذهب فى الموعد المحدد إلى دار محمد محمود .

والذى لم يكن يعلمه حسن صبرى أن محمد محمود لم يكن يطيقه ، لا شكلا ولا موضوعا .. فما أن نزل محمد محمود إلى الطابق الأول من داره ليلتقى بوزرائه وما أن رأى بينهم المرحوم حسن صبرى حتى علا وجهه العبوس وهو يقول الوزراء فقط يتفضلون باللحاق بى إلى غرفة المكتب . . وهنا أدرك حسن صبرى أن كلمة (فقط) هذه تعنى استثناءه ، فتراجع إلى الوراء مرتبكا ، بينما كان حفنى ومن معه يجلسون فى الغرفة المقابلة لهذا المشهد وهم يكتمون الضحكات . .

كان حفنى محمود قاسياً فى ظرفه وأرق منه فى (القالب الظريفة) كامل الشناوى . . . . تلقى كامل الشناوى ذات يوم من أيام شهر رمضان .. وكان وقتئذ أحد محررى الأهرام — عتاباً من زميله فى الجريدة الشيخ العسكرى بعد أن سمع بولائم بيت الشناوى فى شهر رمضان .. كان الشيخ العسكرى رجلا يحب الوفرة والأناقة والثراء فى الطعام وفى كل شىء وكان كامل يعرف عنه هذا السر فوجدها فرصة لأن يوجه إليه الدعوة لتناول الإفطار فى يوم الجمعة المقبل . . كان أحباء الشيخ العسكرى كثيرين ، والراغبون منهم فى دعوته إلى الإفطار فى رمضان كثيرين .. لكن كلما حدد له أحدهم موعداً لهذه الدعوة يوم الجمعة المقبل اعتذر قائلا : هذا يوم محجوز لوليمة كبرى عند آل الشناوى .

وفى اليوم المحدد ذهب الشيخ العسكرى إلى بيت الشناوى . . وجلس الإثنان حول المائدة ساعة أذان المغرب وما أن انطلق مدفع الإفطار حتى نادى كامل على خادمه ليأتى بالحساء .. ضحك الشيخ العسكرى قائلا : إحساء بالضأن أم بالدجاج ؟؟ . ووضع الخادم أطباق الحساء وعلى كل منهم غطاء وما أن رفع الشيخ العسكرى غطاء طبقه حتى وجده عدساً . .

وضحك الشيخ العسكرى قائلا (ظريفة دى يا كامل حتى ندخر وسعنا للأصناف الأخرى) .. لكن ما كاد الآثنان يفرغان من تناول الحساء حتى نادى كاملا على خادمه قائلا : (الحلو ياولد) . . وكذب

الشيخ العسكرى أذنيه لكنه لم يستطع تكذيب عينيه وهو يرى الخادم يضع أمام كل منهما طبقاً من أطباق البالوظة .

قال الشيخ العسكرى :(أأنتم تأكلون البالوظة فى أول الطعام ؟..).

قال كامل : (بل فى آخره . . إيه أنت لسه ماشبعتش ؟ . .) وضحك الظريفان . . .

كان الشاعر حمام أبعد ظرفاً من هذين الظريفين ، لكنه كان أكثر رقة .. وكان حمام يعلم أن طلعت حرب (باشا) مغرم بالتواشيح والألحان الموسيقية القديمة .. كان يحفظ الكثير منها .. سماعا وغناء .. فذات يوم دخل حمام على طلعت حرب يبشره بأنه قد اكتشف توشيحاً قديماً لم يسمع به من قبل .. وأنه قد (ربط) موسيقاه مع الأخوين عثمان ، وكان من الموسيقيين .. فحدد طلعت حرب ليلة يستقبل فيها حماماً وصاحبيه للاستماع إلى هذا التوشيح فى داره .

وفى الموعد المحدد أقبل ثلاثتهم وهم يحملون أعواد الموسيقى .. وكان طلعت حرب قد دعا بعض أصدقائه للاستماع معه إلى هذا الاكتشاف الموسيقى الجديد .. وجلس الثلاثة .. وأصلحوا أوتار أعوادهم . . وبعد مقدمة (ياليل ياعين) التى كانت تبدأ بها الحفلات الموسيقية بدءوا يغنون التوشيح المزعوم .. وكان أكثر الحاضرين تحمساً لما يسمعه منهم رجل اسمه (بدر بك) .

كانوا يغنون أغنية ألفها حمام لهذا الغرض وهى تبدأ بقولهم :

(ياللا بنا نسافر قليوب) .. وظل ثلاثتهم يرددون هذا المقطع بمختلف النغم عشرات المرات ، وطلعت حرب وأضيافه يهزون رءوسهم طرباً وإعجاباً .. وفجأة انتقلوا إلى الشطرة الثانية ، فإذا بهم يقولون (يا بدر وشك بالمقلوب) ..

وقبل أن تنزل عصا طلعت حرب على رءوسهم كانوا قد أطلقوا سيقانهم للريح ..



قصة من كفر المصيلحة

لست أظن أن فى لغة من اللغات حرفاً كحرف (العين) يحمل فى نقطة معنى أعز الحواس على الناس ، فالعين فى تكوين الإنسان هى أول نافذة يطل منها على الوجود .. ولقد كانت (العين) هى فاتحة الغناء فى الموسيقى العربية لأجيال طويلة حيث كان الغناء العربى يبدأ دائماً (يا عين يا ليل فكأن العين هى التى تواجه الليل بالنهار ..

حرف العين

عبد العزيز :

لست أعرف فى رجال التاريخ الحديث الذى يبدأ من سنة ١٩١٩ رجلا كعبد العزيز فهمى ، وعبد العزيز فهمى هو ثالث ثلاثة واجهوا فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ معتمد بريطانيا فى مصر مطالبين بإلغاء الحماية ورد حرية المصريين إليهم .. وبالرغم من شهرة عبد العزيز فهمى فقليلون جداً هم الذين يعرفون أنه التوأم الروحى لأستاذ الأجيال أحمد لطفى السيد ..

كانا زميلين .. لكن لطفى السيد قد سبق عبد العزيز بسنتين من سنى العمر ، وسبقه بسنتين فى التخرج من مدرسة الحقوق فلما تخرج عبد العزيز فهمى اتجه مباشرة إلى مكتب لطفى السيد المحامى ليؤلفا أول شركة فى مكاتب المحاماة .. فلما ترك لطفى المحاماة وظائف النيابة العامة

استقل عبد العزيز فهمى بمكتبهما وحده .. وظل يصعد مدارج المحاماة حتى غدا نقيباً للمحامين .. وكان عبد العزيز فهمى هو النقيب الثانى فى تاريخ نقابة المحامين .. أما النقيب الأول فهو ابراهيم الهلباوى .. وقد اختير عبد العزيز فهمى لمزاملة سعد زغلول وعلى شعراوى فى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بوصفه نقيباً للمحامين إلى جانب صفته كزعيم من زعماء الجمعية التشريعية .

إن أبناء الجيل الأسبق يقولون أن عبد العزيز فهمى كان صاحب العقلية الأولى بين أولئك الثلاثة .. لكن عقليته كانت عقلية العالم المفتن ، بينما كانت عقلية سعد زغلول عقلية الزعيم للتوثب ومن هنا كانت له الرياسة ..

ولقد تولى عبد العزيز فهمى منصب الوزراء ، فكان فى عصره ، من أعجب الوزراء سلوكاً .

يوم عين وزيراً لأول مرة وجد بباب داره التى لم تتغير بضاحية مصر الجديدة سيارة منتظرة ، هى سيارة الوزارة . فصرفها قائلا لسائقها : إننى أملك سيارة فكان أول وزير فى مصر يعالج مشكلة السيارات الحكومية .. فلما ألحوا عليه باستعمال سيارة الوزارة باعتبارها من تقاليد للنصب صار ينفق فى الخدمات العامة بالقدر الذى كانت تكلفه هذه السيارة .

إن عبد العزيز فهمى قد خلق لكى يكون قاضياً .. وحتى حين كان محامياً كان يدرس القضايا بعقلية قاض عظيم .. لقد روى لى

الشاعر العظيم خليل مطران — وكان من أصدقاء عبد العزيز فهمى — أنه لجأ إليه للدفاع فى قضية أيتام ضاع حقهم أمام المحكمة الابتدائية وكان هذا الحق يقدر بستة عشر ألف مليم .. ومع هذا فقد قدروا اتعاباً للمحامى الذى يدافع عنهم أربعمائة جنيه حملها ٠٠ه مطران إلى عبد العزيز فأبى أن يلمسها قبل أن يدرس القضية ..

وترك مطران ملف القضية أمام عبد العزيز فهمى المحامى . وذهب إلى سهرته — وبينما كان فى طريق عودته من السهرة فى الواحدة صباحاً . وقد تصادف أن كان طريق العودة ماراً بالمبنى الذى يقع فيه مكتب عبد العزيز — فإذا به يلمح النور مضاء فى مكتبه فلما صعد إليه رآه منكباً على دراسة ملف القضية ما يزال .. وما أن رأى مطران أمامه حتى قال له : لقد قبلت إقامة هذه الدعوى ..

وحاول مطران أن يعيد عليه الكلام فى « أتعابه » لكنه رده عن هذه المحاولة قائلا : دع هذا إلى أن تكسب الدعوى .. وكسب الدعوى ..

فلما حصلوا على هذا المبلغ قال عبد العزيز فهمى لمطران : دعهم يستمتعون بهذا المبلغ كاملا ولكن أتعابى « هدية لهم » ..

كان هذا هو سلوك عبد العزيز فهمى بل كان هذا هو عبد العزيز فهمى نفسه .. فلما أنشئت محكمة النقض منذ أربعين عاماً أو تزيد كان تعيين عبد العزيز فهمى رئيساً لها محل الإعجاب .. لكن هذا التعيين كان أيضاً محل الاستغراب ..

ذلك أن عبد العزيز فهمى هو الذى خاصم للملك فؤاد عندما كان

وزيراً للعدل من قبل على كتاب الشيخ على عبد الرازق .. ورفض أن يفصل الشيخ على من القضاء كما كان الملك يريد . لكن عبد العزيز فهمى كان قد شغل من بعد منصب رئيس محكمة الاستئناف وما أن سمع بأن بعض أعضاء البرلمان يتناقشون حول مرتبه حتى استقال لأنه كان يرى أن ضمير القاضى لا يطاوعه على أن يجلس مجلس القضاء وهناك من يشكك فى مستحقاته . وأحس الملك فؤاد أنه أمام رجل غير عادى ، فتناسى له موقفه من مسألة الشيخ على عبد الرازق وعينه رئيساً لمحكمة النقض . وما أن سارت أعمال هذه المحكمة وسرت فى الأوساط القانونية أحكام عبد العزيز فهمى فيها حتى أطلقوا عليه لقب قاضى القضاة .

لقد كان عبد العزيز فهمى وارث الضياع المزرعة فى بلده كفر المصيلحة رجلا زاهداً .. توفيت زوجه وهو دون الأربعين فلم يتزوج بعدها .. عرضت عليه المناصب الوزارية فرفضها أكثر من مرة .. انتخب رئيساً لحزب الأحرار الدستوريين فاشترط ألا تزيد مدة رياسته على تسعة أشهر .. أنعم عليه بأكبر قلادة فى الدولة بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لقيام ثورة سنة ١٩١٩ فقال لمندوب الملك وماذا أصنع بهذه القلادة ..

وأذكر أنه قال لى يومئذ فى شجاعة عجيبة وهو دون السبعين من عمره : يابنى لقد حان وقت القطاف . وأنا أنقل هنا تعبيره حرفياً عن استعداده بالإيمان القوى لملاقاة ربه . وليس معنى هذا أن عبد العزيز فهمى كان ملاكاً . لقد أخطأ — كما يخطىء كل البشر — مرتين :

مرة حين قال «إن الدستور ثوب فضفاض» وكان يقصد أنه الثوب الأكبر .. ومرة أخرى حين اقترح كتابة حروف الهجاء العربية باللغة اللاتينية وكان يقصد التيسير على الإعلام المصرى فى الخارج .. لكن الإنصاف يقتضى أن نذكر له إزاء هذين الموقفين موقفه فى لجنة الدستور سنتى ١٩٢٢ - ١٩٢٣ أن مناقشاته فى هذه اللجنة حول حقوق الشعب إزاء ما كان يسمى باسم حقوق العرش ، كانت قمة من قمم الشجاعة الديمقراطية .. ثم موقفه فى مجمع اللغة العربية حين عين عضواً به إزاء الهجوم على هذا المجمع .

وفوق هذا كله فإن عبد العزيز فهمى « فلاح » كفر المصيلحة العظيم هو الذى قضى فى بلدته على الأمية والبطالة فكانت القرية الوحيدة فى مصر التى خلت من العطل والأمية بفضل مثالية عبد العزيز فهمى فى الخدمة العامة .



تاريخ ثلاث رصاصات

تبدو الحروف وكأنها كائنات حية يجرى عليها ما يجرى على سائر الكائنات من الحظوظ .. ومن حظوظ الإنسان أن يشتهر حيناً وأن تنطفىء شهرته حيناً ، وكذلك حظوظ الحروف فحرف — الغين — كان إلى ما قبل سنة ١٩٣٩ حرفاً تقليدياً كسائر الحروف الهجائية التى يكمل بعضها بعضاً فى الكلمات العادية .. لكن هذا الحرف قد قفز فجأة فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ إلى الصف الأول من الحروف التى تتركب منها الكلمات الجديدة التى أصابت الشهرة .. فبقيام الحرب العالمية الثانية أصبحنا — نتداول فى كل يوم كلمة — غارة — وكلمة — الجنرال غورو — وكلمه — مبادىء غاريبالدى — ومنذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن ونحن نردد كل يوم اسم مدينة — غزة — .. وهكذا ظهرت على السطح غالبية— وغالبية نفسها كلمة غائبة — غالبية الكلمات التى تبدأ بحرف الغين والتى كانت قليلة الاستعمال من قبل فأصبحت محلا للاستعمال اليوم .

حرف الغين

غاز :

كانت الكلمات الغائية فى الماضى غالية لأنها قليلة التداول ، أو هكذا ظن الناس .. ولقد قابلت هـذه القلة كثرة اختيار اسم

« غالى » عند إخواننا الأقباط .. ولقد ظهر من هذه الكثرة ثلاث اشتهرت أسماؤهم بين الناس .. وكان أولهم بطرس غالى — باشا — وحوالى سنة ١٩١٠ حدثت أشياء أثارت غضب المواطنين منها موافقة رئيس الوزراء بطرس غالى على سياسة الإنجليز فى السودان .. ومنها صدور قانون المطبوعات المقيد لحرية الكلمة — ومنها قبول الوزارة لمناقشة طلب شركة قناة السويس بمد امتيازها إلى مائة عام .

فى جو هذا الغضب وجدت جمعية سرية لمقاومة هذه المشروعات بالسلاح وانتدبت الجمعية الشاب ابراهيم الوردانى لينفذ حكمها فى بطرس غالى — باشا — رئيس الوزراء وذهب الوردانى ذات صباح إلى دار رياسة الوزارة بلاظوغلى ، ووقف فى انتظاره . . فما أن ظهر بطرس غالى حتى أطلق عليه الوردانى ثلاث رصاصات أردته قتيلا ، وكان الوردانى يردد على مسمعه أن هذه الرصاصة من أجل حرية الصحافة ، وهذه الرصاصة من أجل قناة السويس إلخ ..

ولم يفر الوردانى . . ولم يعترف على أحد من شركائه ، وكانت محاكمته وثبات جأشه فيها ، إلى جانب صباه وضعف صحته ، مما أحدق به القلوب وقد عبر الفنانون عن هذا الشعور فى أمسية تنفيذ حكم الإعدام فى الوردانى بأغنية ظل الشعب يرددها سنين وهى الأغنية التى أعيد صوغها وتلحينها وغناؤها أخيراً على لسان المطربة شادية .. الأغنية التى تقول — قولوا لعين الشمس ما تحماشى ، لحسن غزال البر صابح ماشى .

* * *

ويشاء القدر أن يبرأ إخواننا الأقباط من سياسة بطرس غالى الذى كان الأقباط أول من ثاروا عليه — فإذا بغال آخر من بيت بطرس غالى يرفع رأس مصر فى الخارج .. ذلك هو واصف بطرس غالى باشا —

كان واصف غالى يعيش منذ صباه فى الخارج بعد حادث أبيه بطرس وقد اختار باريس مقراً له ، فأتقن اللغة الفرنسية إتقاناً بز فيه الفرنسيين أنفسهم . . وأصدر فى باريس ديوان شعر باللغة الفرنسية حتى اعتبره الفرنسيون من شعرائهم الجدد وتحت هذا الإحساس حاول بعض الاستعماريين أن يجتذبوا الشاب واصف غالى إلى صفوفهم فأبى ، وأنشد فى هذا الآباء من القصائد الفرنسية ما يعتبر مرجعاً .

فلما وصل وفد مصر فى ثورة ١٩١٩ إلى باريس انضم واصف غالى إلى عضويته وكان المتحدث باسم هذا الوفد لما له من صداقات بالصحفيين الفرنسيين ولما له من علم باللغة الفرنسية والقانون الدولى .

وعندما تعددت آراء أعضاء الوفد كان واصف غالى يقف دائماً إلى جانب الرأى الذى يقف فيه سعد زغلول ، فكان واصف غالى بهذا الموقف أحد الأقطاب الذين حققوا عناق الصليب مع الهلال فى ثورة ١٩١٩ ، وكان على حداثة سنه أحد وزراء سعد زغلول فى سنة ١٩٢٤ . ولما عادت إلى الوفد بعد وفاة سعد نزعة التعدد فى الآراء آثر واصف غالى الحيدة إلى آخر حياته حتى لا ينتصر لفريق دون فريق .

* * *

وفى سنة ١٩٥٠ ظهر اسم غالى ثالث . . لكن فى مجال آخر غير

مجال السياسة . . فى مجال الحب والغرام ، وإن كان غراماً شغل الأوساط السياسية وقتاً طويلا .

لقد بدأت القصة فى صيف سنة ١٩٤٩ عندما دب الخلاف بين الملك السابق فاروق وبين أمه الملكة السابقة نازلى ، فقررت أن تترك مصر وأن تعيش متنقلة بين بلاد أوربا هى وصغرى بناتها . . كان أول بلد اتجهت إليه هو سويسرا . وفى سويسرا حشدت السفارة المصرية إذ ذاك كل طاقاتها لتكون فى خدمة الملكة الوالدة . . فلما طالت إقامتها بعض الوقت كان لا بد أن يتفرغ أحد أعضاء السفارة لخدمتها ، وقد اختارت هى بنفسها هذا الشخص . وكان هذا الشخص هو الملحق الشاب رياض غالى .

كان رياض غالى شاباً ذكياً وسيماً ، وقد استطاع بذكائه ووسامته أن يرضى الملكة الوالدة . . فكان رياض غالى يشاهد مع الملكة الوالدة وصغيرتها فى بعض الأندية الليلة ومع مرور الأيام توطدت صلته بالاثنين حتى غدا لا يفارقهما لحظة . . فلما حانت لحظة الرحيل من سويسرا فوجئت السفارة المصرية بأن الملكة الوالدة تطلب أن يصاحبهما رياض غالى فى سفرهما ، ووقعت السفارة فى ورطة ، على الأقل بالنسبة للوائح التوظف . . لكن الملكة الوالدة كانت مصرة على تنفيذ إرادتها رغم اللوائح . . وفى سبيل تحقيق هذه الإرادة أوعزت إلى رياض غالى أن يستقيل وأن يبرح سويسرا فى صحبتها .

فلما انتهى بهم المطاف إلى أمريكا أحست نازلى بوصفها أما أن إقدام رياض غالى على هذه المغامرة بوظيفته لم يكن من أجلها إنما كان من

أجل صغيرتها التى صارحت أمها هناك بأنها تحب رياض وأنها مصممة على الزواج منه . . وقامت قيامة القصر الملكى فى القاهرة .

انعقد مجلس البلاط فى القصر الملكى بالقاهرة ، وقرر تجريد الملكة وصغيرتها من الألقاب والمخصصات الملكية . . وردت نازلى على هذا القرار فى مؤتمر صحفى عقدته فى واشنطن بأنها ، كأم لا بد أن تقف إلى جانب ابنتها . . وتم زواج الأميرة الصغيرة السابقة بعد أن اعتنقت دين عريسها حتى يتم هذا الزواج شرعاً .

لقد كان هذا الحادث هو السبب المباشر فى التشريعات التى أعدها القصر الملكى لتقييد حرية الصحافة بعدما أفاضت فيه من أنباء هذا الغرام ، وهى التشريعات التى ثارت الصحافة عليها حتى أوقفت إصدارها .

ومع أن هذا الزواج كان موضع حديث العالم قبل خمس وعشرين سنة — فإن الطلاق الذى تم فى العام الأسبق أو الذى قبله لم يهتم به أحد اللهم إلا إشارة عابرة بأن رياض غالى الذى كان زوجاً لصغرى شقيقات الملك السابق فاروق قد أصبح من رجال الأعمال فى أمريكا .

حرف الفاء

فتحى :

أشهر الأسماء الفائية هو اسم — فتحى . . وأول — فتحى — التقيت به فى حياتى هو فتحى رضوان . . كنا فى عهد الشباب جيراناً وكنا معاً فى تأسيس جمعية القلم الأدبية قبل الثلاثينات ونحن فى مستوى

طلاب التعليم الثانوى . . وكنا معاً فى بداية الثلاثينيات ضمن الذين اهتموا بحركة الاستقلال الإقتصادى . وكنا معاً بالإضافة إلى الزميل الأستاذ أحمد حسين فى إصدار جريدة الصرخة . . كان أحمد حسين هو القلب النابض فى مشروع هذه الجريدة .. وكنت بوصفى رئيس تحرير هذه الجريدة الفتية أمثل الواجهة فيها . . وكان فتحى رضوان هو الفكر المتحرك بين صفحاتها . . وكانت هذه الحركة تمثل تكوينه الطبيعى .

كان فتحى رضوان طالب الثانوى ابن الثالثة عشرة من عمره . يوم التقينا يلقى المحاضرات عن مثله الوطنى المفضل مصطفى كامل وعن مثله الإنسانى المفضل غاندى وكانت له تطلعات ينم عليها عنوان مقالاته الثابت فى جريدة — الصرخة — وهو — نحو المجد — . وكان يصور هذا المجد — فى المسرحيات التى يشترك فى تمثيلها وهو طالب بالمدرسة الثانوية فى بنى سويف : . لقد كانت كلها مسرحيات تدور حول كفاح الشعوب من أجل النصر والحرية .

ولقد درس فتحى رضوان الحقوق بكلية الحقوق ، وتخرج فيها مع دفعة يونيو سنة ١٩٣٣ . وكان ثالث الخريجين فى هذه الدفعة مع الحصول على مرتبة الشرف .

ولم ينتظر فتحى رضوان فترة التمرين التى ينص عليها القانون لكى يكون الخريج محامياً مستقلا ، بل أنشأ مكتبه فى المحاماة قبل نهاية هذه المدة . . وظل محتفظاً بمكتبه كمحام رغم جميع الأعمال والمناصب التى تولاها . . ورغم السنين التى قضاها بين السجون والمعتقلات فى الماضى .

ويوم استقلت من رياسة تحرير جريدة الصرخة فى العام التالى قام فتحى بحركة لا تخطر ببال أبناء العشرين . . لقد زارنى فى بيتى وطلب إلى أن أعيد النظر فى قرارى قائلا :

أرجو ألا تعتبر هذا القرار نهائياً إلا بعد بضعة أسابيع حتى يقتنع كلانا بأنه قرار نهائى . .

لقد كانت له عقلية شيخ فى قلب شاب وثاب . . وبهذه العقلية عاد إلى الحزب الوطنى أقدم الأحزاب وبهذا القلب أحدث فى صفوف الحزب الوطنى القديم انقلاباً لحساب الشباب ، شباب الحزب الذين تجمعوا حوله وبايعوه بزعامة الحزب الوطنى الجديد . . بهذه العقلية أخرج سلسلة من المؤلفات وبهذه العقلية اعتذر عن قبول منصب وكيل الوزارة البرلمانى فى سنة ١٩٤٩ وبهذه العقلية دخل الوزارة عقب قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ . . فساهم فى مشروع وزارة الإرشاد القومى التى لم يكن لها وجود قبل قيام الثورة . . وبهذه العقلية وضع كتيباً عقب خروجه من الوزارة بعنوان « نظرات فى إصلاح الأداة الحكومية » .

فيلم :

أما أشهر المسميات الفائية فهى التسمية التى تطلق على الشرائط التى تصور الروايات السينمية — بتسميتها باسم — الفيلم — وكلمة — فيلم — كلمة جديدة دخيلة على اللغة العربية . . أن عمر هذه الكلمة فى اللغة العربية لا يكاد يبلغ نصف قرن . . ومع هذا العمر القصير فقد أصبح — الفيلم — عاملا مؤثراً

فى حياتنا . . وقد لا يذكر الكثيرون أن تجارة الأفلام كانت من تجارات الحرب إبان سنى الحرب العالمية الثانية . . كانت الأفلام — كالورق — نشترى بموجب إذن رسمى من الحكومة ثم تباع فى السوق التى يسمونها — السوق السوداء — بعشرة أضعاف سعرها الرسمى . . أننى أعرف زميلا يرحمه الله قد اشترى ستين فداناً من فرق السعر فى فيلم واحد .

أما قبل الحرب الثانية فقد كانت هناك تجارة للأفلام المرتجعة ، أى التى استنفدت أغراضها فى دور العرض السينمى . . كانت هذه الأفلام تباع بقروش ليستعملها الصغار فى آلات السينما الصغيرة والتى كانت تباع فى محلات بيع اللعب . . كانت هناك آلات سينما يتراوح ثمنها بين خمسين قرشاً وخمسين جنيهاً .. وكانت بعض هذه اللعب يرتفع مستواها إلى آلات السينما الحقيقية .. فكان الموسرون من الناس يقتنون هذه الآلات لعرض الأفلام التى يختارونها فى بيوتهم منعاً للصغار والبنات والسيدات من التردد على دور العرض السينمى ، لقد كانت هذه الآلات قبل جيل هى البديل لأجهزة التلفزيون المنتشرة الآن فى كثرة البيوت .

ومع تطور فنون السينما أصبحت كلمة — فيلم — تطلق الآن لا على الشريط فقط ، بل على موضوع الرواية ذاتها .. ومن خلال هذا التطور ظهر فى الصحافة فن جديد من فنون النقد ، هو نقد الأفلام ، وكنت أنا ضحية هذا النقد فى يوم من الأيام .

فذات يوم كتب الناقد الفنى للجريدة التى كنت أرأس تحريرها

نقداً لاذعاً لأحد الأفلام الأجنبية وبعد ظهور هذا النقد بأيام دعيت لمشاهدة هذا الفيلم .. وبعد أن أخذت مقعدى فى — البنوار — المخصص لى جاءنى الخواجة — مدير السينما وانهال على شتماً للنقد الذى نشرته جريدتى ، ثم طلب إلى أن أبرح دار السينما قبل أن يطلق على الرصاص .

وأحس الجمهور بهذه الحركة فتجمع الناس من حولنا ، وما أن عرفوا تفاصيل القصة حتى خرجوا معى تاركين لهذا — الخواجه — داره السينمية وقد خلت من النظارة جميعاً ..

وكانت هذه أول وآخر مظاهرة من نوعها ضد أحد الأفلام .



قافات سعد زغلول

لاجدال فى أن لحرف القاف مهابة خاصة .. أنه يستمد هذه المهابة من كونه الحرف الأول من حروف كتابنا المقدس « القرآن » وهى المهابة التى نشعر بها إزاء كثرة الكلمات التى تبدأ بهذا الحرف مثل كلمات قوة . . قضاء . . قدر . . . . قراءة . . قلوب . . قنابل . . قارات . . إلى آخر هذه الكلمات . . وهى المهابة التى تنعكس على الأرشيف . . فلا تجد به الشىء الكثير مما يبدأ بحرف القاف : لا عن قلة ، بل عن شىء من الحذر . . أن منطوق حرف القاف نفسه له مهابة خاصة لقد كان سعد زغلول ، وهو من أعظم خطباء عصره ، لاينطق القاف فى خطبة قافا . بل كان ينطقها أقرب ما تكون إلى حرف الكاف ، حتى صار تقرب القاف من الكاف « موضة » خطابية فى عصر سعد زغلول . .

حرف القاف

قضاء

على ذكر قافات سعد زغلول نذكر أن أقدس كلمة قافية بعد كلمة « قرآن » هى كلمة « قضاء » . . ونذكر ما ينساه الكثيرون حتى من المؤرخين ، أن سعد زغلول كان من رجال القضاء ، بل لعل اشتغاله بالقضاء قد شغل أكبر مرحلة من حياته فاشتغاله بالوزارة لا يتعدى

آحاد السنين، واشتغاله برياسة الوزارة لايتعدى آحاد الأشهر أما اشتغاله بالقضاء فتزيد على عشر سنين ، فإذا أضفنا هذه المدة إلى مدة اشتغاله بالمحاماة فإنها تكاد تبلغ ربع قرن .

إن اشتغال سعد زغلول بالقضاء يرجع إلى اشتغاله بالمحاماة واشتغاله بالمحاماة يرجع إلى صدور قانون تنظيم المحاكم الأهلية فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ — إنى أذكر الأسرة القضائية فى هذه المناسبة بالاستعداد للاحتفال بالعيد المئوى للقضاء المصرى الوطنى فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٨١ — ذلك أن القضاء فى مصر قبل ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ كان بعضه قضاء عجيباً . . قضاء يتولاه قضاة من الأتراك أكبر مؤهلاتهم أنهم من لابسى العمامة . . وأعجب من هذا أن القضاء الأجنبى فى مصر . وكان يسمى بالقضاء المختلط ، قد صدر القانون بتنظيمه فى ١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٥ . . أى قبل تنظيم القضاء الوطنى الذى عرف باسم القضاء الأهلى بست سنوات . . !

فلما أصدر رئيس النظار ، أى رئيس الوزراء ، شريف باشا قانون ترتيب المحاكم الأهلية فى نوفمبر سنة ١٨٨١ لم تكن هناك دراسة أو قوانين خاصة بالمحامين لكن كانت هناك مدرسة الألسن والإدارة التى تحولت إلى مدرسة الحقوق . . ولهذا أعلنت المحاكم الأهلية بعد تنظيمها فى نهاية سنة ١٨٨١ عن مسابقة بين المثقفين الذين يرغبون فى الاشتغال بالدفاع أمام هذه المحاكم .

كان سعد زغلول ، أو على الأصح الشاب الشيخ سعد الله زغلول

يعمل إذ ذاك محرراً بجريدة الوقائع . . . وكان أحد ثلاثة من شباب دخلوا هذه المسابقة ، ونجحوا فيها وأصبحوا إذ ذاك أعلام المحاماة الأوائل فى مصر .

وبعد خمسة عشر عاماً من الاشتغال بالمحاماة أختير الأستاذ سعد زغلول المحامى لكى يكون مساعد مستشار فمستشار بمحكمة الاستئناف وظل يشغل هذا المنصب إلى أن اختير للوزارة .

لهذا المعنى اشترك القضاة مع المحامين فى تكريم سعد زغلول عند ماتولى رياسة الوزارة فى ربيع سنة ١٩٢٤ . . وفى ظل هذا المعنى كان سعد زغلول يشترك سراً مع المحامين عن ماهر والنقراشى ، فى إعداد الدفاع عنهما عند ما وجهت اليهما تهمة الاشتراك فى التدبير الجنائى لقتل سيرلى ستاك سردار الجيش المصرى فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ .

وليس من شك أن الهيئة القضائية فى مصر كانت دائماً من مفاخر القضاء فى العالم كله . . . وعلى الرغم من التزام القضاة للمصريين دائماً عا للقضاء من قداسة خاصة — إلا أنهم كمصريين قد شاركوا سائر فئات الشعب فى ثورة ١٩١٩ وأن تاريخ هذه الثورة لابد أن يذكر مظاهرة القضاة . . يوم هذه المظاهرة خرج القضاة وهم يرتدون ملابسهم الرسمية فى موكب وطنى لم تشهد البلاد مثله موكباً فى وقاره ونظامه . . لم تكن هناك هتافات ، ولا لافتات . . لقد كانت شارات القضاء التى يلبسونها تغنى عن كل هذا . . ولم يسلم هذا الموكب السلمى الرائع من رصاص الإنجليز .

وبعد هذا الموجز من أرشيفي الصحفي عن القضاء المصري لست أجدني مستعداً لإضافة أي شيء آخر من حرف القاف .

حرف الكاف

كلمة

ليس في حرف الكاف ما هو أروع من كلمة « كلمة » . . إن هذه الكلمة هي الشريك الطبيعي الخالد لأعظم كلمتين أخريين . وهما كلمة « كون » ثم كلمة « كتاب » . . إن الأديان كلها مجمعة على أن الله حينما أراد أن يخلق هذا « الكون » قد خلقه « بكلمة » . . وفي هذا المعنى قوله تعالى « . . . أن يقول له كن فيكون » ولهذا المعنى يعني رجال الصوفية عناية خاصة بحرفي الكاف والنون الذين تتألف منهما كلمة « كن » . . وحينما أراد الله أن ينشر الهدى بين الناس أرسل إليهم الرسل ، فكان لكل رسول « كتاب » لهداية الأمة التي تتبع كل رسول . .

إن قداسة كلمة « كلمة » لأغوار خاصة في حياة الإنسان ، حتى قبل نزول بعض الكتب السماوية . . ففي عصر البطالمة ، وبخاصة في عهد الملكة كليوباطره عقد فلاسفة العالم كله مؤتمراً دولياً في مدينة الاسكندرية ليتدارسوا في الأزمة النفسية التي كانت تجتاح العالم ، وبعد مداولات هذا المؤتمر شهراً كاملا خرج بقرار تاريخي خطير ، هو أن أزمة النفس البشرية في هذا العصر لاعلاج لها إلا بأن تجيء « كلمة » من الله . . فلما ظهر النبي عيسى المسيح في أعقاب تلك الأيام أطلق

عليه الفلاسفة اسم « كلمة الله » . وهى التسمية التى لا تزال الكنيسة تتمسك بها حتى اليوم .

وحينما ظهر اختراع الصحافة فى الأجيال العشرة الأخيرة ظهرت معها عقيدة جديدة اسمها « حرية الكلمة » .. وهى العقيدة التى لاتزال الصحافة ومن خلفها الضمير العالمى ، فى جهاد من أجلها إلى اليوم .. وإلى الغد ..

كامل :

يكاد يكون اسم « كامل » أشهر الأسماء المشتركة بين المسلمين والمسيحيين على السواء ولست أدرى هل هناك علاقة لحرف «الكاف» بأن يكون هناك عدد كبير من محترفى صناعة « الكتابة » ممن يحملون هذا الإسم ؟ . .

إن أول كاتب باسم « كامل » (عرفته فى حياتى هو المرحوم كامل كيلانى .. كان أول كاتب عرفته لسبب بسيط .. هو أن كامل كيلانى كان أول كاتب يعنى بأدب الاطفال — لست أدرى لماذا لايذكرون هذه الحقيقة الآن وهم يقدمون برامج الأطفال فى مختلف الإذاعات العربية ؟ إننا حين تعلمنا الهجاءة والمطالعة كانت كتب كامل كيلانى رائداً لنا فى أول خطانا على طريق الثقافة ..

لقد درس كامل كيلانى الفلسفة والآداب فى الجامعة المصرية القديمة .. كان من طلبة الفوج الذى يلى فوج طه حسين .. وقد حصل منها على شهادة الليسانس ثم استعد برسالة عن « ابن زيدون » الشاعر

الأندلسى للحصول على درجة الدكتوراه .. لكن اختراع كتب الأطفال باللغة العربية قد شغله عن هذا الطريق .

ولقد كان كيلانى موضع تقدير الأدباء فى عصره إلى درجة أن فريقاً منهم حينما احتفلوا بشكريه نادوا به نقيباً للأدباء .. وليس من شك أن هذا النداء كان فيه كثير من المبالغة فى عصر العقاد وطه حسين لكن الذى لامبالغة فيه أن كامل كيلانى هو أول من أنشأ مكتبة الأطفال .. ولا تزال هذه المكتبة باقية حتى الآن ..

حرف اللام

لغة :

لست أظن أنها صدفة أن يجىء ترتيب حرف اللام الذى تبدأ به كلمة « لغة » عقب حرف « الكاف » الذى تبدأ به كلمة « كلمة » .. ذلك أن اللغة هى مجتمع الكلمات .. وأود أن أقول بهذه المناسبة أن هناك خطأ شائعاً بأن هناك لغة باسم اللغة العامية .. إنه مجرد تعبير مجازى .. ذلك أن العامية ليست إلا « لهجة » من لهجات اللغة العربية وهناك دليل فطرى على هذه الحقيقة أن الناطقين باللغة العامية يقول أحدهم للآخر « أنا بكلمك بالعربى » ..

إن كل كلمة عامية لها أصل عربى .. وقد تكون هناك كلمات أجنبية دخيلة على العامية ، لكن هذا نفس الشىء الذى نجده فى العربية الفصحى حتى فى عربية القرآن الكريم .. فكلمة « أباريق »

الواردة فى القرآن مثلا من الكلمات التى احتوتها العربية الأصيلة من لهجات أخرى ..

وفى اللهجة العامية كلمات كثيرة من اللهجة العربية الفصحى ، لكن تشدد بعض الناس قد أخفى هذه الحقيقة .. فمثلا كلمة « علاقة » بتشديد اللام التى نعبر بها عامياً عن « الشماعة » كلمة عربية أصيلة وكذلك كلمة « عليق » فى العامية بمعنى وجبة الطعام للبهيم هى الأخرى كلمة عربية أصيلة ومن يبحث يجد مئات الكلمات فى العامية لها هذه الصفة العربية الفصحى .. وقد توفر على هذا البحث عالمان من علماء العصر الماضى هما أحمد تيمور « باشا » والدكتور أحمد عيسى .. ولست أدرى لماذا لا يستأنف مجمع اللغة العربية هذا البحث حتى نصل إلى يوم نقرب فيه بين الأسلوب الذى نتكلم به وبين الأسلوب الذى نكتب به ..



اللورد كيلرن عدو

الصحافة المصرية

هـذا الفصل من أرشيف الصحفى فصل مفاجىء - لم يكن فى حسابى أن أكتبه . . لكن أرشيف وزارة الخارجية البريطانية الذى أخذت جريدة الأهرام تنشر فى أعداد « الجمعة » شيئا منه بعنوان « ١٥٠ سياسيا مصرياً — ورأى السفير البريطانى فيهم منذ ثلاثين سنة » قد حملنى على كتابة هذا الفصل .. لا عن للمائة والخمسين سياسياً الذين كتب عنهم السفير البريطانى لوزارة خارجيته بتكليف منها — فأولئك قد أعود أنا أو غيرى إلى تسجيل وجهة نظر « مصرية » عنهم .. إنما أنا أكتب هـذا الفصل أصلا عن السفير البريطانى الذى أبدى هذه الآراء فيهم ، لا لتجريح آرائه . . فآراؤه بالطبع هى وجهة نظر « بريطانية » .. بل لأننى أرى أن نشر آراؤه يستلزم بالطبيعة تقديم صورة عنه للجيل الجديد فى بلادنا وهذا السفير البريطانى هو « الرايت أونرابول سير مايلز لامبسون » الذى لقب بعد نجاح سياسته الاستعمارية ، من وجهة النظر البريطانية فى مصر ، بلقب « لورد كيلرن » .

أيام الأفيون :

وكلمة « رايت أونرابول » هى لقب من ألقاب « الشرف » القديمة فى بريطانيا . . وكان ما يلزم لامبسون يحمل هذا اللقب عندما كان

ممثلا لبلاده فى الصين .. الصين بوضعها القديم قبل أن تنجح فيها الثورة الشعبية .. ومن المعروف تاريخيا أن سير لامبسون كان أحد معوقات هذه الثورة من جهة ، وأحد الذين أسفرت سياستهم الاستعمارية عن توليد خواطر هذه الثورة فى أذهان الطبقة المثقفة العاملة فى الصين من جهة أخرى .. فقد اشتهر عن لامبسون أنه رجل شديد المراس يستخدم الشدة فى معاملاته السياسية فى البلاد التى يمثل فيها بلاده بوصفه « مندوبا ساميا » والمندوب السامى فى العرف السياسى اختصاصات أبعد غوراً من اختصاصات السفير واختصاصات « المندوب فوق العادة » .

ولقد ارتفعت فى الصين خلال وجود لامبسون بها أصوات متعددة بالشكوى من انتشار تجارة وممارسة مادة الأفيون . . وقد كانت مادة الأفيون إحدى المواد التى يعتمد عليها الاستعمار القديم فى تخدير الرأى العام حين يثور .. ولهذا كان فى مقدمة الأعمال التى قامت بها ثورة الشعب فى الصين بعد عهد لامبسون بها هو القضاء على الأفيون تجارة واستعمالا .

البساط الأحمر :

ويرجع التفكير فى تعيين سير لامبسون ممثلا لبلاده فى مصر إلى ثورة الشباب المصرى فى سنة ١٩٣٥ فى أعقاب تصريح وزير الخارجية البريطانى « الصهيونى » واسمه سير صمويل هور — التصريح الذى اعتبره الشعب المصرى تدخلا فى شئونه الخاصة ، لأنه يتناول فيه

بعض المسائل الدستورية الداخلية بالتعليق وإبداء الرأى المضاد لرأى الشعب المصرى . .

ولقد كانت ثورة شباب سنة ١٩٣٥ فى مصر من الحرارة إلى الدرجة التى اجتذبت القادة السياسيين وراء خطوط الشباب . وبدأ واضحا أمام الساسة البريطانيين أن الساسة المصريين إذا هم لم يتجمعوا — بجزم — فى عمل سياسى موحد يمنع الخطر الشعبى عن الوجود البريطانى فى الشرق الأوسط ، فإن زمام هذا الوجود سيفلت فى الوقت الذى كانت فيه نذر الحرب العالمية الثانية تتردد فى أفق السياسة الدولية وكان هذا العمل السياسى هو تشكيل هيئة من زعماء الأحزاب المصرية جميعا للاشتراك فى توقيع معاهدة « صداقة وتحالف » مع بريطانيا وهى معاهدة سنة ١٩٣٦

فى هذا الجو عين « الرايت أونرابول سير مايلز لامبسون » الذى راض عضلاته السياسية فى الصين قبل ثورتها — مندوبا ساميا لبريطانيا فى القاهرة .. وقد سبقت قدومه إلى مصر « إرشادات » يرى المندوب السامى أنها ضرورية بالنسبة لشخصه الذى يحمل لقب «رايت انرابول» وفى مقدمتها أن يفتح له فى محطة القاهرة الباب الملكى ليجتازه من القطار إلى السيارة وأن يبسط البساط « الملكى » الأحمر اللون ليسير عليه فى هذه الخطوات . .

ولكى تكون الصورة واضحة عن سير لامبسون ، أو اللورد كيلرن ينبغى أن نسجل هنا أنه بعد توقيع معاهدة سنة ١٩٣٦ وتطور وصفه

الدبلوماسى من « مندوب سام » إلى « سفير » كأى سفير آخر لأية دولة أجنبية أخرى — قد اشترك فى المذكرات الشفهية التى كان يتبادلها مع حكومة مصر بعد هذا التطور أن يظل « حقه » قائماً فى أنه كلما ذهب إلى محطة القاهرة قادما أو عائداً أن يفتح له الباب الملكى وأن يبسط تحت قدميه البساط الملكى الأحمر .. وأن يعتبر فى نفس الوقت عميداً للسلك الدبلوماسى الأجنبى فى مصر رغم أنه لم يكن أقدم السفراء . . وقد عالجت الدول « الصديقة » هذا الوضع بأن غيرت سفراءها الأقدم منه فى القاهرة ..

وكان سير لامبسون ، أو اللورد كيلرن ، يتبع فى دار السفارة البريطانية « بروتوكولات القصور الملكية .. فهو لا يستقبل الضيوف فى حفلاته ، بل ينتظر فى مكتبه حتى يتجمعوا ثم يقبل عليهم ليكونوا هم فى استقباله أيا كانت مراكزهم . . وفى المرة الوحيدة التى عقد فيها مؤتمرا صحفيا خلال الحرب العالمية الثانية لم يجلس إلى مائدة واحدة مع الصحفيين أو أمام الصحفيين بل لقد أعدت له السفارة منصة عالية يجلس فوقها ومن حوله رجال حاشيته .. أما الصحفيون من مختلف الجنسيات ، فيجلسون فى القاعة بعيدا عن منصة اللورد بمترين وتحت مستواها بمتر تقريبا .

ولقد كانت هذه « الحركات » تثير نفوس الأجانب قبل المصريين لكن قرينة اللورد كانت الدواء المخفف لثورة النفوس . !. فقد كانت سيدة إيطالية شابة جميلة جدا ، تصغر اللورد ، ربما بعشرات السنين

وحينما كان يصل إلى القاهرة ابنه الشاب من زوجته السابقة ، وحينما كان يظهر هذا الابن الشاب مع زوجة أبيه كان الناس يلاحظون أن الابن أقرب إلى اللياقة من أبيه بالنسبة لهذه الزوجة .

لكن اللورد الذى كان يسمى فى المجالس الخاصة المقفلة باسم « اللورد المخيف » كان على ضخامته الجسمانية الهائلة ، كالحمل الوديع إزاء زوجته الحسناء التى كانت تبدو بجانبه من الناحية الجسمانية ، وكأنها طفلة صغيرة .

والواقع أن اللورد كان يعامل زوجته معاملة الطفلة المدللة فعلا .. فكثيراً ما كانت فى عز أيام الأزمات تقترح عليه أن يذهبا إلى رحلة « صيد » فى بلدة أكياد أو الفيوم — فينسى همومه السياسية ويتبعها فى هذه الرحلة .. فإذا ألحت عليه هذه الهموم ، وكثيراً ما كان يحدث كان يتركها تذهب إلى حيث تشاء بين مجموعة من الأصدقاء والصديقات تختارهم بنفسها ، وكانت هذه المجموعة تمتاز دائماً بالشباب والجمال واللياقة الاجتماعية .

لكن اللورد كان يستطيع فى بعض المواقف أن يغلب طبيعة عمله على طلباتها الأخرى التى كانت تتلخص فى شراء الكثير مما يتكلف الكثير .. أحياناً أكثر من أن تحتمله ثروة اللورد .. ولهذا كثر الهمس حول الصفقات التى كانت تعقد سراً باسمه أو باسمها دون علمه أو دون معارضته ، خلال الحرب العالمية الثانية ومن خلال ظروفها . .
وهو الهمس الذى كان السبب الأول من أسباب نقله إلى لندن عقب هذه الحرب ..

والواقع أن أسم لورد كيلرن قد اقترن فى التاريخ الدبلوماسى بتاريخ الحرب العالمية الثانية .. لقد كان اختياره لمنصبه فى مصر مقترناً بظروف هذه الحرب السابقة واللاحقة وهو الذى استطاع أن يقنع مصر فى أزمة العلمين أن تضع تحت تصرف القوات البريطانية جميع إمكانات السكة الحديدية . حتى لقد أنشأت هذه القوات بعربات « البضاعة » خطاً دفاعياً لها فى ميدان معركة العلمين .. وكان هذا الخط من الأسباب الهامة فى تغيير دفة الحرب لصالح القوات البريطانية بعد أن كانت على أبواب الهزيمة .

لقد اعترف اللورد كيلرن بهذه الحقيقة فى حفلة من حفلات نادى محمد على ، الذى أصبح الآن « نادى التحرير » لكن ما كاد الدكتور هيكل باشا بوصفه إذ ذاك زعيما للمعارضة فى مجلس الشيوخ يتقدم على هذا الأساس باقتراح جلاء القوات البريطانية عن الأراضى المصرية بمجرد إنتهاء الحرب — حتى ثار اللورد ، واعتبر هذا الاقتراح «طعنة» من الخلف ومخالفة لمعاهدة سنة ١٩٣٦ .. ثم عاد وأنكر تصريحه الذى اعترف فيه بأن بريطانيا مدينة لمصر بالكثير فى معركة العلمين .

وحين وضعت الحرب أوزارها وطالبت مصر بالنفقات التى تكبدتها فى هذه المعركة — وكان طلباً مصحوباً بكشف حسابات مفصل — رد اللورد على هذا الطلب بأن مصر هى « المدينة » للقوات البريطانية لأنها دافعت عنها ضد « الغزو » المحورى الألمانى الإيطالى !

أسلوب الفضائح :

واللورد كيلرن هو أحد اثنين من المندوبين الساميين البريطانيين حملا الإنذارات إلى المسئولين فى مصر .. الأول هو لورد اللنبي الذى حمل الإنذار البريطانى إلى رئيس الوزراء سعد زغلول فى نوفمبر سنة ١٩٢٤ إثر مقتل سير لى ستاك « السردار » البريطانى للجيش المصرى إذ ذاك .. والثانى هو لورد كيلرن الذى حمل الإنذار البريطانى إلى الملك السابق فاروق فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .. والفرق بين الإنذارين وأسبابهما وطريقة تقديمهما تبرز شخصية كل منهما .

لقد ذهب لورد اللنبي إلى مقر رئيس الوزراء سعد زغلول ومن حوله كوكبة من جنود الحرس البريطانى ، وكان إنذاره يتركز على مطالب بريطانيا فيما يختص بحادث سير لى ستاك .. أما لورد كيلرن فقد ذهب إلى قصر عابدين فى فرقة كاملة من الجيش البريطانى معززة بالدبابات ، وكان إنذاره منصباً على الأوضاع الداخلية فى مصر رغم معاهدة سنة ١٩٣٦ ..

وكان لورد كيلرن فى هذا اليوم يحمل الطابع الخاص بأسلوبه فى السياسة .. فقد حمل مع الإنذار البريطانى ملفاً خاصاً عامراً بالصور الفاضحة لفاروق كوسيلة من وسائل التهديد ..

معلومات شذاذ الآفاق :

ولهذا لم أستغرب فيما نشرته « الأهرام » من أرشيف لورد كيلرن عن « ١٥٠ سياسياً مصرياً منذ ثلاثين سنة » أن تكون

هناك إضافات حذفتها « الأهرام » عن السلوك الشخصى لبعض من كتب عنهم .

أن اللورد نفسه كان خبيراً فى هذه الشئون ، وبخاصة منها ما كان يتعلق بالصفقات سواء كانت هذه الصفقات بشرية أو عينية أو مالية .

لكن .. من أين كان يستقى لورد كيلرن معلوماته عن السياسيين وغير السياسيين المصريين .

الذى ليس فيه شك أن الأجهزة البريطانية كانت من أقدر الأجهزة فى العالم فى الحصول على « المعلومات » حتى لا يستطيع أى مؤرخ الاستغناء عن المراجع الإنجليزية فى هذا الباب .. باب « المعلومات » .. أما فى باب « التوصيف » فقد كانت هناك أجهزة انشأها اللورد فى سفارته لشراء البيانات التى تساعده هو شخصياً على إبداء رأيه أمام حكومته .

لقد كانت غالبية أعضاء هذه الأجهزة ممن يسمونهم « شذاذ الآفاق » أى الأشخاص الذين لا وزن لهم فى الخلق من مختلف الأجناس .. بل لقد كان الرئيس الأعلى لهذه الأجهزة « لورداً » صغيراً معروفاً بشذوذه فى كثير من أندية الليل التى ظهرت هنا وفى كل مكان خلال سنى الحرب .

ولكى تكمل الصورة عن اللورد صاحب الأرشيف عن المائة والخمسين سياسياً مصرياً ، لا بد أن نذكر أنه بوصفه عضواً فى مجلس اللوردات البريطانى كان أحد اثنين اشتدت حملتهما على اتفاقية الجلاء عن مصر فى سنة ١٩٥٦ وأحد الذين باركوا ــ بضراوة ــ العدوان الثلاثى على مصر

إذ ذاك جزاء ماقدمت له مصر من المعونات خلال الحرب العالمية الثانية.. لاستكمال اللفات التى كانت تعدها السفارة البريطانية لوزارة خارجيتها عن مئات المصريين ، لا عن هذا العدد من السياسيين وحدهم .. فضلا عن أن الذين كتب عنهم اللورد فى هذه « الوثيقة » لم يكونوا كلهم من السياسيين ، بل كان من بينهم أشخاص لا صلة لهم بالسياسة أصلا فإنى أحاول إبداء وجهة نظر مصرية..إزاء هذه النظرة «الإنجليزية» بالنسبة لأولئك الأشخاص .. على أن الأمانة تقتضى ألا أتدخل إلا فيما أعرف .. وسأكتفى هنا بواقعة واحدة بالنسبة لكل من الـ ١٣ شخصية من بين الشخصيات الذين نشرت آراء الدبلوماسى البريطانى فيهم وذلك حسب ترتيب أسمائهم أبجدياً على طريقة هذه السلسلة من « الأرشيف الصحفى » .

* أحمد حسنين :

عندما تحدث لورد كيلرن عن أحمد حسنين « باشا » رئيس الديوان منذ ثلاث وثلاثين سنة بوصفه صديقاً ساءت صداقته لم يذكر السبب فى هذا التحول .. السبب أن حسنين باشا فى نهايات سنة ١٩٤١ وبدايات سنة ١٩٤٢ كان قد أعد العدة ليشكل وزارة برياسته من الشباب المستقلين الذين لم يسبق لهم الاشتراك فى الحكم بقصد أن تكون هذه الوزارة سنداً للقصر فى مواجهة كل الأحزاب .. وكانت غلطة حسنين فى نظر اللورد ، وهى تجاهله ، من الأسباب الداعية إلى إنذار ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ بقصد تشكيل الوزارة من حزب الأغلبية وبرياسة زعيمها كاحتياط وقائى فى مواجهة الأحداث التى كانت محتملة نتيجة لزحف جيش القائد الألمانى روميل فى معركة العلمين . .

* **أحمد ماهر :**

يصف اللورد كيلرن الدكتور أحمد ماهر « باشا » رئيس وزراء سنة ١٩٤٥ بأنه كان برلمانياً متحفظا قليل الكلام — مع أننى، وغيرى من الصحفيين ، قد حضرنا جلسة لمجلس النواب فى سنة ١٩٤٠ تكلم فيها أحمد ماهر بوصفه زعيما للمعارضة ثلاث ساعات متوالية ، وقال فى هذه الجلسة « إننا سنطرد هذه الوزارة — وزارة المرحوم حسن صبرى — من هذا المجلس » .. وليس صحيحاً أن أحمد ماهر كان — كما يقول اللورد — أسوأ أخوته .. الصحيح أنه كان أحسنهم .

* **أمين عثمان :**

لقد مدح اللورد فى « وثيقته » أمين عثمان « باشا » كثيراً ، وهذا حقه .. فأمين عثمان هو القائل أن العلاقة بين مصر وبريطانيا كعلاقة الزواج الكاثوليكى الذى لا انفصال فيه مطلقاً » .. لكن اللورد لم يقل كيف ارتقى أمين عثمان من وظيفة سكرتير لوزير المالية فى سنة ١٩٣٠ وهى وظيفة من الدرجة السادسة ، إلى منصب الوزارة فى سنة ١٩٤٢ ..

* **حافظ رمضان :**

يقول اللورد أن حافظ رمضان « باشا » رئيس الحزب الوطنى كان يتقاضى أموالا من الخديوى السابق عباس حلمى دون أن يقول يقول كيف كانت تصله هذه الأموال فى عصر كانت كل المصاريف هنا تحت رقابة البنك الأهلى ... الانجليزى .. والمعروف أن حافظ رمضان قد مات فقيراً . .

حافظ عفيفى :

يصف اللورد حافظ عفيفى بأنه زعيم الأحرار الدستوريين .. وهو أمر لم يحدث مطلقاً .. أما أنه قد انتقل من رياسة مجلس إدارة بنك مصر إلى رياسة الديوان الملكى لأسباب سياسية — فهذا أيضاً غير صحيح — والصحيح أن فاروقاً — الملك السابق — حينما أراد أن يبسط يده على مشاريع بنك مصر الاقتصادية أختار «أندراوس باشا» أحد رجال حاشيته ليرأس مجلس إدارة البنك ، ولم تكن هناك وسيلة لإخلاء هذه الوظيفة من شاغلها « حافظ عفيفى » إلا بتعيينه رئيساً للديوان الملكى ، ثم تركه فى رياسة الديوان الملكى مهملا دون الاعتماد عليه فى غير الشكليات ..

* طلعت حرب :

يصف اللورد خروج طلعت حرب « باشا » من بنك مصر — الذى أنشأه — فى أكتوبر سنة ١٩٣٩ بأن ذلك يرجع إلى تصرفات طلعت حرب ، ولم يذكر اللورد أن إخراج طلعت حرب من بنك مصر كان مبيتاً من سنة ١٩٣٥ حينما دعا طلعت حرب مع بعثة اقتصادية مصرية لزيارة مصانع النسيج فى بريطانيا فى محاولة لإقناعه بالتخفيف من نشاط شركة المحلة الكبرى التى أنشأها ، فلما لم يقتنع — كان لا بد فى رأى العناصر البريطانية أن يستبعد طلعت حرب عن دائرة النشاط الاقتصادى .

* عزيز المصرى :

ذكر اللورد فى « وثيقته » كل شىء عن الضابط المصرى العظيم

الفريق عزيز المصرى إلا واقعة انفصاله عن الثورة العربية التى ظهرت فى الحجاز خلال الحرب العالمية الأولى .. لقد نصح المستشار البريطانى « كليتون » الشريف حسين والى الحجاز بمنح عزيز المصرى أجازة ليعود إلى القاهرة ، فلما عاد وجد أنه من المحظور عليه الرجوع إلى الحجاز ..

* **فارس نمر :**

كان طبيعياً أن يمتدح اللورد كيلرن صديقه فارس نمر « باشا » أحد أصحاب جريدة « المقطم » لكن اللطيف أن اللورد يقول أن هذه الجريدة قد أصبحت « فيما بعد » جريدة انتهازية .. كان اللورد ينسى أن جريد المقطم منذ بداية أمرها قد وجدت لحساب الإنجليز وبتأييد منهم .

* **محجوب ثابت :**

يقول اللورد أن الدكتور محجوب ثابت الذى كان يتزعم حركة العمال فى العشرينيات قد فصل من الوفد لأسباب مالية سنة ١٩٢٢ بينما المعروف أن محجوباً كان أحد الجلساء الأساسيين فى مجالس سعد زغلول الخاصة إلى نهاية حياة سعد زغلول فى سنة ١٩٢٧ ، بل كان أحد أطبائه ، وهو الطبيب الشهير الوحيد الذى لم يعرف الثروة .. حتى ولا اسمها ..

* محمد محمود :

فى حديث اللورد عن محمد محمود « باشا » يحاول دائماً أن يصفه بأنه « صديق » ويتناسى اللورد أن محمد محمود كان المعارض الأول فى مفاوضات معاهدة سنة ١٩٣٦ وأنه حين تولى الحكم فى سنة ١٩٣٨ قد عدل من نصوصها .. لقد كانت السياسة البريطانية تصف بعض الساسة المصريين بالصداقة لها عمداً لكى تزيد هوة الخلاف الذى كانت تعتمد عليه بريطانيا دائما فى السيطرة على البلاد .

* محمود عزمى :

يصف اللورد الصحفى محمود عزمى بأنه كان دائم الطلبات من السفارة البريطانية لمساعدته .. مع أن اللورد نفسه يعترف بأن عزمى كان يقود حملات صحفية ضد المعاهدة البريطانية وضد سياسة الإنجليز فى فلسطين ، بل لقد مات عزمى على منبر مجلس الأمن .. بوصفه ممثلا لمصر ، وهو يدافع عن قضية فلسطين فى رده على خطاب المندوب البريطانى .

* الشيخ مصطفى المراغى :

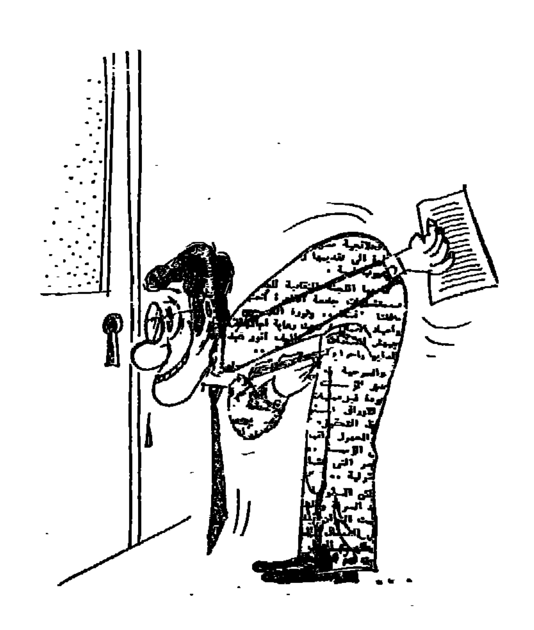
ذكر اللورد فى « وثيقته » كل شىء عن الشيخ مصطفى المراغى الذى كان شيخاً للأزهر منذ خمس وثلاثين سنة إلا أنه قد خطب ، إذ ذاك فى مسجد الرفاعى ، وفى حضرة الملك ووزرائه مطالباً بإعلان حياد مصر فى الحرب العالمية الثانية .. وأنه عارض فاروقاً الملك السابق فى

طلاق زوجته الأولى مهدداً بالاستقالة إن وقع هذا الطلاق . . وبالفعل لم يتم هذا الطلاق فى عهد مشيخته للأزهر ..

* مكرم عبيد :

وصف اللورد مكرم عبيد « باشا » وصفاً تفصيلياً ، لكنه حينما ذكر شعبية مكرم لم يذكر أسبابها .. وفى مقدمة هذه الأسباب أن مكرماً كان أحد عمد الاندماج بين المسلمين والأقباط فى ثورة سنة ١٩١٩ .. وهو القائل « أنا مسلم وطناً » .

* * *



مصر فى القرآن

ها نحن قد جئنا إلى أغنى حرف فى اللغة العربية .. يكفى أن كلمة « مال » تبدأ بحرف الميم لـكى تشعر أن هذا الحرف يمتاز بالغنى ، ليس فى اللغة العربية وحدها ، بل وفى لغات أخرى ، ففى الإنجليزية — مثلا تبـدأ كلمة « نقود » بحرف الميم .. لـكننى لا أزن حرف الميم بميزان الذهب ، إن الذهب سوف يذهب ، إنما أزنه بميزان القومية ، القومية الوطنية والقومية الروحية أيضاً .. ففى جانب القومية الوطنية نجد أن أعز اسم عليها هو اسم « مصر » لقد أعز الله اسم مصر بذكرها وحدها دون كل الأقطار فى القرآن الـكريم . أما من الناحية الروحية فقد اشتهر حرف الميم منذ أربعة عشر قرناً عند مولد نبى الإسلام الذى ألهم الله أهله بأن يسموه « محمد » .. واسم محمد هو الذى يعطى حرف الميم كل هذا الثراء الذى يستمتع به .. ففى آية مناسبة تتلى فيها أسماء للواطنين نجد أن اسم محمد يستغرق نصف الوقت وبقية الأسماء تستغرق النصف الآخر .. ولقد سبق فى علم الله أن اسم « محمد » سيأخذ هذا الحيز كله من أسماء ملايين المسلمين فاختص النبى بأسماء أخرى منها : أحمد ومحمود ومصطفى .. .. الخ ..

حرف الميم

مصطفى :

أول مصطفى عرفته فى حياتى — بعد مصطفى — هو صديقى مصطفى الوكيل . . لقد كان أسطورة ، تخرج وهو دون العشرين فى كلية العلوم . . كان أول . . . الخريجين ، فأوفد فى بعثة إلى لندن . . وفى لندن كان فتى العشرين مصطفى الوكيل يعقد المؤتمرات لأعضاء مجلس العموم البريطانى يحدثهم فى حقوق مصر . . كان هذا وشباب مصر فى ثورة سنة ١٩٣٥ . . فجازته الحكومة على جرأته بإلغاء بعثته فما رجع . . استمر فى دراسته رغم ذلك حتى حصل على الدكتوراه فى العلوم . . وكانت رسالته نظرية علمية جديدة فى الرياضة البحتة لاتزال تدرس حتى الآن بلندن .

وعاد مصطفى الوكيل إلى القاهرة يحمل الدكتوراه وفى الرابعة والعشرين من عمره ، لكن الطغيان السياسى لم يرحم هذا النبوغ فمنع من شغل وظيفته فى الجامعة فإذا بجامعة بغداد تناديه للأستاذية فيها . . وفى بغداد التقى مصطفى الوكيل بثورة رشيد عالى الكيلانى ، فكان مشعلا من مشاعل هذه الثورة . .

وقامت الحرب العالمية الثانية فى أخريات سنة ١٩٣٩ ، اتخذت السلطات الإنجليزية فى العراق من الحرب وسيلة للبطش بالثوار ، فإذا بثوار العراق يمهدون لمصطفى سبيل الرحيل . . وإذا به لا يعود إلى

مصر . . بل إلى برلين ليجد المنبر الذى يهاجم منه الاحتلال البريطانى فى البلاد العربية . . وهناك أراد القدر له أن يختتم هذه الأسطورة بأن يموت شهيداً فإذا بغارة من غارات الحرب تمزق صدره ، ليس لشىء سوى أنه كان أثناء الغارة يقوم بخدمة اللاجئين العرب دون أن يأخذ طريقه إلى المخابىء من الغارات . . فمات ، ولكن ذكره لايموت .

* * *

مصطفى الثانى الذى التقيت به فى حياتى العامة هو مصطفى حبيب.. ومصطفى حبيب كان صحفياً ، ثم شغل منصباً من المناصب التى يعتبرها الصحفيون من مراجع أخبارهم . . لكن تجربة مصطفى الصحفية علمته كيف يبعد عن الأضواء .

لقد تخرج فى القسم الإنجليزى بكلية الآداب ، ودرس الصحافة فى معهد الصحافة العالى الذى سبق انشاء قسم الصحافة بجامعة القاهرة الذى انتهى إلى كلية الإعلام . . . ولقد عمل فى عدة صحف اخصائياً فى الترجمة والسياسية الخارجية ، وكان آخر هذه الصحف هى جريدة القاهرة التى جمعت بينه وبينى .

كنت أرى فيه محرراً غير عادى فهو قبل كل شىء المرجع اللغوى فى المصطلحات السياسية . . ولم يكن يترجمها لزملائه هذه المصطلحات بلفظها فقط ، بل وبمعناها أيضاً وبهذا الأسلوب فى الترجمة اعتبر أن مصطفى حبيب ، الذى لم يعش قط فى أضواء الصحافة ، كان أحد الذين

أدخلوا في لغة الصحافة الشيء الكثير من المصطلحات الأجنبية بلغة عربية سليمة . . وقد ساعد مصطفى على إرساء قواعد العربية الأصيلة في مترجماته أنه قد اختير أستاذاً في كلية اللغة العربية فعاش عيش الفصحى العريقة في هذه الكلية ..

كانت طريقة مصطفى حبيب في عمله الصحفي الذي بدأه منذ أكثر من ثلاثين عاماً هي طريقة التجميع لأشتات الأخبار الخارجية من مختلف مصادرها وإخراجها موضوعاً واحداً مرتباً .. كانت هذه الطريقة إلى ما قبل الخمسينيات شيئاً جديداً ، وكان لمصطفى حبيب جانب من أكبر جوانب الفضل في هذا الجديد .

لكن مصطفى حبيب ، بعد هذا كله ، لم يتفرغ للصحافة .. لقد كانت وزارة التعليم العالي قد شدته إليها ، حتى وصل في سلم درجاتها إلى درجة وكيل الوزارة في وظيفة المدير العام للثقافة بهذه الوزارة .. ثم انتقل إلى جوار ربه بنفس الهدوء الذي تميز به .

محمود :

وكما يقترن اسم محمد باسم مصطفى — فهو يقترن أيضاً باسم محمود .. والذين يحملون هذا الاسم كثيرون ، أولهم بالنسبة لي من الناحية الخاصة كان أبي .. أما من الناحية العامة فكان أولهم بالنسبة لي هو محمود كامل .. لقد كان هذا الإسم يرن في أسماع الشباب طوال الثلاثينيات ، ولست أدري أين ذهب الآن هذا الرنين ؟ !

كان محمود كامل في الثلاثينيات هو الكاتب الأول للقصة القصيرة

العصرية .. .. وكلمة « العصرية » هنا ليست مجرد وصف ، بل إنها حقيقة فنا من قصاص ترجم فى قصصه القصيرة نقلة الشباب المصريين إلى أزياء الحياة الاجتماعية الحديثة كما ترجمها محمود كامل . ولو أنك عدت إلى مجاميع أقاصيصه لوجدت فيها كل أضواء المدينة وسهراتها وما يتخلل هذه السهرات من تطور الحياة الأسرية فى مصر خلال هذه الفترة ..

لقد اشتهر محمود كامل بهذا الأسلوب العصرى ، لأنه هو نفسه كان شاباً عصرياً لم يمنعه نصف العرج الذى يعانيه من أن يكون نجما من نجوم الحفلات الراقصة ثم تبين أن هذا كله إلى زوال — وأراد أن يقوم بعمل أبعد عمقاً فى الواقع ، فسخر موهبته الكبيرة فى المحاماة واطلاعه الغزير فى اللغة الأجنبية — فى مشروع جديد هو مشروع الاتصال بين أسرة المحاماة فى مصر وأسرة المحاماة فى الخارج .. قام محمود كامل وحده بهذا الجهد قبل أن يصبح هذا الاتجاه أسلوباً نقابياً فيما بعد ..

ومن خلال رحلاته فى الخارج اكتشف موهبته السياحية فسخرها فى مصر فناً جديداً ..

لقد عرفت محمود كامل إلى جانب هذا كله صحفياً يخرج أول مجلة تحمل اسم « الجامعة » لكنه كان صحفياً متخصصاً فى كتابة القصة الصحفية إلى درجة أنه كان يذهب أحياناً إلى مكتبه بدار الهلال ، بعد أن عين محرراً بها ، وهو خالى الذهن تماماً فإذا جلس إلى ورقه وأقلامه استطاع أن يكتب قصة بالسهولة التى تكتب بها المقالات .

إن محمود كامل طراز من الصحفيين والقصصيين لم يتكرر ..

منصور :

منذ بدأت حرف الميم وأنا أفكر فى اسم منصور إنه أعز الأسماء على فى حياتى الدراسية ، لأنه اسم الرجل الذى درست عليه الفلسفة ، وهو الدكتور منصور فهمى ..

كان منصور فهمى فى سنة ١٩٠٨ طالباً فى دراسة الحقوق لكن الاختيار قد وقع على هذا الطالب ليكون أول مبعوث للجامعة المصرية القديمة إلى فرنسا لدراسة الفلسفة والآداب ، ومن جامعة باريس حصل منصور فهمى على شهادة الدكتوراه فى الفلسفة وعاد إلى القاهرة ليشغل كرسى الأستاذية فى الجامعة المصرية القديمة ، لكنه فوجىء فور عودته بأنه مستبعد عن هذه الوظيفة ، ليس لشىء سوى أن شيوخ الجامعة المصرية القديمة الذين لم يكونوا على علم بأسرار اللغة الفرنسية قد قيل لهم أن رسالة منصور فهمى التى نال بها اجازة الدكتوراه من جامعة باريس قد تعرضت لفلسفة الزواج فى حياة النبى محمد .

وعبثاً حاول منصور فهمى أن يشرح لشيوخ الجامعة المصرية القديمة ما كتب .. لقد كان هناك صراع بين القديم والجديد ، وكان منصور فهمى أول ضحايا هذا الصراع .. ولم يستطع منصور أن يلقى الناس فى مصر بعد هذه التهمة التى ألقيت عليه فبارح مصر إلى تركيا ، وعاش فيها خلال سنى الحرب العالمية الأولى ، وبعد سنى هذه الحرب وقيام ثورة سنة ١٩١٩ التى غيرت الكثير من المفاهيم والأوضاع — أرسلت الجامعة القديمة فى استدعاء مبعوثها الأول ليتولى التدريس فيها

وانتقل منصور فهمي من الجامعة المصرية القديمة إلى الجامعة المصرية الجديدة بعد عذاب .. عذاب البحث فى مؤهلاته التى ضيعتها السنون وقد أمضى سنى هذا العذاب أستاذاً بدار المعلمين العليا ثم عاد إلى مكانه الطبيعى أستاذاً للفلسفة بجامعة القاهرة .

وحينما تتلمذت عليه وجدت فيه فيلسوفاً بالسلوك أكثر مما كان فيلسوفاً بالفكر فهو رجل لم يتوفر على إخراج كثير من المؤلفات لكنه توفر على إخراج كثير من الطلبة وكان يعتبر طلبته هى كتبه الحية .

ولعل مما ساعد على ندرة مؤلفات الفيلسوف منصور فهمى أنه كان من أكثر الناس اندماجاً فى الحياة العامة ، فهو أحد مؤسسى جمعية الرابطة الشرقية ، وجمعية الهلال الأحمر ، ثم جمعية الشبان المسلمين . . ومع أن السن قد علت به فوق مرحلة الشباب وكذلك المناصب — فقد صار « باشا » ومديراً لجامعة اسكندرية وأميناً للمجمع اللغوى لكن ولاءه لجمعية الشبان المسلمين كان مستمراً .

من أسرار معركة بورسعيد

ألم أقل لك أن حرف الميم هو أغنى حروف اللغه العربية . . إن الفصل الماضى لم يتسع لكل ما فى أرشيفى من الأسماء الميمية . . وها أنا أعاود البحث فى هذا الأرشيف عن الميمات .. وأنا فى هذا البحث أحاول أن أصحح واقعة . فليس معنى الغنى فى حرف الميم أن كل المسميات الميمية مسميات سعيدة .. أن من حكمة الوجود أن ينتهى الجمال إلى القبح ، وأن تنتهى الحياة إلى الموت ، وأن تنتهى القوة إلى الضعف ، فما من شىء فى هذه الدنيا إلا ويحمل نقيضه فى كيانه .

بقية حرف الميم

مظلوم :

يكفى من إثبات هذه الحقيقة أن حرف الميم الذى يحمل كل هذا الغنى هو الحرف الذى تبدأ به كلمة « مظلوم » وكلمة « مظلوم » كانت أحياناً من أسماء الأضداد .. ففى الجيل الأسبق كان هناك رجل من رجال السياسة اسمه أحمد « مظلوم » باشا . . كان مظلوم باشا يكاد يكون صاحب ملايين . . إن أمواله كانت ركناً ركيناً فى أكثر من بنك . . ثم هو كان وزيراً فى مستهل القرن العشرين ثم رئيساً للجمعية التشريعية وقد أهله هذا المنصب لأن يكون رئيساً لمجلس النواب عند قيامه فى برلمان سنة ١٩٢٤ . . إلى هذا الحد كان مظلوم باشا رجلا محظوظاً . . ومع هذا كله فمن يدرى ماذا كان فى حياته الخاصة .

لكننى تعرفت أخيراً على « مظلوم » آخر ، هو الدكتور محمد مظلوم الشامى ، المحاضر بكلية الشريعة بجامعة الأزهر سابقاً .

لقد أخرج هذا الرجل كتيباً رشيقا فى وصف الظلم الذى وقع عليه . . إنه ظلم من نوع جديد . . ظلم فكرى .. ذلك أنه هو صاحب فكرة الإفراج عن تمثال مصطفى كامل من محبسه وإقامته فى أحد ميادين العاصمة فلما لم يجد الاعتراف بهذا الفضل جمع « مستنداته » ضمن هذا الكتيب الرشيق الذى جعل موضوعه عنوانه « لمحة عن مشروع إعادة كتابة التاريخ القومى » وأول هذه المستندات أنه قد نشر فى جريدة الأهرام فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٧ كلمة ينادى فيها بإقامة التمثال ..

والجميل أن هذا « المظلوم » كان منصفاً فنشر فى كتيبه تعليق الصحفى العجوز للرسوم توفيق صليب على هذه الكلمة واعتبره شريكا فى فضل هذه الفكرة .

ألا ترى معى أن هذا الرجل الفاضل يضع أصابعنا على حقيقة خطرة هى أن الظلم أنواع أخطرها الظلم الفكرى وأن الظلم لا عمق له إلا بالشعور به . . أما الذين لا يشعرون بأنهم مظلومون فهم السعداء حقاً ..

مريم :

ومن الظلم فى هذا الأرشيف أن غالبية الأسماء فيه أسماء رجال .. لماذا ؟ .. أليست فى الأرشيف الذهنى أسماء نساء ؟ ! .. إن فى أرشيفى

الصحفى اسم سيدة كان من الظلم فى تاريخ الصحافة المعاصرة ألا يذكر اسمها . . هذه السيدة هى المرحومة مريم خالد ..

فى ربيع سنة ١٩٥٥ ذات يوم زارتنى فى مكتبى بجريدة القاهرة سيدة شابة يختلط شبابها بشىء من الوقار ، كما يختلط التوثب ببريق الذكاء فى عينيها ، وقدمت إلى خطاب تعريف بها من صديق يشغل مركزاً جامعياً مرموقاً فى الاسكندرية . قال الصديق فى خطابه أن هذه السيدة الشابة هى زوجة زميله فى مراكز الأستاذية بالجامعة السكندرية وأنها قد قاسمتهما بعض الدراسة « العلمية » فى جامعة لندن ، لكنها تركت الدراسة كى تتفرغ للزوجية والأمومة . . وفجأة ظهرت عليها ملامح الصحافة . . لكن من الذى يصدق أن هذه السيدة التى بلغت الثلاثين أو جاوزتها يمكن أن تبدأ من جديد .

وضع صديقى هذا السؤال أمامى . . فسألتها بدورى عن سر اهتمامها بالصحافة ، وكل الذى يحيط بها كسيدة يوحى بأنها فى غنى عن هـذه المهنة . فهى زوجة أستاذ جامعى لامع وهى مشغولة بتربية الأولاد ، وهى كما فهمت — عضو فى غالبية الهيئات الاجتماعية بالعاصمة الثانية . .

قالت إن اشتراكها فى الأنشطة العامة بالأسكندرية هو الذى يشدها للصحافة إن الصحافة فى القاهرة لا تعطى لهذه الأنشطة السكندرية حقها بالكامل ، ولقد كان هذا صحيحاً بالفعل إذ ذاك . . لكن : هل تستطيعين ياسيدتى تغطية هذا الجانب صحفياً ؟ وهل سبق لك أن مارست الكتابة فى الصحف ..

قالت : كلا . . لكننى سأجرب ، وإلى أن تنجح التجربة فأنا لا أطالب الجريدة بأى إلتزام بى من الناحيتين الأدبية والمادية .

وهكذا عرضت هى ما كان يمكن لى أن أعرضه ، فقبلت هذا العرض منها .. وانصرفت .. وبعد أسبوع وجدت فى بريدى أولى رسائلها . . كان شيئاً عجيباً حقاً .. لقد كانت أولى رسائلها مجموعة أخبار وتعليقات تمثل مصغر جريدة تنطق بلسان اسكندرية .. !

وخطر لى أن أبالغ فى امتحانها . . كانت فى ميناء اسكندرية غواصة روسية زائرة محظور على الصحفيين أن يقربوا منها — فقلت لها : آه لو استطعت الكتابة عن هذه الغواصة . .

وفى مساء ذلك اليوم كان مجتمع الصحفيين السكندريين يتحدث عن الصحفية الجديدة « مريم خالد » التى استطاعت أن تتخطى المحظورات وأن تركب الغواصة التى لم يستطع غيرها مجرد الدنو منها . .

واستحقت مريم علاوة بعد علاوة . . وجاءت إلى القاهرة لتشكر . . وبينما هى فى طريق العودة تجتاز ميدان محطة مصر فى يوم عيد الأم سنة ١٩٥٨ .. إذا بحجر يسقط على رأسها فيقضى عليها ، كى تتم هذه الحياة الصحفية الخاطفة بميتة كميتة الشهداء . .

موت :

بهذه المناسبة تذكر أن حرف الميم الذى تبد به أعز كلمات الحياة هو البداية أيضاً فى كلمة « الموت » وإن كان المضمون الدينى للموت إنه

إبتداء للحياة فى عالم آخر والمضمون الفلسفى للموت أنه تغيير مؤشر جهاز الحياة من موجة إلى موجة . .

ومع أن كلمة للموت فى ذاتها من الكلمات الثقيلة على النفس — إلا أنها قد تكون معنى كبيراً بالنسبة للصحفيين والمؤرخين الذين يجدون وراءها من الأخبار أضعاف ما فى الحياة ذاتها . . فأى عظيم يولد — ليس هذا خبراً — لكن أى عظيم يموت — فذلك هو الخبر الكبير ..

إننى لست أنسى من أخبار « للموت » فى حياتى الصحفية عدد قتلى المعتدين فى عدوان سنة ١٩٥٦ على بور سعيد .. يومئذ كانت قيادة الجيش المعادية تذكر عدد ضحاياها .. وفى زيارة لى لإحدى دور السفارات الأجنبية فى مصر عثرت بمحض الصدفة على نشرة مطبوعة تتضمن صورة لعدد كبير من اللحود التى أعدت فى باريس لضحايا الجيش الفرنسى فى بور سعيد .. وكانت هذه النشرة فى وضع مهمل منعنى من الاستحواذ عليها وفى اليوم التالى نشرت جريدة القاهرة التى كنت أرأس تحريرها صورة كبيرة على عرض الصفحة الأولى وقد ظهر فى هذه الصور عدد اللحود الكثيرة جداً التى كتبت عليها أسماء قتلى بور سعيد .. ونشرت الجريدة تحت هذه الصورة عنواناً كبيراً هو : عدد ضحايا المعتدين .

وما أن ظهرت الجريدة فى الأسواق حتى أحدثت هذه الصورة ضجة كبرى لدرجة أن مراجع مسئولة فى مصر سألتنى عن مصدر هذه الصورة التى اعتبرت ضمن مستندات المعركة التى فى صالحنا . . ويؤسفنى

أن سر المهنة قد منعنى من أن أصارح هذه المراجع يومئذ بمصدرى وإن كنت قد كشفت عنه اليوم للذكرى والتاريخ .

حرف النون

نجيب :

ربما كان أكثر الأسماء النونية تداولا هو اسم « نجيب » . . أنا وحدى أعرف فى الوسط الصحفى وحده عشرة زملاء يحملون هذا الاسم . بعضهم من جيل سابق وبعضهم معاصرون وهم المرحومون أحمد نجيب صاحب مجلة العائلين ونجيب ولاية صاحب « الجريدة التجارية » والزميلان — أطال الله بقاءهما — مصطفى نجيب المدير بأنباء الشرق الأوسط ، ونجيب المستكاوى المحرر الرياضى بجريدة الأهرام ثم خمسة آخرون يحمل كل منهم اسم نجيب ، وهم المرحومون : نجيب هاشم «الأهرام» ومحمد نجيب « المقطم » ومحمد نجيب « الوادى » ومحمد نجيب « وكالات الأنباء .. ثم الزميل محمد نجيب « المساء » أطال الله بقاءه .. وليس من شك أن هناك « نجباء » آخرين من زملائنا الصحفيين لكن هؤلاء العشرة هم الذين أعرف لكل منهم قصة سأروى منها قصتين :

كان أحمد نجيب صاحب جريدة الوادى أحد اثنين من الصحفيين لم يخلعا السواد يوماً واحداً منذ وفاة مصطفى كامل فى سنة ١٩٠٨ . . أما الثانى فهو المرحوم عبد الحليم الغمراوى . . وكان مقر جريدة الوادى على ناصية سوق الفوالة بشارع الساحة ـ شارع رشدى الآن ـ

وقد اتخذت بائعة الفجل مقراً لها إلى جانب باب الجريدة . . وذات يوم كان فى زيارة الأستاذ أحمد خيرى سعيد بدار الوادى أحد الضيوف العرب ، وعند انصرافهما معاً لاحظ الضيف مجلس بائعة الفجل على باب دار الجريدة . . فقال له خيرى ضاحكاً كأنك لا تعرف أهمية هذه البائعة إنها التى يقول فيها أمير الشعراء شوقى « يا جارة الوادى طربت وعادنى ما يشبه الأحلام من ذكراك » وكانت نكتة شغلت الأوساط الأدبية حيناً .

وكان نجيب هاشم «الأهرام» مندوب جريدته فى وزارة الأشغال — وزارة الرى الآن — وذات يوم لاحظ الوزير أن أنباء الوزارة تتسرب إلى جريدة الأهرام قبل أن تصبح قرارات نهائية فأصدر تعليماته بألا يستقبل الموظفون رجال الصحافة فى مكاتبهم ، واستدعى فى نفس الوقت مندوب الأهرام « نجيب هاشم » وطيب خاطره بأنه هو — أى الوزير — سوف يتولى بنفسه إعطاءه الأخبار .

وفهم الصحفى بذكائه أن فى هذا التلطف خطراً على نشاطه الصحفى فقال للوزير — وكانا كصديقين : شكراً « لمعاليك » فأنا أستطيع أن أحصل على أخبارى دون أن أضيع وقتك .

وضحك الوزير وهو يقول لصاحبه . . لعلك لا تعلم أن أحداً غيرى فى هذه الوزارة لن يعطيك أى خبر ابتداء من اليوم ؟

قال مندوب الأهرام للوزير : ومن قال « لمعاليك » أننى سأحصل على أخبارى من غيرك ؟

قال الوزير : أستحصل على الأخبار منى دون علمى ! !

قال الصحفى : هكذا تقريباً .

واستشاط الوزير غضباً .. واعتبر المقابلة بينه وبين مندوب الأهرام منتهية .. وفى اليوم التالى وجد على الصفحة الأولى من جريدة الأهرام خبر مشروع من مشروعات الوزير كان يتكتمه لدرجة أنه كان يكتب تفاصيل هذا المشروع بخط يده دون الاعتماد على أحد من الموظفين ..

وتساءل الوزير : هل مندوب الأهرام يشتغل بالسحر ؟ !

لم يكن مندوب الأهرام ساحراً بالطبع . . لكنه حين دخل مكتب الوزير فى هذا اليوم لاحظ أن « معاليه » قد أسرع إلى تجفيف ورقة كان يكتبها فعلا ، فانطبعت أسطر هذه الورقة على المنشفة العريضة البيضاء التى كانت توضع على المكاتب قديماً . . وقد تصادف أن الحائط خلف كرسى الوزير كان محلى بمرآة كبيرة ، فإذا بمحمد نجيب مندوب الأهرام القديم يرى سطور الورقة التى تعمد الوزير إخفاءها وقد انعكست من المنشفة على المرآة . فحفظها بذاكرته . . وما أن بارح مكتب الوزير حتى أعاد تدوينها من الذاكرة . . وكانت هذه الأسطر هى مضمون الخبر الذى نشره مندوب الأهرام وظنه الوزير من السحرة .

ومنذ ذلك اليوم بدأ هذا الوزير يستعين بنجيب « الأهرام » ليحل له مشاكله بسحره . .

سر وزارة سرى

من مفاتن اللغة العربية أن حروفها الهجائية كثيراً ما يتشكل منها حرفان متتابعان أو أكثر فى كلة من الكلمات .. إن هذا يبدو واضحاً من أول حرف فى الأبجدية العربية ، وهو حرف الألف الذى يشكل مع الحرف التالى له مباشرة ، وهو الباء ، كلة « أب » والحروف الثلاثة الأخيرة ، وهى الهاء والواو والياء ، تشكل كلة من أجمل وأعنف كلمات اللغة وهى كلة «هوى» .. إن «الهوى» بمعنى « الحب » قد شغل جميع آداب العالم ، وللهوى فى الأدب العربى مؤلفات كثيرة جداً ، وأغلب هذه المؤلفات لها اتجاهات درامية عنيفة مثل قصة « قيس وليلى » القديمة .. ولا تزال هذه النزعة الدرامية فى « أدب الهوى » تسرى فى الأدب العربى حتى الآن . . إن أشهر مؤلفات « الهوى » فى لغة القرن العشرين العربية هو كتاب « العبرات » للمنفلوطى ، وكتاب « مدامع العشاق » لزكى مبارك ، وكلاهما قد ظهر فى العشرينات .. وقد بلغ من عناية المرحوم الدكتور زكى مبارك بأدب الهوى أنه قد اتخذ منه شعاراً للتحية ، فكانت تحيته للأصدقاء فى الصباح هى « صباح الهوى » وفى المساء هى « مساء الهوى » .

على أن لهذه الأحرف الثلاثة بالذات التى تتألف منها كلة (هوى) علاقة وثيقة بالصحافة .. ففى مقدمة المجلات التى كانت متخصصة فى تاريخ الأدب وأدب التاريخ مجلة (الهلال) التى أصدرها جورجى زيدان

فى القاهرة سنة ١٨٩٢ .. وفى مقدمة المشتغلات بالصحافة من المصريات السيدة .. هند نوفل التى اصدرت مجلة (الفتاة) سنة ١٨٩٢ ايضاً بمدينة الاسكندرية .

اما عن حرف الواو فإن أول جريدة سياسية شعبية لها طابع الصحافة اليومية فى مصر هى جريدة (وادى النيل) التى رخص لها بالصدور فى سنة ١٨٦٦ ثم انتظم صدورها فى العام التالى لصاحبها عبد الله أبو السعود .

واما عن حرف الياء فى الجيل الأول من تاريخ الصحافة المصرية نجد اسم (يعقوب بن صنوع) الذى كان يصدر جريدة (ابو نظاره) وفى الجيل الثانى نجد اسم (يعقوب صروف) الذى اصدر مجلة المقتطف مع زميله فارس نمر بالقاهرة سنة ١٨٨٥ وكانت تصدر من قبل ببيروت سنة ١٨٧٦ . . وقد اندمج اسما هذين الزميلين فى تاريخ الصحافة إلى درجة كانت تدعو إلى الخطأ فى نسبة ما لأحدهما إلى الآخر . . انا نفسى قد وقعت فى هذا الخطأ فنسبت مرة إلى يعقوب صروف ما كنت اريد ان اكتبه عن فارس نمر . . ولم يكتشف احد هذا الخطأ إلا من كلمة (باشا) ففارس نمر هو الذى كان (باشا) . . أما يعقوب صروف فكان دكتوراً فى العلوم والآداب . بل كان من ألمع علماء عصره .

حرف الهاء

هاشم :

إذا تخطينا دائرة الصحافة إلى دائرة السياسة — وهما دائرتان متداخلتان نجد أن السياسى الشاب الذى لمع بين أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات اسمه هاشم .. والاسم بالكامل هو الدكتور محمد هاشم الذى شغل فى هذه الفترة ، وهى من أدق فترات تاريخنا السياسى المعاصر ، منصب وزير الدولة ثم وزير الداخلية ، وقد كان منصب وزير الداخلية فى الماضى هو أخطر المناصب الوزارية ، ولهذا كان يندر أن يتولاه وزير غير رئيس الوزراء . . لكن رئيس الوزراء فى الوزارة التى تولى فيها هاشم هذا المنصب هو حموه المهندس حسين سرى رحمه الله.

كان هاشم من أغنياء محافظة القليوبية ، لكنه كان من قلة الشباب الأغنياء الذين عنوا جداً بالدراسة ، فحصل على الشهادات التى أهلته لأن يكون مدرساً بكلية الحقوق ، ومع هذا فإن تقاليد الأسر الموسرة فى الماضى قد غيرت مجرى حياته العلمية ، إذ كان لا بد أن يرشح نفسه لعضوية البرلمان لكى يكون نائب دائرته .. حدث هذا فى يناير سنة ١٩٤٥ ، وكان فى الثلاثين من عمره ، فتغير منذ ذلك التاريخ نشاطه من الحياة الجامعية إلى الحياة البرلمانية التى لمع فيها اللمعة التى أهلته ، إلى جانب ثروته ، لأن يصاهر أحد رؤساء الوزارات المصاهرة التى دفعت به إلى منصب الوزارة ..

ويوم تولى هاشم منصب الوزارة انصب عليه كل هجوم الصحف

التى كانت تعارض حماه لدرجة أن صحيفة أخبار اليوم كتبت ذات يوم مقالا عريضاً بعنوان (اخرج أيها الوزير الصغير) .

لكن الوزير الصغير برهن على قدر كبير من الكياسة .

حرف الواو

وفد :

أن أخطر (واو) فى التاريخ السياسى للجيل الماضى هو واو (الوفد) .. ففى شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ تألفت هيئة من السادة ، سعد زغلول ، على شعراوى ، عبد العزيز فهمى ، محمد على علوبة ، عبد اللطيف المكباتى ، محمد محمود ، أحمد لطفى السيد — للدفاع عن حقوق الوطن وطلب إلغاء الحماية البريطانية على مصر وإعلان الاستقلال .. ولم تسم هذه الهيئة نفسها حزباً حتى تحصل على إجماع الأمة .. وهى بالفعل الهيئة التى وقع ملايين المواطنين على توكيلها فى هذا الدفاع .. لكن خمسة من هؤلاء السبعة الموكلين من الأمة قد شكلوا بعد أربع سنوات حزب الأحرار الدستوريين ، وكان على شعراوى « باشا » قد توفى فى هذه الفترة ، فلم يعد فى (الوفد) من السبعة الذين وكلتهم الأمة ، إلا سعد زغلول . وكان سعد كان قد استحوذ على عواطف الجماهير كما كان الوفد قد ضم إليه أعداداً أخرى من الساسة . فظل بزعامة سعد . هو حزب الغالبية إلى آخر حياة سعد فى سنة ١٩٢٧ كما ظلت هذه الغالبية ممتدة ، بعد سعد زغلول ، إلى جيل آخر ..

وقد تولى حزب الغالبية — أى الوفد — الحكم خلال الفترة الواقعة بين أوائل سنة ١٩٢٤ وأوائل سنة ١٩٥٢ ، أى خلال ثمان وعشرين سنة ستة مرات .

وفى كل وزارة من هذه الوزارات قامت مفاوضة مع الإنجليز لتحقيق الجلاء — وقد فشلت كل هذه المفاوضات عدا مفاوضات سنة ١٩٣٦ ، التى اشتركت فيها الأحزاب جميعاً وأسفرت عن معاهدة سنة ١٩٣٦ والتى ألغتها حكومة الوفد نفسها على أثر نشاط الفدائيين فى منطقة القناة حيث كانت توجد القاعدة العسكرية البريطانية .. وذلك فى خريف سنة ١٩٥١ بالرغم من أن المدة المحددة لهذه المعاهدة كانت عشرين عاماً .



الباب الثانى

ألف باء الصحافة

مهنة البحث عن المتاعب

ليس معقولا أن أكتب هـذه الحلقات كلها من « الأرشيف الصحفى » دون أن يرى القراء فى هـذا الأرشيف صورة الصحافة ذاتها .. أننى سأقدم فى هذه الحلقة وما يليها جانباً من أرشيف للمهنة بكل ما يمكن عرضه من أسرارها . ولحسن الحظ أن ما من مهنة لها من الصلة بالناس ، كرأى عام ، كما لمهنة الصحافة من الصلات ، أنها للمهنة التي تطرق الباب على كل مواطن .. فمن حق كل مواطن أن يعرف بعض ما يعرفه الصحفيون عن مهنتهم بالقدر اللازم للحياة العامة وللمعلومات العامة التى تعتبر فى هذه المرحلة من تاريخ حياتنا زاداً نستقبل به الأحداث لنتفهمها ولنهضمها ولنعرف كيف تقدم الصحافة هذا الزاد إلينا . وفى هذه الحلقة وما يليها كل ما أستطيع عرضه على القراء أو ربطه بالقراء ابتداء من الألف إلى الياء .

حرف الألف

إفتتاحية :

كل جريدة لها سياسة ولا تظهر هذه السياسة كما تظهر فى مقالها الافتتاحى أى فى مقالها الرئيسى .. وقد كان المقال الرئيسى فى صحف الجيل الأسبق يشغل الصفحة الأولى بكاملها .. ثم تطور حجم هـذا

المقال مع تطور الطباعة ، فأصبح يشغل النهرين الأولين - إلى اليمين - من الصفحة الأولى . ومع تعدد مدارس الإخراج الصحفي انتقل المقال الافتتاحي من اليمين إلى اليسار في الصفحات الأولى .. فلما ظهرت جريدة السياسة اليومية في آخر أكتوبر سنة ١٩٢٢ اتخذت للمقال الافتتاحي مكاناً آخر ، هو عين صفحة اليسار من صفحتي الأخبار الداخلية في قلب الجريدة ، ثم صار هذا المكان تقليداً اتبعته جريدتا الأهرام والبلاغ ، وظلت الصحف الأخرى محتفظة بمكان للمقال الافتتاحي على الصفحة الأولى ..

ولعل أخطر مقال افتتاحي ظهر في الجيل الماضي هو مقال أمين الرافعي صاحب جريدة الأخبار « الأولى » في خريف سنة ١٩٢٥ منادياً فيه بأن البرلمان المنحل آن له أن ينعقد — بنص الدستور — في موعد انعقاده بأخريات شهر نوفمبر طالما قصرت الحكومة في دعوة الناخبين لتشكيل برلمان آخر في المدة التي حددها الدستور ..

لقد رج هذا المقال جميع الدوائر السياسية في مصر وبريطانيا .. وأخذ به سعد زغلول ومن معه ، فعقدوا اجتماعاً لبرلمانهم .. البرلمان المنحل .. تنفيذاً لأحكام الدستور التي نبههم أمين الرافعي إليها بكل تفاسيرها الفقهية .. واضطرت الحكومة إلى دعوة الناخبين لتشكيل برلمان جديد ..

الإخراج :

أهم ما امتازت بة صحافة مصر ابتداء من سنة ١٩٣٦ عن صحف ما قبل هذا التاريخ هو ظهور فن الإخراج الصحفي على صفحاتها:

كان الإخراج الصحفى قبل سنة ١٩٣٦ متروكاً لرؤساء المطابع يتفننون فيه بذوقهم فى حدود تعليمات للمشرفين على التحرير من تقديم وتأخير .. لكن الصحافة المصرية ، ابتداء من سنة ١٩٣٦ سنة ظهور جريدة « المصرى » ، بدأت تضع فن الإخراج موضع المنافسة فيما بينها ، وفى سبيل هذه المنافسة بدأ ظهور المحررين المتخصصين فى فن الإخراج .. وكان الزميل جلال الحمامصى من أبرز أولئك المحررين ..

الاعلانات :

لم تجد الصحافة مورداً يقيم أودها ، حتى الآن ، كمورد الإعلانات .. يكفى أن تعلم أن جريدة نيويورك تيمس . كبرى الصحف الأمريكية ، كانت إلى منتصف سنة ١٩١٧ ضد الصهيونية ، وضد مشروع وعد بالفور الذى أعلن فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .. لكن الإعلانات الصهيونية استطاعت أن تحول جريدة نيويورك تيمس من النقيض إلى النقيض ، فلا توجد الآن صحيفة فى الدنيا تسند الصهيونية كما تسندها جريدة نيويورك تيمس وإن أخذت طابع الاستقلال . .

وفى مصر .. كان أكبر متخصص فى الإعلانات الصحفية رجلا يهودياً اسمه البيرانكونا .. كان البيرانكونا حجة فى هذا الفن .. وقد شغل منصب مدير الإعلانات بدار الهلال عشرات السنين .. إلى أن فر من مصر بعد صدور قانون تنظيم الصحافة فى مايو سنة ١٩٦٠ ..

يكفى لكى تعرف بروز هذا الرجل فى فن الإعلان الصحفى أن أن منشىء المذهب الإدارى الجديد فى الصحافة المصرية ، وهو الدكتور سيد أبو النجا ، حينما انتقل من كراسى التدريس بجامعة اسكندرية

إلى كرسى الإدارة فى الصحافة اليومية رأى لزاماً عليه أن يدرس كل تحركات البيرانكونا ..

وبينما كان سيد أبو النجا يجلس على كرسى الإدارة بإحدى المؤسسات الصحفية منذ عشرين عاماً جاءه شاب صحفى يقول له : لقد تخرجت فى كلية الآداب ، واشتغلت محرراً بمرتب قدره خمسة عشر جنيهاً . بينما أرى أن موظفى الإعلانات الذين ليست لهم ثقافه مثل ثقافتى يربحون ربما أضعاف هذا المبلغ — فكيف يحدث هذا ؟؟ ودخل فى هذا الأثناء شاب مخلط الجنسية يحمل فى يده حقيبة ليقدم — للسيد المدير حصيلة يومه . . فإذا بها ألوف ، وإذ بنصيبه من هذه الألوف عشرات الجنيهات .. فى يوم .. فالتفت أبو النجا للشاب المحرر المثقف قائلا أما آن للشبان المصريين أن يدركوا أن هناك ثقافه أخرى لها صلة بدنيا الأعمال ؟ ؟ ومنذ هذا اليوم تحول الشاب « المحرر » إلى منتج إعلانات .. وقبل مضى عام كان دخله فى الشهر أكثر من دخله كمحرر ، فى السنة كلها .. هذا الشاب هو الأستاذ عبد الله عبد البارى مدير إدارة الإعلان بجريدة الأهرام ..

سألنى بعض الأصدقاء عن «الإعلانات» هل تعتبر الإعلانات مادة صحفية تستحق أن تقاسم المادة التحريرية حيزها على صفحات الجريدة ؟ . والجواب نعم .. ليس فقط لأن الإعلانات هى المورد الأساسى للصحف . بل أيضاً لأن الإعلانات قد أصبحت فى عصر النهضة الصحفية مادة إعلامية يفيد منها القراء . . لقد ارتفعت الإعلانات فى مستواها الفنى أحياناً إلى مستوى التحقيقات الصحفية . بل إن بعض

هذه التحقيقات التي يتمتع بها القارىء تنشر أحياناًمن باب الإعلانات . .
إن بين يدى الآن العدد الأخير من جريدة « شيكاغو تريبيون » وهو عدد ممتاز يتألف من ٣٦٠ صفحة . . وقد أحصيت الإعلانات فى هذا العدد فوجدتها تستغرق ٢٧٩ صفحة من صفحاته الثلاثمائة والستين . لكن بعد أن كنت قد قرأت الكثير من هذه الإعلانات وكأنها مادة تحريرية . . وقد رأيت أن أوضح هذه الحقيقه الفنية الحديثة فى مهنة البحث عن المتاعب . قبل أن انتقل إلى حرف الباء .

حرف الباء

بنات :

ليس فى حرف الباء بأرشيف مهنة الصحافة ما هو أهم من كلة (بنات) . . . فالبنات كصحفيات محترفات عنصر جديد فى الصحافة العربية وقد ظهر هذا العنصر . على استحياء بقيادة الزميلة الأستاذة أمينة السعيد فى منتصف الثلاثينات ، وكان من أسباب إنتشار هذا العنصر : اعتماد أخبار اليوم ، منذ ظهورها فى سنة ١٩٤٤ نصف الاعتماد على البنات وإنشاء قسم الصحافة بكلية آداب جامعة القاهرة فى سنة ١٩٥٤ وتخريجه مئات البنات المثقفات ثقافة صحفية ابتداء من سنه ١٩٥٨ . . هذه حقيقه بالنسبة للجيل الصحفى المعاصر . . أما الحقيقة بالنسبة لتاريخ الصحافة فهى أن البنت المصرية قد أقدمت على ميدان الصحافة منذ سنة ١٨٩٢ — حيث أنشأت السيدة الشابة هند نوفل مجلة (الفتاة) بمدينة الاسكندريه . ثم أخرجت المحامية الشابة الآنسهمنيرة ثابت مجلة (الأمل) فى سنة ١٩٢٦ .. على أن هناك فارقاً واضحاً بين بنات الصحافة فى

الجيلين .. كانت بنات الجيل القديم لا يجدن صحفا تقبلهن محررات فينشئن الصحف لحسابهن .. أما بنات جيلنا فإن جميع أبواب الصحف قد فتحت أمامهن كمحررات .

حرف التاء

تحقيق :

من المواد المعروفة المقروءة فى الصحف مادة التحقيقات الصحفية. وهناك ظن خاطىء بأن (التحقيق الصحفى) من مبتكرات جيلنا .. الواقع أن أول وأخطر تحقيق صحفى ظهر فى الصحافة المصرية ، حتى الآن ، هو التحقيق الصحفى الذى قامت به جريدة اللواء لصاحبها مصطفى كامل ، وفى شهر يونيو سنة ١٩٠٦ .. وهو التحقيق الصحفى الخاص بحادث دنشواى وتعليقات مصطفى كامل عليه التى انتهت بسحب أخطر (معتمد) بريطانى وهو اللورد كرومر .

تصحيح :

(فن التصحيح) هو صناعة جنود المجهولين فى الصحافة .. فنحن الذين نكتب فنسهو عن كثير . فإذا بالمصحح هو الذى ينقذ الموقف أمام القارىء . . . ولقد تسببت آلة اللينوتيب فى كثرة الأخطاء المطبعية التى تنسب للمصححين سواء كانوا مخطئين أو مظلومين . . أما فى الماضى فقد ظهر عدد من المصححين الأفذاذ .. أذكر منهم — على

سبيل المثال — المرحوم الأستاذ عبد الرحيم محمود .. إن غالبية كتب الدكتور هيكل مذيلة بكلمات الثناء على هذا المصحح الجليل .

على أن كلمة (تصحيح) لها فى الصحافة وجه آخر ، هو تصحيح الوقائع من جانب العالمين ببواطن الأمور لما نضطر إلى نشره مقتضباً .. وأنا أفضل أن نسمى هذا التصحيح بكلمة (تصويب) ..

توزيع :

لم تظهر إدارات التوزيع وشركاته فى دور الصحف إلا فى الثلث الثانى من القرن العشرين .. كان (التوزيع) قبل ذلك صناعة « للمتعهدين » . . . وكان أخطرهم هو المرحوم (الفهلوى) — لقد كان (المعلم الفهلوى) رجلا لا يقرأ ولا يكتب .. لكن مقدرات مهنة الكتابة والقراءة كانت بين يديه إن شاء حقق لها الرواج ، وإن شاء حقق لها الكساد .. وكثيراً ما كانت بعض حكومات الطغيان تلجأ إلى أمثاله للقضاء على رواج أية جريدة .. لكن كثيراً أيضاً ما كانت وطنية أولئك الرجال تمنعهم من إجابة هذا الطلب اختياراً .

حرف الثاء

ثورة :

كانت صناعة الصحافة فى الماضى هى صناعة الغنى بالنسبة لأصحاب الصحف وصناعة الفقر بالنسبة لمحرريها .. لقد كان مرتب المحرر فى

جريدة المقطم فى العشرينيات ثلاثة جنيهات ، بينما كان رصيد صاحب الجريدة فى البنوك وغيرها ثلاثة ملايين من الجنيهات .

لكن ما من ثورة من ثوراتنا التاريخية منذ مائة عام إلا وكانت الصحافة أحد أضلاعها .. عرابى احتضن جريدة (الطائف) لعبد الله النديم .. مصطفى كامل أنشأ صحيفة اللواء قبل أن ينشىء حزبه .. سعد زغلول كان فى مقدمة ما اهتم به عند قيام ثورة سنة ١٩١٩ أن يعقد اتفاقاً مع جريدة (الأهالى) لعبد القادر حمزة .. وثورة سنة ١٩٥٢ أنشأت جريدة الجمهورية .. الخ ..

حرف الجيم

جريدة :

لم تنشأ كلمة (جريدة) من النشأة الأولى للصحافة العربية .. كان الصحفيون العرب الأوائل يستخدمون الكلمة الأفرنجية .. كلمة (جورنال) .. بل إن جريدة الوقائع الرسمية التى كانت تصدرها الدولة فى مقدمة القرن التاسع عشر بمصر كان اسمها الأول (جورنال الخديوى) .. لكن كلمة (جريدة) أخذت مكانتها اللغوية كما ينبغى لها أن تكون منذ أنشأ لطفى السيد جريدة (الجريدة) .

جمع :

فى الصحافة تأخذ كلمة (جمع) معنى غير معناها فى مختلف الأوساط الأخرى .. فكلمة (جمع) فى الصحافة تعنى جمع حروف للطبعة فى

كلمات وجمع الكلمات فى أسطر ، ثم جمع الأسطر فى صفحات .

كان جمع الحروف فى مطابع الصحف قبل جيل يتم بيد العامل .. أما الآن فيتم بواسطة آلات اللينو تيب .

لقد أحدثت آلات اللينو تيب انقلابا اقتصاديا واجتماعيا فى دنيا الصحافة .. كانت مجموعة صناديق حروف للطبعة قبل عصر اللينو تيب تقدر بحوالى ثلاثين جنيها بينما يقدر ثمن آلة اللينوتيب الواحدة بثلاثة آلاف جنيه ، ولا أقل من عشر آلات لينوتيب فى أية مطبعة من مطابع الصحف . ولكل مؤسسة صحفية الآن أكثر من مطبعة .. وكان عامل الجمع قبل عصر اللينوتيب يتقاضى عشرة قروش ، كحد أدنى . فى عشر ساعات . بينما عامل اللينوتيب يتقاضى الآن سبعين قرشا كحد أدنى فى سبع ساعات .. كان عامل الجمع القديم يرتدى جلبابا وينتعل قبقابا . بينما عامل اللينوتيب الحديث يرتدى القميص والبنطلون وينتعل حذاء حديثا ..

ثمن الجريدة :

ولا يفوتنى أن أذكر شيئا ونحن فى حرف الثاء من أرشيف مهنة الصحافة .. هذا الشىء هو .. ثمن النسخة الواحدة من الجريدة . كان هذا الثمن — إلى ما قبيل مقدمات الحرب العالمية الثانية خمسة مليمات .. أى أن ثمن النسخة من الجريدة اليومية المصرية ظل حوالى سبعين سنة نصف قرش ولا يزيد ولا ينقص .. ثم زاد فى الثلاثين سنة الأخيرة من نصف قرش إلى قرش ونصف قرش ثم إلى قرشين ،

وكان القارىء فى هذه الزيادة هو الرابح ، لأن زيادة عدد الصفحات ابتداء من سنة ١٩٤٥ ومضاعفة مواد الصحف نتيجة لحروف المطبعة الصغيرة يوازى عشرة أمثال ما كان يحصل عليه القارىء حينما كانت النسخة الواحدة من الجريدة اليومية بخمسة ماليمات .

وبصرف النظر عن أن أسعار بيع الصحف فى مصر تعتبر أقل أسعار العالم كله فإن ثمن النسخ المباعة للقراء أقل .. وأحيانا أقل بكثير . من ثمن ورق هذه النسخ .. أنه بالتقريب يوازى ثمن الحبر فقط .. وبهذه المناسبة ندخل الآن فى حرف الحاء ..

حرف الحاء

حبر :

ليس هناك ماهو أهم من « حا » الحبر فى أرشيف مهنة الصحافة ، فالحبر بالنسبة للصحافة كالماء بالنسبة للزراعة . وكما أن الزراعة بغير الماء مستحيلة ، وللأسف نجد أن صناعة الحبر إلى ما قبل النهضة الصناعية فى بلادنا عبر الخمسينيات كانت لا وجود لها عندنا .

إن المهتمين بفنون الإحصاء كثيرا ما تحدثوا عن صلة الصهيونية العالمية ، أو اليهودية العالمية . بصحافة العالم الغربى وتمكن هذه الصلات بالكثرة من مؤسسات هذه الصحافة .. كل إنسان عادى إذا قرأ هذه الإحصاءات يحسب أن الصلة هنا صلة النشر .. مع أن هناك ما قد يكون أحيانا أخطر من النشر .. هناك الحبر ..

ذات يوم من أيام سنى الحرب العالمية الثانية ، وكنت حينئذ رئيساً لتحرير جريدة السياسة الأسبوعية ، قيل لى أن مخزون الجريدة من الحبر قد انتهى أو أوشك على النهاية ، وأن أحداً لا يريد أن يبيع لجريدتنا حبرا . . وعجبت لماذا لا يبيعوا لنا حبرا ؟! ثم تبين لى أن السبب يرجع إلى مقال عنيف كتبته ضد الصهيونية .

كانت الصهيونية تحاربنا بالحبر .. والحمد لله أنها لا تستطيع الآن أن تحاربنا بهذا السلاح أو بغيره إلا وتصدينا لها :

حربى :

كانت الحرب دائما عنصراً من عناصر المادة الصحفية .. وكانت صحافة الجيل الأسبق تعتمد فى أنباء الحروب على وكالات الأنباء الأجنبية .. أما صحافة جيلنا فقد أدخلت على تخصصات المحررين تخصصا جديدا هو تخصص المراسل الحربى . . لقد ظهر المراسلون الحربيون المصريون لأول مرة فى حرب فلسطين الأولى سنة ١٩٤٨

لقد كان مراسلونا الحربيون إذ ذاك يتدربون تدريبا عسكرياً لبضعة أسابيع ويلبسون ثياب ضباط الاحتياط .

وعلى أية حال كانت الصحافة دائما فى مقدمة المهن المشاركة فى المهام الحربية .. وكانت صحافتنا بالذات فى عداد أسلحة النصر على العدوان الثلاثة سنة ١٩٥٦ وهى التى تكشف الآن خطط العدو وتحركاته وأهدافه وتنضم إلى أسباب الاعداد لإذاية هذه الخطط .

حبس :

لقد كان الحبس صفة من الصفات المقترنة بصفات العمل الصحفى فى النصف الأول من القرن العشرين .. إننا لا نكاد نجد فى تاريخ الصحافة خلال هذه الفترة صحفيا متفرغا ذا قلم وعقيدة إلا وعرف الحبس ولو مرة واحدة ، لقد تم فى الماضى حبس الصحفيين الكبار عباس محمود العقاد ، ومحمد التابعى ، ومحمد توفيق دياب ، ومحمود عزمى وغيرهم ، وحبس الصحفيين الشبان : إحسان عبد القدوس ، وأحمد حسين ، وحافظ محمود ، وفتحى رضوان وغيرهم .. بل لقد حبست الصحفية السيدة روز اليوسف بضعة أيام .. وهؤلاء الذين نذكرهم ليسوا إلا نماذج لعشرات من أمثالهم ممن عرفتهم السجون وعرفوها فى سبيل مهنة البحث عن المتاعب .

حرف الخاء

خبر :

أول خاء فى أرشيف مهنة الصحافة هو خاء كلمة « خبر » :

فالخبر فى الصحافة هو الزاد اليومى الذى تقدمه للقراء . ومهما كانت المادة التى تحتوى عليها الصحيفة فإن القارىء إذا لم يجد بها خبرا يهمه قال إن صحيفته اليوم ليس فيها شىء .

إن الخبر الذى يقرؤه القارىء فى أقل أو أكثر من دقيقة قد يكلف الجريدة مئات الجنيهات أجور طائرات وبرقيات ومواصلات

أخرى لعدد من المحررين .. بل قد يكلف بعض المحررين حياتهم .

لقد نشرت فى جريدة القاهرة مساء يوم ١٣ يوليه سنة ١٩٥٨ خبرا ، ولكن هذا الخبر كان قد احتاج منى بضعة أشهر للحصول على المعلومات .. وكان هذا الخبر هو « العراق على أبواب الثورة » .. وبعد منتصف الليل قامت ثورة العراق فعلا .. فكان أبرز خبر فى هذا الموسم .

خبطة :

ابتكر الصحفيون المصريون المعاصرون تعبيراً صحفياً جديداً هو « خبطة صحفية » . ومع أن هذا التعبير غير متكامل من ناحية الفصاحة اللغوية ، إلا أنه قد أصبح المفهوم الفنى فى الصحافة للمادة الصحفية التى تحدث ضجة فى الرأى العام .. ولعل أول « خبطة » من هذا الطراز فى جيلنا الصحفى هى خبطة « أخبار اليوم » عن تعديل وزارة صدقى فى سنة ١٩٤٦ لقد نشرت الجريدة أنباء هذا التعديل قبل أن يعرض على مجلس الوزراء فقامت حول هـذا التعديل ضجة سياسية انتهت بالعدول عن التعديل ، ولعل هـذا العدول كان مقصودا من وراء الكواليس السياسية إذ ذاك ..

خط :

لم يكن لفن الخط أية صلة رسمية بالصحافة فى الأجيال السابقة إلا فى يوم واحد هو يوم إنشاء الجريدة وكتابة « رأس الجريدة »

بواسطة الخطاط .. لكن فن الخط أصبح الآن من فنون الصحافة لدرجة أن قانون نقابة الصحفيين قد اعتبر الخطاط محررا وعضواً فى جدول الصحفيين لما جد فى الصحافة من التحام بين فن الإخراج الصحفى و بين فن الخط الذى تكتب به الآن :

فى صدر هذه المرحلة كانت الصحف تستعين بالخطاطين « العموميين » أما بعد ظهور مدرسة تحسين الخطوط وتخريج الاخصائيين المثقفين ثقافة عالية فقد ظهرت طبقة جديدة من الخطاطين الشبان المتخصصين فى العمل الصحفى . اذكر منهم المرحوم محمود السخيلى خطاط « الأخبار » الراحل ، ومحمود إبراهيم ، وقدرى عبد القادر خطاط الأهرام ، أولئك وزملاؤهم يشكلون الآن مدرسة خط صحفية تشارك الزملاء الصحفيين فى تجديد معالم الشكل الصحفى .

حرف الدال

دمغة :

وربما كان حرف الدال من الحروف الفقيرة فى دنيا الصحافة .. لكن هذا الحرف قد تغير وضعه منذ عشرين عاماً حينما استصدر قانون « لقد كان هذا التعبير شيئا جديدا .. غريبا على المفاهيم الصحفية إلى سنة ١٩٥٠ .. فحين بدأ تطبيق هذا القانون كان موظفو إدارات الصحف يحايلون على التخلص منه .. أما الآن فإن أولئك الموظفين يطالبون بدمغة الصحافة قبل المطالبة بالمبالغ المستحقة ذاتها .

دواية :

كانت مكاتب الصحفيين القدامى لابد من تزويدها بالمحابر التى كنا نسميها باسم « الدويان » . . كانت « الدواية » هى « العهدة » الوحيدة التى يتسلمها المحرر من إدارة الجريدة ثم يسلمها لهذه الإدارة إذا ترك عمله . . وكان المحررون يفرون من استخدام الحبر فى الكتابة .. كان « القلم الرصاص » أفضل فى نظرهم . . لكن عددا من كبار المحررين كانوا يرفضون استخدام الأقلام الرصاص لأنها لا تتفق مع مكاناتهم وقدرتهم على الكتابة دون تشطيب « وكان سلامة موسى أبرز محرر متمسك بالكتابة وبواسطة « الريشة » التى يغمسها فى الدواة .. كان سلامة موسى والمازنى أقدر كاتبين على الكتابة بل والترجمة بغير شطب .



حكايات من سر المهنة

ثبت لى أن حرف الراء من أغنى الحروف فى أرشيف مهنة الصحافة .. ربما وردت منه فى الحلقة السابقة أشياء ، و بقيت أشياء لقد بقيت على الأقل الراءات التى تدخل فى قاموس العمل الإدارى فى الصحف ، وأهمها راء كلمة « رواج » .. فرواج الصحيفة هو الشغل الشاغل لمديريها .. ومن أهمها كلمة « رزمة » فقد كانت الصحف الصغيرة فى الماضى لا تعرف وزن الورق بالطن ، كان المعروف عندها هو « الرزمة » .. وكانت رزمة الورق هى أحد الأركان الأربعة التى ينشىء عليها صحفى الأقاليم جريدة أسبوعية أو شهرية أو جريدة مناسبات .. هذا موضوع آخر يهم دارس الصحافة .. فلنعد بحرف الراء إلى ما يهم القراء :

حرف الراء

رسم :

الرسم فى الصحافة هو رسم الكاريكاتير .. وكانت الرسوم الكاريكاتيرية فى الصحف قبل خمس وأربعين سنة شيئا ساذجا لا يقوم به فنانون مختصون على النحو الذى كان يظهر فى مجلة (خيال الظل) التى كان يصدرها فى العشرينيات أحمد حافظ عوض صاحب جريدة

كوكب الشرق (لقد كان حافظ عوض يرى أن هذه الرسوم لا تليق بجريدته اليومية فأنشأ لها مجلة أسبوعية !) .

كانت رسوم الكاريكاتير على هذا النحو من البدائية ثم ظهرت إذ ذاك مجلة الكشكول سنة ١٩٢١ واستقدمت رسام الكاريكاتير الأسبانى (سانتس) الذى لفت الأنظار برسومه فى هذه المجلة إلى خطر الكاريكاتير فى العمل الصحفى . . لقد كانت مجلة الكشكول تعيش على رسوم سانتس ، وبعد سانتس جاء صاروخان الأرمنى الذى لا تزال رسومه تظهر فى صحافتنا حتى الآن . وبين مدرستى سانتس وصاروخان ظهر نبت جديد مصرى فى فن الكاريكاتير ، وهو محمد عبد المنعم رخا . . وغدت الرسوم الكاريكاتيرية سلاحا سياسياً خطيراً تملكه الصحافة المصرية .

على أننى أذكر للحق أن الرسم الكاريكاتيرى لم يعد سلاحا إلا بالمشاركة الفكرية من كبار المحررين الذين كانوا يضعون الفكرة للرسامين قبل أن تصبح للرسامين مفاهيم سياسية كما هو حاصل الآن . . ولعل أبرز الصحفيين الذين شاركوا بالفكر فى التسلح الصحفى بالكاريكاتير هو الأستاذ محمد التابعى . . لقد كانت كتاباته فى الثلاثينيات تشكل أفكاراً كاريكاتيرية . . ومنها وصفه لابتسامة رئيس الوزراء إسماعيل صدقى .. لقد سمى التابعى هذه الابتسامة باسم (الكليشيه) الذى يضعه صدقى على وجهه ، فإذا بهذه الفكرة تتحول إلى رسم كاريكاتيرى يتألف من قفل فيه فرجة كالابتسامة وفوق هذا القفل طربوش إسماعيل صدقى إن هذا الرسم ما كان يظهر فى أية صحيفة

حتى يعلم القراء أن الكلام هنا عن السياسى الخطير اسماعيل صدقى ولو لم يذكر اسمه تحت هذا الرسم ..

رياضة :

إن اهتمام الصحافة بفنون الرياضة اليومية ليس شيئاً حديثاً كما قد يظن بعض ناشئة الجيل .. إن هذا الاهتمام يرجع إلى نشأة الألعاب الرياضية الحديثة بين شبابنا وهى نشأة يرجع تاريخها إلى فترة الحرب العالمية الأولى بين سنتى ١٩١٤ – ١٩١٨ .

وللحقيقة أذكر أن أنباء الرياضة فى هذه الفترة كانت لا تتعدى خبراً أو خبرين صغيرين .. هكذا كان حجم الرياضة نفسها إذ ذاك .. أما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى فى أواخر سنة ١٩١٨ فقد بدأ يظهر بالتدريج نوع من التخصص الصحفى فى النقد الرياضى وكان أول من اقتحم هذا الميدان من قدامى الزملاء هو المرحوم ابراهيم علام الذى كان يوقع مقالاته بتوقيع (جهينة) .. وقد احتفلت نقابة الصحفيين فى ٦ مارس سنة ١٩٦٧ بمرور خمسين سنة على اشتغال علام بالتحرير الرياضى ..

ويجىء فى صف علام من المحررين الرياضيين محمد شميس الناقد الرياضى . بجريدة الجازيت .. واشتغال شميس بالتحرير الرياضى فى جريدة تصدر باللغة الإنجليزية يعطى فكرة عنه ، فهو فى مقدمة الصحفيين الرياضيين فى الاهتمام بالشئون الدولية للرياضة . وهو المصرى الذى حصل على عضوية المحافل الرياضية الدولية ، وهو لم يحقق هذا

كله إلا يبذل الكثير . ومن هذا البذل أنه ترك وظيفة « مدير فى » إحدى إدارات وزارة الشئون الاجتماعية كى يتفرغ للتحرير الرياضى .

حرف الزاى

زنزانة :

يؤسفنى أن حرف الزاى فى أرشيف مهنة البحث عن المتاعب ليس فيه أشهر من كلمة «زنزانة» والزنزانة هى غرفة الحبس الانفرادى الذى عاناه غالبية الصحفيين فى النصف الأول من القرن العشرين .. وكأحد نزلاء هذه الزنازين سابقاً أرجو أن تعرف منى أنها كانت غرفة لا تزيد مساحتها عن مترين طولا ومثلهما عرضاً .. وهى ذات باب يغلق على من فيها من الخامسة مساء إلى السابعة صباحاً ولا توجد قوة فى الأرض تستطيع فتح هذا الباب فى غير المواعيد المقررة .. وهى ذات شباك واحد يقارب سقف الغرفة شباك عليه قضبان حديدية وأسلاك شائكة ثم هو شباك لا يغلق لا ليلا ولا نهاراً أياً كانت الأحوال الجوية ، وبين الباب والشباك أرضية من الأسفلت ليس عليها إلا فراش من الخيش وكرسى من الحديد وجردلان أحدهما لماء الشرب والآخر للفضلات ..

حرف السين

سر المهنة :

أول سين فى هذا الأرشيف المهنى هو سين (سر المهنة) سر المهنة يعنى أن هناز أشياء لا يجوز الإفصاح عنها أو إفشاؤها وكم من صحفى لو أفشى فى الماضى سره لخلص من العقاب ، لكن قداسة سر المهنة كانت حائلا دائماً دون هذا الإفشاء .. ومن أسرار المهنة التى لم يعد إفشاؤها الآن عيباً ، لأنها أصبحت تاريخاً قد يكون العيب فى إغفاله أسرار بعض المقالات التى كانت تنشر بأسماء مستعارة أو غير مستعارة وتنسب خطأ إلى بعض الصحفيين .

كان سعد زغلول يكتب بنفسه بعض المقالات فى الصحف الوفدية بتوقيع س/ .. وظلت هذه المقالات تنسب ، ربما حتى الآن . إلى عباس محمود العقاد بغير علمه .. وكان السياسى الوزير نجيب الهلالى يكتب فى الصحف الوفدية مقالات دون توقيع..وكانت هذه المقالات، وربما حتى الآن تنسب لزميلنا الراحل أحمد قاسم جوده .. وكان حفنى محمود « باشا » ينشر فى جريدة السياسة مقالات ثم ينسبها للمرحوم عبد الجليل أبو سمرة « باشا » الذى صار فى الأربعينيات وزيراً مع حفنى محمود ، لكن عبد الجليل أبو سمرة كان يقرأ هذه المقالات فى الصحف كغيره من القراء .. وكانت الصحف الوفدية فى العشرينيات تنشر مقالات حامية بتوقيع المجاهدالوطنىسينوت حنا فيقابل فى المحافل الوطنية بالتصفيق لهذه المقالات، مع أن البعض منها كان بأقلام آخرين ومنهم مكرم عبيد « باشا » .

سكرتير التحرير :

على أن أخطر سين فى وظائف الصحافة هى سين (سكرتير التحرير) إن .. سكرتير التحرير هو الصحفى الذى يملك فى اللحظة الأخيرة السابقة على تمام العمل فى إخراج الجريدة أن يحذف من مادتها ما يشاء طبقاً لمقتضيات المهنة .. لقد كتب الصحفى العظيم محمود عزمى مقالا فى جريدة الأهرام حينما كان مستشاراً صحفيا لها فى الأربعينيات يشكو فيه إلى الله من ديكتاتورية سكرتير التحرير ..

ومع أن سكرتيرى التحرير غالباً ما يكونون من شباب الصحافة الناجحين لأن طبيعة عملهم فيها الكثير من العناء والسهر — فقد وجد من سكرتيرى التحرير رجال بارزون لعل أبرزهم فى الماضى هو الأستاذ إميل خورى الذى شغل فى الثلاثينيات وظيفة سكرتير تحرير الأهرام .. ثم انتقل من هذه الوظيفة مباشرة إلى وظيفة سفير لبنان فى بعض بلاد أوربا وكان من السفراء اللامعين الذين تعتز بهم حكوماتهم .



المصور الصحفي الذي

كاد يقتله الملك

أليس عجيب أن أول حرف من حروف الكلمة التي يلهث وراءها والألوف وربما الملايين من الناس ، هو أفقر حرف في أرشيفنا المهنى ؟ ! .. أنه حرف الشين الذى تبدأ به كلمة « شهرة » وقليل جداً من الناس هم الذين يرفضون الشهرة .. إنها كلمة لها جاذبية خاصة ، لكن أصحاب الجاذبيات . ناساً كانوا أو كائنات من الممكن جداً أن يكونوا ظالمين ولو بالرغم منهم . فالشهرة — مثلا — لازمة من لوازم الصحافة ، ومع هذا فبين صفوف زملائنا الصحفيين جنود مجهولون كثيرون بعضهم أكثر أهمية للعمل الصحفى ، أو أكثر أهمية لمجتمعهم الخاص من مشاهير الصحفيين .

حرف الشين

شهرة :

إن الصحافة ، كفن أو عمل أو هواية هى فى ظن الكثيرين أقرب الطرق المهنية إلى الشهرة ، ولعل هـذا هو السر الحقيقى فى كون

الكثيرين من الناشئة يكتشفون فى أنفسهم بلا مبرر ظاهر ، أن لديهم ميولا أو مواهب صحفية .. الصحيح الصريح أن التى لديهم هى ميول أو مواهب شهروية ، ومع هذا فإن هذه الميول حق لهم . فلولا مثل هذه الميول لما ظهر كتاب صحفيون لامعون كثيرون .. إن أكبر مثل على هذه الحقيقة يتمثل فى فكرى أباظة .. كان فكرى أباظة محامياً نابهاً من سنة تخرجه ، سنة ١٩١٧ ، إلى سنة انتخابه عضوا فى مجلس النواب سنة ١٩٢٦ .. عشر سنوات من العمل بكفاءة فى المحاماة لم تحقق له الشهرة التى تطلع إليها شبابه ، لكنه ما كاد يكتب مقالاته فى الصحف ، وبخاصة فى « المصور » حتى أصبح بعد سنة واحدة من المشاهير .. إلى درجة أن الباعة كانوا ينادون على « المصور » قائلين : فكرى أباظة — المصور .

ومع هذا فحرف الشين حرف فقير !

حرف الصاد

صورة :

أهم صاد فى أرشيفنا المهنى هى صاد كلمة « صورة » .. ولقد كانت الصورة فى الخمسين سنة الأولى عن عمر الصحافة المصرية أما صورة تأخذها الصحافة من يد صاحبها كأية صورة تذكارية يهديها أى إنسان إلى أصحابه ، وإما أن تكون صورة منقولة عن الصحف والمجلات الأجنبية الكبرى .

كانت الصور فى صحافتنا القديمة صوراً لا حركة فيها ، ولا تنشر

الصحف اليومية منها إلا صورة أو صورتين كل يوم أو كل يومين ، تاركة نشر « المواضيع » المصورة للصحافة الأسبوعية التى كانت متخصصة فى نشر هذه المواضيع ، وكانت مجلة « الطائف » فى سنى الحرب العالمية الاولى تعتمد فى معظم صورها على صور الحرب المنقولة من مراجع أجنبية :: فلما قامت ثورة سنه ١٩١٩ : وجدت الصحف اليوميه ان وصف التجمعات السياسية لا تكفى فيه الكلمة فبدت تستعين بالمصورين :: ثم ظهرت مجلة « المصور » فى سنه ١٩٢٤ فأوحى الإقبال عليها للصحف اليومية ان تنشىء بها اقساماً للتصوير : : ومازالت هذه الأقسام تكبر وتتطور حتى أصبحت أجهزة لها استديوهات داخل مبانى المؤسسات الصحفية وأصبح من توابعها أنشاء قسم للحفر «الزنكغراف» وأصبحت الصور تشغل جميع صفحات الجريدة بعد أن كانت فى الأجيال السابقة مجرد صورة واحدة ، ربما كانت مستعارة لتحلية الصفحة الأولى فى بعض المناسبات فقط : : وهكذا أصبح للمصور الصحفى عضواً له أهميته فى أسرة تحرير الجريدة .

وكما للمحررين الصحفيين ذكرياتهم — كذلك للمصورين الصحفيين ذكرياتهم : : ومن أطراف هذه الذكريات أن المصور الصحفى ذهب ذات ليلة قبل خمس وعشرين سنة ، الى صحراء المــاظة لمشاركة زميله المحرر فى أعداد تحقيق صحفى عما كان ينتشر فى هـذه الصحراء من مواقف العشاق : : وبينما كان المصور يصوب عدسته إلى سيارة من سيارات اولئك العاشقين — إذا به يفاجأ بسلاح مامصوب إلى صدره لقد كان فى هذه السيارة ، من حيث لايدرى « الملك فاروق » .

وفى ليلة مقتل رئيس الوزراء أحمد ماهر فى البهو الفرعونى بدار البرلمان فى فبراير سنة ١٩٤٥ كان المصور الصحفى ينتظر فى هـذا البهو رئيس الوزراء لتصويره بمناسبة البيان السياسى الخطير الذى كان أحمد ماهر يلقيه يومئذ .. وأقبل رئيس الوزراء احمد ماهر ، وصوب المصور عدسته إليه ، وإذا به يفاجأ بمسدس مصوب من جهة أخرى إلى صدر أحمد ماهر لينطلق وليسقط أحمد ماهر قتيلا . وفى نفس اللحظة هرع الحراس إلى البهو الفرعونى فالتفوا بالذى صوب إلى أحمد ماهر المسدس والذى صوب إليه عدسة التصوير .. وقبض على المصور الصحفى مع قاتل أحمد ماهر رئيس الوزراء ولم يفرج عنه إلا بعد التحقيق أياماً .. وبعد التأكد من آلة التصوير التى معه ليست بها أسلحة نارية .

حرف الضاد

ضمير :

حرف الضاد فى أرشيفنا المهنى يتجسد فى كلمة « الضمير الصحفى » إنها كلمة جديدة فى قاموس الصحافة العالمية كلها .. ولم تظهر هذه الكلمة إلا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وما تلاها من ظهور ميثاق الأمم المتحدة الذى يعتمد فى نصوصه على «الضمير الإنسانى» .. وإذا كان ميثاق الأمم المتحدة لم ينجح إلا قليلا فى تحريك الضمير الإنسانى فإن المواثيق المبرمة بين الصحفيين قد نجحت ، من الناحية النسبية ، فى تحريك الضمير الصحفى بدليل هذه القرارات التى تصدرها

مؤتمرات الصحافة العالمية بتأييد جميع حركات التحرير .. لقد استطعنا في أحد هذه المؤتمرات أن نستصدر قراراً باعتبار يوم ١٥ مايو يوماً لمساندة القضايا العربية من جانب الصحافة الحرة والصحافة الاشتراكية في العالم كله .

إن أول تجربة لنا في تحريك الضمير الصحفي كانت في سنة ١٩٤٧ عند ما كانت قضية مصر معروضة على مجلس الأمن .. ومع أن الطرف المضاد في هذه القضية إذ ذاك كان حكومة لندن — فإننا أبرقنا باسم نقابة الصحفيين في مصر ، إلى نادي الصحفيين في لندن نناشدهم الضمير الصحفي في مناصرة القضية المصرية ، ومع أن صحافة لندن لم تأخذ دور الضمير لهذه القضية بالإجماع — إلا أنها قد امتنعت بعد هذه البرقية ، عن مهاجمة وجهة نظر مصر في مجلس الأمن ، اكتفاء منها بإبراز وجهة نظر بريطانيا .

ولعل أعمق ماقيل يومئذ هو أن جريدة « التيمس » نشرت كلمة تقول فيها إن برقية الصحفيين المصريين إلى الصحفيين الانجليز كانت أكثر أهمية عندهم من الخطاب الذي ألقاه رئيس وزراء مصر إذ ذاك أمام مجلس الأمن ، وهو محمود فهمي النقراشي .

لكن .. هل كل صحفي له ضمير ؟ الصحيح إن كل صحفي يتمنى أن يكون له ضمير ، لكن هناك أشياء فوق إرادة الانسان ، أي إنسان .

ذات مرة قبل خمس وعشرين عاماً تلقيت خبراً عن قاتل وقتيل .. كان المتهم بالقتل من قريتي ، وكنت أعرف أنه أقل قدرة عن قتل

ذبابة . لكن للراجع العليا ، كانت ترى وجوب القيام بحملة ضده لتهدئة ثائرة الطائفة التى ينتمى إليها القتيل .. كنت مضطراً للمصلحة العامة ، أن أخالف ضميرى ، فإن أحداً من المسئولين يومئذ لم يكن يشفع عنده أن براءة للتهم ستثبت فيما بعد .. ولئن كان لهذا الحادث وصلته بالضمير الصحفى وجهان أحدهما مقبول ، فإن هناك مواقف أخرى لم يكن لها غير وجه واحد .. وجه كان يقبض فيه على ضمير الصحفى بأمر المنافسة الصحفية فى الفترات التى كانت تتحكم فيها تجارة الصحافة فى رسالتها وليس لشىء إلا لزيادة عدد طبعات الجريدة .. وهذا ما سنتحدث عنه فى حرف الطاء .



سبع طبقات للانذار الروسى

حرف الطاء

طرائف :

من طرائف الصحافة أن أول باب أغلقه التجديد الصحفى هو باب «طرائف» . . كانت صحف ومجلات الجيل الأول من القرن العشرين تخصص صفحة أو نصف صفحة أو أقل للأخبار أو الحوادث غير المعتادة تحت عنوان « طرائف » . وكانت بعض الصحف والمجلات تسمى هذا الباب « ملح — بضم الميم — وطرائف » لتضيف إليه بعض النكت الباسمة . . لكن أزمات الثلاثينيات قد أطفأت هذه البسمات وأصبحت الطرائف التى للصحفيين أنفسهم أكثر من الطرائف التى ينشرونها عن غيرهم .

ومن هذه الطرائف ما أشرت إليه فى الحلقة السابقة عن المصور الصحفى الذى ذهب ليصور للواقف الغرامية الحامية التى كانت تنتشر فى الجيل الماضى على صحراء مصر الجديدة ففوجىء بالملك الذى كاد أن يقتله . . الطريف أن صاحب فكرة هذا الموضوع الذى صاحبه المصور ، وهو الزميل لطفى رضوان المحرر بدار الهلال ؛ قد اتهم

يومئذ بأنه « دسيسة » على أسرار صاحب الجلالة وظلت هذه التهمة تلاحقه إلى أن زالت الملكية من مصر . .

طحميض :

فن من فنون التصوير هو فن « الطحميض » أى غسل الأفلام المصورة بالأحماض كى يتحول سوادها إلى بياض . . والكلمة أصلها « تحميض » . لكن هكذا ينطقونها .

كان عبده خليل مصور مجلة « المصور » فى الأربعينيات ينتظر رئيس الوزراء أحمد ماهر فى البهو الفرعونى بدار البرلمان كى يصوره عقب إلقائه أخطر بيان فى حياته « وهو بيان اشتراك مصر فى الحرب العالمية الثانية . . وكان ذلك فى فبراير سنة ١٩٤٥ . . وحينما أقبل الدكتور ماهر أطلق قاتله الرصاص ، وأقبل رجال الحرس البرلمانى وقبضوا على الموجودين فى البهو ومنهم المصور الصحفى . .

كان عبده خليل قد استطاع أن يلتقط صورة لرئيس الوزراء أحمد ماهر فى لحظة سقوطه على الأرض .. أنها صورة نادرة يدفع فيها أى مصور صحفى جانبا من حياته . ولما أحس بأنهم سيقبضون عليه أعطى « الفيلم » خلسة إلى زميله الذى تسلل به فى كثير من البراعة إلى دار الجريدة وأودعه حوض « الطحميض » . لكن رجال الشرطة كانوا يتعقبونه فأخرجوا الفيلم من حوضه ، وأصبحت هذه الصورة دليل اتهام لمصورها .

الطريف أن المصور لم يكن مهتما بالتهمة قدر اهتمامه بتصوير جنازة رئيس الوزراء فى اليوم التالى ، فكان طلبه الوحيد من المحقق أن يسمح له بالخروج ليصور هذه الجنازة ثم يعود .. يعود لأنه كان واثقاً من براءته التى ثبتت فعلا بطبيعة الحال ..

طبعات

إن الجريدة الناجحة هى التى تطبع فى اليوم الواحد أكثر من طبعة واحدة .. لقد انقضى الزمن الذى كان عمل المحرر ينتهى بإنتهاء الطبعة الأولى ، فبعد انتهاء الطبعة الأولى نجد أحداث تجعل من هذه الطبعة شيئاً قديما . والصحافة هى صناعة الجديد دائما .. ولهذا أصبح من « الروتين » فى كل صحفنا اليومية أن تعد الطبعة الثانية دائماً بمجرد إنتهاء العمل فى الطبعة الأولى ، وهذا هو التفسير الذى ينبغى أن يعرفه القارىء القادم من أية منطقة خارج القاهرة وفى يده نسخة من أية جريدة ، فإذا وصل إلى قلب العاصمة وجد نسخاً أخرى تحمل عناوين أو أخبارا أخرى .

ولكى أعطيك فكرة عن الطبعات التى تلى الطبعة الأولى أذهب بك إلى لندن حيث تظهر طبعات الصحف للهتمة بالمباريات الرياضية فى أعقاب كل شوط من هذه المباريات بينما يكون النظارة مايزالون على مقاعدهم أمام حلبة المباراة .

وليس شك أن صحافتنا قد عرفت أسلوب الطبعات المتوالية من

قديم . . على الأقل من سنة ١٩١٩ حينما كانت جريدة « الأهالى » تدور آلات الطبع فيها طوال اليوم لتصدر بين ساعة وساعة طبعة جديدة بأخبار للوقف السياسى وما حوله من تحركات الشعب . . ومن أشهر الطبعات الثانية فى تاريخنا الصحفى الطبعة الثانية من العدد الأول من جريدة «السياسة» الصادر فى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٢ . . ظهر العدد الأول صباح ذلك اليوم معلناً ميلاد حزب الأحرار الدستوريين . وكان مؤسسو الحزب مجتمعين فى نفس الصباح بفندق الكونتننتال للاستماع إلى خطاب رئيس الحزب الأول عدلى يكن « باشا » وما أن فرغ عدلى من خطابه فى العاشرة والنصف صباحاً حتى كانت الطبعة الثانية التى تحمل نص هذا الخطاب فى أيدى القراء .

وإذا كانت الطبعات المتكررة مألوفة فى الأحداث السياسية فإن فى تاريخنا الصحفى طبعة ثانية . ربما كانت الأولى والأخيرة من نوعها ، فى حدث أدبى بحت — ألا وهى الطبعة الثانية من عدد جريدة « السياسة الأسبوعية » الصادر بمناسبة « أسبوع شوقى » فى ربيع سنة ١٩٢٧ . . لقد نفذت الأعداد الضخمة التى طبعت فى يوم افتتاح هذا المهرجان الأدبى .. فصدرت منه طبعة ثانية قبل نهاية ذلك اليوم .

وفى ظنى أن أكثر عدد من الطبعات فى الصحف المصرية المعاصرة هو عدد الطبعات التى صدرت فى الأسبوع الأول من نوفمبر

سنة ١٩٥٦ . . كانت هـذه الطبعات خاصه بالإنذار الروسى الذى وجهه الاتحاد السوفيتى يومئذ إلى دول العدوان الثلاثى على مصر . . إننى أذكر أننى قد طبعت من جريدة « القاهرة » التى كنت أتولى رياسة تحريرها إذ ذاك سبع طبعات بين الساعة الواحدة والساعة العاشرة مساء . وفى كل طبعة صدى جديد من أصداء هذا الإنذار فى مختلف المجالات الدولية .



العمال هم الأغلبية

قلت لك فى حلقة سابقة أن الحروف كالناس منها شقى وسعيد ومنها غنى وفقير .. والآن أضيف إلى هذا أن الحروف كالناس منها خفيف الظل ومنها ثقيله .. وربما كان حرف « الظاء » هو أثقل حروف الأرشيف ظلا إن كلمة « ظل » نفسها تبدأ بحرف الظاء ، والظل عند الصحفيين يختلف نوعاً عن ظل الآخرين ، فالناس قد يرون فى الظل راحة لهم من الهجير . أما الظل فى أرشيف مهنة البحث عن المتاعب فيعنى النسيان ، فحين يقال أن فلاناً الصحفى أو الكاتب أو العظيم قد انتقل إلى الظل يعنى أنه قد انتقل إلى البعد عن الحركة .. أو انتقل إلى رحمة الله .. دعنا إذن من هذا الحرف إلى ما بعده .

حرف العين

عامل :

وكما أنك تجد فى الناس ثقيل الظل وفى المقعد المجاور له آية من خفة الظل فى إنسان — كذلك فى هذا الأرشيف للمهنى بقدر ما تجد الركود يشمل خانة الظاء تجد الحركة والنشاط وخفة الظل فى خانة العين .. يكفى أن تجد فى هذه الخانة كلمة « عامل » إن عمال مطابع

الصحف شيء عجيب — لك أن تعد كلمات هذا الكتاب ، ثم تعد حروف هذه الكلمات ، أو تعد عدد المقالات والأخبار والموضوعات فى أى عدد من أعداد الجريدة أو الكتاب — إنك ستجد أنك تخطيت خانة المئات إلى خانة مئات الألوف ، وهذه المئات من ألوف الحروف قد مرت عليها يد عامل مطبعة الجريدة وكأنها يد ساحر ..

إن العامل يجمع هذه الحروف بأسرع مما نكتبها .. إنه الإنسان الذى يدخل فى منافسة رهيبة مع الآلات .. إن يد العامل الماهر لا بد أن تكون فى سرعة الآلة أو أشد منها سرعة .

ونحن حين نفكر فى مهنة البحث عن المتاعب يتجه تفكيرنا رأساً إلى الصحفيين فى أية مؤسسة صحفية وقد يكونون مائة أو مائتين .. أما عمال الصحيفة فهم دائماً بالمئات . . فمحررو الصحف هم الأقلية . أما عمالها فهم الأغلبية دائماً .. لكنها الأغلبية التى لا تطغى لأنها تعرف باقتناع أنها امتداد لهذه الأقلية التى يتألف منها المحررون . . ونحن من أجل هذا نجد أن التعاون بين هذه الأغلبية وهذه الأقلية يكاد يكون مثالياً فى دنيا الأعمال .

ذات مرة قبل عشرين عاماً — تلقى رئيس مطبعة الجريدة الحزبية التى كنت أعمل بها « خبراً » من مسئول كبير فى الجريدة . . لاحظ العامل الذى يرأس المطبعة أن هذا الخبر ليس صادراً عنى وليست به أية إشارة منى .. قرأه مرة بعد مرة .. تأكد أن نشر هذا الخبر فيه إساءة لى .. فلم يسأل عن (المسئول الكبير) وأخفى الخبر حتى أعود

.. وغبت خارج الدار ساعات.وفى كل ساعة يسأل «المسئول الكبير» عن « بروفة » الخبر .. فلما تأكد أن هذا العامل قد أخفى خبره — استدعاه . . هدده . . لكنه بكل إخلاص قال له . . . لا أستطيع أن أجمع هذا الخبر قبل أن يعود المحرر المسئول .. وتحمل ما تحمل من الأذى بسبب هذا الموقف .. لكنه ظل صديقى إلى آخر حياته ، وكان كل منا سعيداً بهذه الصداقة التى تمثل الرابطة الحقيقية بين عمال الصحف ومحرريها ..

لقد بلغ من قوة هذه الرابطة مرة أن أحد الصحفيين ، وهو المرحوم كامل مصطفى — وكان سكرتير تحرير الجريدة التى كنت رئيساً لتحريرها — أراد أن يتحول من محرر إلى عامل مطبعة فى أوقات الفراغ ، لولا أننى أقنعته بالعدول عن هذه الفكرة حتى لا تتحول صداقتنا للعمال إلى منافسة ..

وعامل المطبعة الصحفية يعتبر المثال الأول لتطور المجتمع العمالى فى بلادنا .. نحن حين دخلنا دنيا الصحافة فى الجيل الماضى كان عامل المطبعة « صبياً » يلبس الجلباب والقبقاب ، ويتقاضى عشرة قروش فى عشر ساعات .. أما الآن فعامل المطبعة الصحفية أصبح « فناناً » يلبس القميص والبنطلون ويتقاضى سبعين قرشاً فى سبع ساعات كحد أدنى بل إن بعضهم يتقاضى الآن مرتبا يصل إلى مائة جنيه أليس هذا مقياساً اجتماعياً دقيقاً لتطور الحركة العمالية ؟

حرف الغين

غيار :

ليس فى غين أرشيف العمل الصحفى ما هو أهم من غين كلمة « غيار » .. إن غيار فى لغة الصحافة يعنى تغيير مادة صفحة أو أكثر أو أقل عند الانتقال من مطبعة إلى أخرى .. فهذا « الغيار » هو عفريت الصحفيين.. فبينما يكون الصحفى قد أتم عمله واستعد للانصراف أو انصرف فعلا — إذا برياسة التحرير تستدعيه على عجل .. إن أنباء جديدة مثيرة قد ظهرت فى الأفق ، ولا بد أن يتم الغيار عليها .. وأياً كانت الساعة بعد منتصف الليل — فلا بد للصحفى أن يعود إلى عمله ليهدم ما بناه ثم يبنى غيره من جديد فى سبيل .. فى سبيل القارىء .

حرف الفاء

فكاهة :

إن حرف الفاء فى أرشيفنا المهنى حرف مرح .. إنه يبدأ بكلمة « فكاهة » .. فالصحافة التى تقدم للناس كل ما هو جاد ، بما فى هذا كل مآسى الحياة ، لا تنسى أن للقراء ما يرفه عنهم بمختلف الوسائل .. ومن هذه الوسائل النكتة التى تظهر غالباً فى رسوم الكاريكاتير..

إن النكتة الصحفية كانت لها دولة فى الماضى ، دولة ما زالت تكبر

حتى أصبحت لها مجلات متخصصة .. وكانت أشهر هذه المجلات فى الماضى هى مجلة « الفكاهة » .

لم تكن مجلة « الفكاهة » أولى مجلات النكتة المصرية .. لقد سبقتها صحف صغيرة وكثيرة مثل : السيف والمسامير وأبو قردان والبعكوكة وكثير من الصحف التى كانت كل ثلاث منها تباع بقرش حيث كان القارىء يستمتع بهذا القرش ليلة كاملة فى قراءة مرحة .. ثم جاءت دار الهلال فجمعت مزايا هذه الصحف الصغيرة كلها فى مجلة كبرى باسم « الفكاهة » .

لقد كان لمادة الفكاهة محررون متخصصون فى الماضى ، وكان أبرز أولئك المحررون المرحوم حسين شفيق المصرى أول رئيس لتحرير لمجلة «الفكاهة» .. ولعل من أعجب المتناقضات فى مهنة الصحافة أن هذا الرجل الذى أضحكت مادته ملايين القراء .. الرجل الذى أدخلت فكاهته على الدار التى يعمل بها الألوف كان راتبه الشهرى وهو رئيس تحرير — أقل من ثلاثين جنيهاً .. ستة وعشرين جنيهاً على وجه التحديد .. فلما مرضت عيناه من السهر لم يجد العلاج فكف بصره .. ولما مات كمداً قبيل تنظيم معاشات الصحفيين فى بداية الخمسينات لم يجد ورثته — ورثة الذى أضحك كل الناس — ما يمسحون به دموعهم .. وظلت هذه حالهم إلى أن غير منها وزير الأوقاف الأسبق المهندس أحمد عبده الشرباصى بمجرد أن أطلع على سطرين منى .. جزاه الله خير الجزاء .

فن :

وكما تبدأ فاءات أرشيفنا المهنى بفاء « الفكاهة » فإنها تنتهى بفاء كلمة « فن » .. وشتان بين محررى الفكاهة وبين محررى الفنون لقد كانت الشهرة ، وأحياناً السلطة الأدبية ، تنتظر محررى الفنون لأنهم يعملون فى حقل من أروع حقول الصحافة من قديم ..

ولعل أقدم محررى الفنون فى الجيل الأوسط من صحافتنا هو المرحوم عبد المجيد حلمى الشاب الصحفى المصرى الذى جعل من التحرير الفنى تخصصاً تنشأ له صحف خاصة .. لقد أنشأ عبد المجيد حلمى فى منتصف العشرينات مجلة اسمها « المسرح » وكان شريكه فى هذه المجلة محمد التابعى الذى حقق من الشهرة والسلطان الأدبى ما لم يحققه الكثيرون .

لقد بلغ من السلطان الأدبى فى دنيا الفنون لعبد المجيد حلمى أن سلطانة « الطرب » إذ ذاك ، وهى السيدة منيرة المهدية — قد دعته إلى قضاء الصيف ، على نفقتها ، فى ربوع تركيا .. وكان يقابل ، معها ، فى تلك الربوع كما يقابل العباقرة .. لكنه انتقل من هذه الرحلة الخيالية ، كخيال ألف ليلة وليلة ـ انتقل إلى رحمة الله فى ريعان شبابه .. وكل شىء فى أمجاد هذه المهنة له ثمن وكثيراً ما يكون هذا الثمن فادحاً فداحة الموت نفسه .

الجامعة من اقتراحات القراء

قبل أن ندخل فى قافات أرشيف مهنة الصحافة أقرر أن فوق هذه القافات كلها قاف « القارىء » فالقارىء هو كل شىء فى حياة الصحافة ، فصحافة بلا قراء كأى جسم بلا روح . . كما أقرر أن القارىء هو شريك الصحفى فى أهدافه الصحفية . . وأقرر أيضاً أن هناك قراء أجلاء كان لهم فضل كبير على الصحافة ، لا من حيث انتشارها ، بل ومن ناحية إنتاجها أيضاً . . فقراء الصحيفة هم برلمانها الطبيعى .. وعندى أدلة تاريخية على هذا المعنى أكتفى بواحد منها ..

فمنذ حوالى سبعين عاماً أرسل « قارىء » إلى جريدتى اللواء والمؤيد يقترح القيام بعمل اكتتاب شعبى لإنشاء « الجامعة » .. وقد تضمن اقتراحه استعداده لأن يكون أول المكتتبين بمبلغ كبير .. ونجحت الفكرة بعد أن تبناها الزعيم مصطفى كامل ، وأنشئت الجامعة بفضل أحد القراء الأجلاء .. وكما أن كل قارىء يشعر بأن له فى الصحفيين صديقاً روحياً وإن لم يلتقيا إلا على صفحات الصحف — كذلك كل صحفى يعمل للخدمة العامة يشعر بأن له فى القراء أصدقاء يحبهم ويحبونه ، ولعل المثل الحى على صداقة القراء للصحفيين يتمثل الآن فى الصديق الأستاذ عيسى متولى أمين مكتبة بنك مصر سابقاً الذى يسميه

الصحفيون « أشهر قارىء صحف » وإن كنت أعتقد أن لنا فى القراء أصدقاء كثيرين لا يقلون ، إن لم يفوقوا ، هذا الصديق .

حرف القاف

قضايا الجريمة :

وحين ندخل فى قافات للمهنة نجد أن أول قافاتها قاف كلمة « قضايا » . . فالقضايا لازمة من لوازم العمل الصحفى . . أن اهتمامات الرأى العام تسمى فى لغة الصحافة « قضايا الرأى العام » .. والواقع أن بعض القضايا التى تعرض على القضاء تثير اهتمام الرأى العام كله بالرغم من أن تكوينها لا يختلف فى التكييف القانونى عن مثيلاتها من القضايا الأخرى إلا أن آثارها النفسية تنعكس على عدد أكبر من الناس .

وأشهر هذه القضايا قديماً ، وخلال سنى العشرينات القضية التى عرفت باسم قضية « ريا وسكينة » بمدينة الاسكندرية .. كانت هاتان المرأتان « ريا وسكينة » قد ألفتا عصابة منهما ومن بعض الشباب والشابات من معتادى الإجرام .. وكان نشاط هذه العصابة غريباً جداً فى العشرينيات على المجتمع المصرى .. كان هذا النشاط يدور حول اصطياد بعض الفتيات المراهقات الجميلات الفقيرات بواسطة شباب العصابة وإغراء بعض العضوات فيها فإذا ما وقعت الصغيرة تحت تأثير المراهقة فى مهاوى السقوط قدمت بالثمن الغالى للأثرياء الشبان الفاسدين وكانت العصابة تحول رصيد أولئك المراهقات إلى مصاغات لإيهامهن بأن الجماعة

تعمل لحسابهن ، فإذا تضخم حجم للصاغ تولت للرأتان « ريا وسكينة » قتل الفتاة صاحبة هذا المصاغ وتقطيع أوصالها بواسطة بعض للعاونين ، ودفن هذه الجسوم للتقطعة تحت أرضية بيتهما .. وظل هذا الدفن يتضخم حتى ضاقت أرضية هذا للنزل ، ولسبب أو لآخر ظهرت بعض الأجزاء للدفونة فى أفواه الكلاب .. فكشفت عن مكان الجريمة التى هزت وقائعها المجتمع كله .

كانت التفاصيل التى تنشرها الصحف عن هذه القضية حديث كل الناس لغرابتها على خيال المجتمع المصرى إذ ذاك ، وقد حققت هذه التفاصيل رواجاً ضخماً للصحف التى كانت تتسابق فى نشر هذه التفاصيل التى انتهت إلى أول حكم بالاعدام على إمرأة مصرية حيث كانت تقاليد القضاء المصرى حتى ذلك الحين ، توجب إستبدال حكم الاعدام على النساء بالأشغال الشاقة للؤبدة .

على أن أعجب هذه التفاصيل كان يرجع إلى الصحافة ذاتها .. فقد كانت الصحف فى هذه الأثناء تنشر تفاصيل قضية سفاح البنات فى ألمانيا .. كان هذا السفاح شاباً شاذاً يتصيد الفتيات المراهقات فى الغابات ويغريهن بمختلف وسائل الاغراء ، حتى إذا ما قضى معهن وطره قتلهن وترك جثثهن فى مجاهل غابات ألمانيا الصناعية .. وقد ظل البوليس الألمانى يبحث عن صاحب هذه الفعلة أكثر من سنة ، حتى سقط فى أيدى رجال الأمن بعد أن بلغ عدد ضحاياه العشرات ، وبعد أن أصبح حديث الصحافة العالمية كلها ..

قضايا الصحافة :

أما من ناحية التاريخ المهنى — فهناك القضايا التى كان الصحفيون أنفسهم يقفون بها فى قفص الاتهام .. هذا النوع من القضايا يعد بالعشرات بين سنى ١٩١٠ و ١٩٥٠ .. لكن أشهر هذه القضايا ثلاث :

قضية الشيخ عبد العزيز جاويش فى سنة ١٩١١ بوصفه رئيساً لتحرير جريدة « اللواء » جريدة الحزب الوطنى ، وقد حكم عليه بالسجن لاتهامه بالقذف فى حق الخديو .. لكنه فى يوم الافراج بعد انقضاء أشهر العقوبة وجد على باب السجن آلافاً من الشباب فى انتظاره خلف العربة التى كانت تستعد لنقله إلى بيته ، وما أن ركب الشيخ جاويش هذه العربة حتى فك الشباب رباط خيولها وتولوا بأنفسهم جر العربة التى اتجهت به إلى دار جريدة اللواء .. وهناك قدم له الجمهور وساماً من الذهب هدية له باسم الشعب ومن الشعب ..

قضية الدكتور محمود عزمى فى سنة ١٩٢٧ بوصفه نائباً لرئيس تحرير جريدة « السياسة » . وكان أيضاً متهماً بالقذف فى حق الملك ، بعد أن أخذت هذه التهمة طابعاً قانونياً جديداً وصف فى التشريع الملكى إذ ذاك باسم « العيب فى الذات الملكية » .. وكانت أبرز نقطة فى هذه القضية أن القصر الملكى عرض على المتهم ، بمختلف الطرق ومنها طريق المحكمة ذاتها أن يعتذر ويعفى عنه ، لكن عزمى رفض صيغة الاعتذار التى اقترحها القصر الملكى فحكم عليه .

قضية رؤساء تحرير جريدة « السياسة » فى سنة ١٩٣٤ التى اشتهرت باسم « قضية نزاهة الحكم » .. أقول قضية « رؤساء التحرير » بالجمع لأن الحكومة كانت قد أصدرت قانوناً لم يعش طويلا ، لمنع أى صحفى من تولى رياسة تحرير أية جريدة إذا سئل مجرد مساءلة أمام القضاء ولو لم يحكم عليه .. وقد منع هذا القانون الدكتور محمد حسين هيكل من ممارسة وظيفته كرئيس لتحرير السياسة — إذ ذاك ، فتولاها الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى . ثم تولاها الأستاذ حفنى محمود الذى صار فيما بعد « باشا » ووزيراً وكان الفرق بين سنة ١٩٣٤ ، سنة هذه القضية وما قبلها ، أن الحكم فى هذه القضية قد صدر بالبراءة ، وقد ترتب على هذه البراءة سقوط الوزارة .

قطار :

قد تبدو كلمة « قطار » أبعد ما تكون عن العمل الصحفى ، لكن الواقع يختلف عن ذلك .. كانت صحف الصباح إلى ما قبل خمسة وعشرين عاما لا تظهر فى اسكندرية وسائر الأقاليم إلا فى ساعات الضحى أو الظهر حسب مواقيت القطارات التى تحمل أعداد الصحف إلى هذه المناطق .. لكن تقدم الحركة الصحفية قد ألجأ هيئة السكة الحديدية إلى تسيير قطار خاص بعد منتصف الليل ، و بالذات فى الساعة الثالثة صباحاً لحمل أعداد الصحف إلى الاسكندرية والأقاليم الأخرى ، وسمى هذا القطار باسم « قطار الصحافة » .. وأصبحت لهذا القطار ميزتان : الأولى أن صحف الصباح تقرأ الآن فى اسكندرية والأقاليم

— فيما عدا جنوب الصعيد — في نفس الوقت الذى تباع به هذه الصحف في القاهرة .. والثانية أن هـذا القطار قد حل مشاكل المسافرين الذين يضطرون لأن يكونوا في الاسكندرية أو غيرها قبل الشروق .

قلم :

ولا أستطيع أن أترك قافات الصحافة دون الاشارة إلى كلمة « قلم » فالقلم هو العدة الوحيدة في يد الصحفي بل هو السلاح الوحيد الذى يدخل به كل المعارك ، فهذا « القلم » الذى قد لا يساوى من الناحية المـادية ، إلا بضعة قروش أو بضعة ملاليم ، قد يساوى فرقة من المشتركين في بعض المعارك .. وفي سنة ١٩٥٦ ظهر تعبير جديد في قاموس الصحافة هو « سلاح القلم » .. وقد حرصت بعض البلاد على أن تضم إلى متاحفها الأقلام التى كان يكتب بها بعض عظماء الـكتاب ، وهو تقليد أرجو أن يكون له في مستقبلنا نصيب ..

حرف الـكاف

أول حروف الـكاف في أرشيفنا المهنى الـكاف التى تبدأ بها كلمة « كارتون » والـكارتون في صناعة الصحافة إثنان : الـكارتون الذى تنصب فيه صفحات الجريدة صفحة صفحة ثم توضع هذه الـكارتونات على صينية المطبعة فيخرج منها ألوف وعشرات الألوف ومئات الألوف من نسخ الجريدة .. أما الـكارتون الثانى فهو كارتون الرسم . .

فالرسوم التى يرسمها الرسامون الصحفيون ، وغيرهم ، تسمى فى لغة الصحافة الدولية باسم « كارتون » .. وهى الرسوم التى ترسم عادة على ورق يسميه الوراقون باسم ورق الكارتون ..

كاريكاتير :

ومن المعروف أن رسوم الكارتون أنواع ، لكن أخص هذه الأنواع عند الصحفيين هى رسوم « الكاريكاتير » .. ولقد كانت للكاريكاتير إلى سنة ١٩٣٠ صحفه الأسبوعية المتخصصة ، وكان أبرز هذه الصحف جريدتى الكشكول وروز اليوسف .. لكن الصحف اليومية بدأت تفتح صدرها للكاريكاتير بعد هذا .. بعد أن ثبت أنه سلاح صحفى ناجح فى المعارك السياسية الصحفية ، وقد أخذت هذه الظاهرة الفنية صفة التعميم بعد اشتداد معارك الحرب العالمية الثانية فى أوائل الأربعينات .. ومنذ ذلك الحين دخل قاموس الصحافة تعبير جديد هو تعبير « الوجوه الكاريكاتيرية » أى الوجوه التى لها بطبيعتها قوة التعبير الكاريكاتيرى لوجود ميزة خاصة فى تقاسيمها الطبيعية ، وكان أبرز هذه الوجوه فى الحرب العالمية الثانية من الناحية الفنية الكاريكاتيرية وجه الجنرال ديجول الذى صار فيما بعد رئيساً لجمهورية فرنسا .. وكانت هذه الميزة فى أنف ديجول .. لقد بلغ من تفنن الكاريكاتيريين أن كانوا يكتفون برسم أنف ديجول ليعلم القراء أنه ديجول ..

كتب :

ولا أستطيع أن أبرح خانة « الكاف » دون أن أشير إلى مادة

« كتب » .. فالكتب التى تهدى إلى الصحف والصحفيين تعد بالآلاف .. كل مؤلف يتجه ذهنه إلى أصدقائه من الصحفيين ليكتبوا شيئاً عن كتابه .. وقد كانت الصحف فى الماضى تعنى بالكتب عناية خاصة .. كل جريدة فيها باب مخصص لنقد المؤلفات الجديدة .. اختفت هذه الظاهرة إلا قليلا ، لسببين : الأول أن مطابع الكتب أصبحت تخرج عدداً من المؤلفات فوق طاقة أى صحفى أن يتابعه .. والثانى أن النقد الأدبى لم يعد مشاعاً بين الصحفيين كما كان فى الماضى .. أصبح للنقد الأدبى محررون مختصون يخضع النقد لما يعجبهم وما لا يعجبهم .

ومع هذا السيل من المؤلفات فإن مكتبات المؤسسات الصحفية تكاد لا تضم إلا ما يهم الصحفيين .. وفجأة يكشف الصحفى أنه بحاجة إلى كتاب فلا يجده .. تماماً كما حدث فى سنة ١٩٧٠ بمناسبة العيد الذهبى لبنك مصر .. لقد بحث عدد من الزملاء عن نسخة من كتاب اشتركت فى تأليفه منذ أكثر من ثلاثين عاماً عن « طلعت حرب » فلم يجدوا منه حتى عندى — ولا نسخة فاستعانوا بالنسخة الوحيدة المحفوظة فى دار الكتب .

المانشتات التاريخية العشرة

لقد اكتشفت وأنا أبحث فى أرشيف مهنة الصحافة أن هناك حروفا يكون بعضها مع بعض أسرة قائمة بذاتها . . ومن هذه الحروف الأسروية حروف اللام والميم والنون .. أنها بتشابهها الطبيعى تشكل كلمة مستقلة هى كلمة « لمن » . . وكأى أسرة فيها من هو ميسور الحال وفيها من هو محدود الدخل . . وفى أسرة هذه الأحرف الثلاثة نجد أن حرف الوسط ، وهو حرف الميم ، ميسور جداً .. أن ثمانى وظائف من وظائف الصحافة وسبعة مصطلحات من مصطلحاتها تبدأ بحرف الميم . . الوظائف هى : محرر ، مدير تحرير ، مترجم ، مراجع مصحح ، مراسل ، مصور ، مندوب .. والمصطلحات هى : مانشت .. مراجع « بفتح الميم » مصادر . معلومات . مكتبة . مقالة منافسة . . ولعلى أستطيع تغطية بعض هـذه الميمات بعد أن نتحدث عن حرف اللام .

حرف اللام

لسان :

أشهر لام فى لامات الصحافة هى اللام التى تبدأ بها كلمة « لسان حال » .. ربما كانت هذه الكلمة قليلة الاستعمال الآن . . لكنها

كانت متداولة جدا فى النصف الأول من القرن العشرين . ويرجع سبب كثرة تداولها إلى ظهور عدد كبير من صحف الأحزاب ، حيث كانت جريدة الحزب تسمى « لسان حاله » .. كانت فى بداية الأمر تسميه عرفية لكنها بمضى الوقت أصبحت جزءا من شعار كل جريدة حزبية ، فكان من المألوف أن تقرأ تحت اسم الجريدة كلمة « لسان حال حزب كذا » ومع التطور اللغوى فى الصحافة حذفت كلمة « حال » وأصبحت تكتب « لسان حزب كذا »

ولقد تعددت هذه « الألسن » بتعدد الأحزاب فى الماضى ، حتى بلغت فى بعض الأوقات عشرة ألسنة تشير إلى الخلافات المتعددة فى وجهات النظر السياسية فى سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٥٠ وهذه الألسنة العشرة هى ألسنة الأحزاب الآتية : الحزب الوطنى .. الوفد . . الأحرار الدستوريين . . حزب الاتحاد . . حزب الشعب . . حزب السعديين . . العمال .. مصر الفتاة .. الكتلة .. الأخوان . . وهذا كله عدا تشكيلات أخرى كانت لها « ألسنة » لم تكتب لها الشهرة .

حرف الميم

مانشت :

الأمانة تقتضى أن أصرح بأن تقليد « المانشيت » لم يكن إلا نتيجة الحاجة . . وقد ظهرت هذه الحاجة بإلحاح ابتداء من سنة ١٩٣٦ سنة انطلاق المنافسة العنيفة بين الصحف المصرية ، حيث كانت كل

صحيفة تحاول أن تلفت إليها الأنظار . . وليس معنى هــذا أن صحافتنا لم تعرف « للمــانشيت » من قبل .. لــكنه لم يكن تقليدا يوميا .. أذكر أن سكرتير تحرير الأهرام قبل هذا التاريخ قدم إلى رئيس تحريره مشروع مانشيت كعنوان لخبر الصفحة الأولى يومئذ ، وكان خبرا هاما — فإذا برئيس التحرير يقول لسكرتير تحريره « وحينما تقوم الحرب غدا ، أو فى أى وقت — ماذا يكون حجم عنوان خبر الصفحة الأولى إذا جعلنا عنوان خبر اليوم بعرض الصفحة كلها ؟! .. وعدل سكرتير التحرير عن المانشيت .

لــكن .. حين قامت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ وفرضت ظروف الحرب الرقابة على الصحف ، وأصبحت كل صحيفة تشعر بحاجة إلى ما يشد القراء إليها — بدأت تنتشر فــكرة المــانشيت حتى أصبحت تقليدا صحفيا له تاريخ .. وفى هذا التاريخ لا نجد فى العشرين سـنة الأخيرة مانشتا أكثر أهمية من للمــانشتات الآتية : (ثورة الضباط الأحرار فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢) .. «إعلان الجمهورية» فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ .. « جلاء القوات البريطانية» فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ . . «العدوان الثلاثى» فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٦ .. « عيد النصر » فى ٢٣ ديسمبر سـنة ١٩٥٦ .. «إعلان الوحدة بين مصر وسورية » فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ . . « تنظيم الصحافة » فى ٢٤ مايو سـنة ١٩٦٠ .. « القرارات الاشتراكية » فى ٢١ يوليو سنة ١٩٦١ .. « الحرب بين العرب وإسرائيل » فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، ثم «تحطيم خط بارليف» فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وكل

ما عدا هذه الأحداث التاريخية المحلية العشرة فى العشرين سنة الأخيرة كان من الممكن أن تكون لها عناوين كبيرة ضخمة ، لكنها لا ترتفع إلى مستوى هذه المانشتات فى تاريخ الصحافة وأرشيفها .

مدير تحرير :

لا حاجة بي للكلام عن وظيفة « المحرر » فكل صحفى فى عرف القانون « محرر » ، ثم تضاف إليه صفة اختصاصه ، كان يكون محررا مسئولا ـ أى رئيس تحرير ـ أو محرراً مترجماً أو محرراً رساماً..الخ. لكن الجديد فى وظيفة المحرر هى وظيفة « مدير التحرير » .. لقد كان المألوف فى جيل الصحافة الأسبق أن يكون هناك مسئول يسمى « مدير التحرير والسياسة » أو « مدير التحرير والإدارة » .. التسمية الأولى للمسئولين السياسيين عن الصحف الحزبية ، والتسمية الثانية للمسئولين اقتصادياً عن الدنيا التجارية - ثم تغيرت الدنيا ، مع التطور الصحفى، وأصبح لا بد من وجود مسئول فنى يتوسط دائرة العمل بين رئيس التحرير وسائر المحررين ، وسمى هذا المسئول « كمدير التحرير » وكان أول من تولى هذه المهمة بهذا الوصف هو الدكتور محمود عزمى فى جريدة السياسة منذ خمسين سنة ، وإن كان الصحفى إذ ذاك لا يعرف إلا باسمه لا بوظيفته كما نفعل الآن .

مصدر :

كل صحفى له مصدر يستقى منه أخباره ، ويرتفع شأن الصحفى فى عمله كلما كان مصدره « عليما ببواطن الأمور » .. فمن كان الرؤساء

مصادره فهو من رجال الصف الأول فى الصحافة .. ويعتبر الوزراء الحكم مناصبهم ومسئولياتهم ، هو المصادر الطبيعية للصحفيين ، وأشهر « مصدر » من الوزراء للصحفيين فى الأربعينيات هو المرحوم دسوقى أباظة « باشا » .. لقد كانت صداقاته المتعددة للصحفيين مصدرا من مصادر سخائه معهم .

لقد بلغ من هذا السخاء أننى قلت لدسوقى أباظة « باشا » ذات يوم أن زميلنا فلانا المحرر بجريدة من الصحف الوفدية المعارضة للحكومة التى كان دسوقى أحد وزرائها قلت له أن الزميل سيفقد وظيفته إن لم يستطع مد جريدته بأنباء الحكومة التى كانت تعارضها معارضة تمنع الوزراء من الإدلاء لمحرريها بالبيانات — فإذا بهذا الوزير « الشرقاوى » الكريم يختص الزميل محرر الصحيفة المعارضة بضعف ما كان يدلى به للآخرين . .

مكنة :

لا تكاد تسمع فى أروقة الصحف بعد كلمات التحرير أكثر من كلمة « مكنة . . و « والماكينات » وصحتها باللغة العربية «الآلات»

أولها « مكنة التيكر » وهى جهاز استقبال البرقيات الخارجية التى تتألف منها فى الصحافة مادة الأنباء الخارجية .

ثانيها « مكنة التربيتر » وهى المعروفة باسم « الآلة الكاتبة »

التى يعاد بواسطتها تدوين مقالات المحررين ، والكتاب ذوى الخطوط الرديئة وأنا منهم .

ثالثها « مكنة الزنكغراف » وهى « آلة الحفر » التى تدخلها الصور والعناوين لتتحول إلى « كليشيهات » يمكن إدخالها على أدوات الطبع .

رابعها « مكنة اللونوتيب » وهى آلة صف الحروف .

خامسها « مكنة الروتاتيف » وهى آلة الطباعة .

وليس شك أن آلة الطباعة هى أهم وأخطر وأغلى هذه الآلات .. جميعا ثمن بعضها يزيد الآن على مائة ألف جنيه .. وطراز آلة الطباعة هو الذى يحدد مستوى التقدم الفنى والاقتصادى لكل جريدة وهى فى نفس الوقت أكبر ركن من أركان رأسمال أية مؤسسة صحفية .

إن أول تنافس فى تاريخ الصحافة المصرية بآلات الطباعة ظهر فى بداية القرن العشرين .. ذلك أن الزعيم مصطفى كامل صاحب جريدة اللواء فى تجواله ببلاد أوربا وزياراته لدور الصحف بها — كان قد شاهد بنفسه الانقلاب الفنى الكبير الذى أحدثته آلة « الروتاتيف » على النشاط الصحفى فى الخارج ، فبادر إلى التعاقد على شرا أول مكنة روتاتيف » كى تستخدمها جريدة « اللواء المصرية » . ولم يكن الحصول على مثل هذه الآلة إذ ذاك بالأمر اليسير .. إن آلة الروتاتيف التى يتعاقد الشارى على شرائها تبنى كما تبنى العمائر

أو البواخر لضخامتها ، وهذا البناء يحتاج إلى وقت قد يمتد إلى سنة أو سنتين .. وفى هذه الفترة تنبه الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد المنافسة لجريدة اللواء لخطورة التطور الطباعى الذى سيدخل على الجريدة المنافسة ، فاستخدم كل وسائل النفوذ التى يملكها للتعاقد على شراء آلة « روتاتيف » أخرى بشروط منها إنجاز تصنيعها فى أسرع وقت ممكن .. وتم تصنيع الآلتين معا . . وبقى السباق على شحن أجزائهما وتركيبهما فى القاهرة ، أيهما يتم تركيبها وتشغيلها قبل الأخرى . .

وكانت هذه أول منافسة من نوعها بين صحف القاهرة .



ورق الصحف في الحرب

لست أدرى هل هى الصدفة وحدها ، أم أن هناك سراً لا نعلمه وراء الحروف .. فالحروف الأربعة الباقية فى هذه السلسلة من حلقات هذا (الأرشيف الصحفى) وهى حروف النون والهاء والواو والياء — حروف تتألف منها كلمة عجيبة ، هى كلمة (يهون) .. فإذا نحن راجعنا تفاصيل الحياة بالنسبة لأى صحفى أو صحفية وجدنا أن كل شىء (يهون) فى سبيل هذه المهنة العظيمة .

وليست مهنة الصحافة عظيمة فى نظرى ، أو فى نظر كل الصحفيين لأنها مهنتنا .. إن كل مهنة فى نظر أهلها أعظم المهن — إنما هى مهنة عظيمة لالتصاقها المباشر بالرأى العام فما من مهنة تتفاعل مع الرأى العام كمهنة الصحافة .. إن الرأى العام الذى يصنعها ، وهى تصنعه أيضاً .. إن الصحافة توجد حيث يوجد الرأى العام فلو لم يكن لنا رأى عام لما كانت لنا صحافة ، لكن الصحافة فى الطرف الآخر من هذه النظرية هى القوة الدافعة التى تحرك الرأى العام مع أنها تستمد منه قوتها التى تدفعه بها إلى ما يريد .. ومن هنا يشعر كل صحفى حر بأن كل شىء يهون فى سبيل هذه المهنة التى تتصل أنفاسها بأنفاس شعبه اتصالا مباشراً .. وفى هذه الحلقة من سلسلة هذا الأرشيف سأحاول استعراض بعض جوانب الحروف الأربعة التى تتألف منها هذه الكلمة .

حرف النون

نقابة :

إن نون الصحافة تتمثل اول ما تتمثل فى نون كلمة (نقابة) .. كانت الصحافة المصرية منذ فجر القرن العشرين هى الداعية إلى تشكيل كل النقابات فى كل المهن .. ولقد كانت كلمة (نقابة) تعنى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نقابات العمال ، ولا يزال هذا المعنى قائماً حتى اليوم .. فالعمال هم مراكز التجمع التى تحتاج إلى تنظيمات ورعايات نقابية ، لكن فئات المثقفين فى أوائل القرن العشرين بمصر وغيرها بدءوا يشعرون بأنهم هم الآخرون بحاجة إلى تنظيم ، ولم يجدوا لهذا التنظيم إسماً خيراً من كلمة (نقابة) .

على هذا الأساس ظهرت أول نقابة من نقابات المثقفين فى مصر سنة ١٩١٢ وهى نقابة المحامين ، ومع أن الدعوة لإنشاء نقابة للصحفيين ظهرت فى وقت واحد مع الدعوة لإنشاء نقابة للمحامين إلا أن تنظيم مهنة المحاماة بقوانين قديمة ترجع إلى تنظيم هيئة القضاء ذاتها قد جعل من إنشاء نقابة المحامين أمراً سهلا فى هذا الماضى الذى أصبح بعيداً .. أما الصحفيون فقد ظلوا يكافحون للوصول إلى تنظيم مهنتهم بقانون ، غير قانون المطبوعات حوالى ثلث قرن حتى تحقق لهم صدور هذا القانون فى ٣١ مارس سنة ١٩٤١ . . ومع هذا فقد كانت نقابتهم ، من الناحية التاريخية ، ثانى نقابات المثقفين فى مصر .. وكان إنشاء نقابة

الصحفيين إيذاناً بإنشاء سائر نقابات المثقفين التى بدأ ظهورها يتوالى منـذ سنة ١٩٤١ حتى بلغت الآن إحدى عشرة نقابة وهى نقابات المحامين .. الصحفيين .. الأطباء البشريين .. الأطباء البيطريين .. أطباء الأسنان .. الصيادلة .. المهندسين .. المهندسين الزراعيين .. المعلمين .. العلميين .. التجاريين .. وقد شاركت الصحافة فى الدعوة لإنشاء كل هذه النقابات .. فضلا عن أنها كانت المنبر العام لعشرات من نقابات العمال والفنيين .. وتعتبر نقابة الصحفيين هى النقابة الوسط بين كل ألوان هذه النقابات .. ذلك أن الصحفيين بطبيعة ثقافتهم صف من صفوف المثقفين .. ثم هم بطبيعة سير العمل فى حياتهم اليومية صف من صفوف العمال .. ثم هم فى أكثر من تخصص من تخصصاتهم شركاء للفنانين ..

ولهذا كانت نقابتهم منذ إنشائها فى سنة ١٩٤١ حتى الآن مركزاً من مراكز الاشعاع فى مجتمع المثقفين ، ومركزاً من مراكز الاشعاع فى مجتمع العمال ، ومركزاً من مراكز الاشعاع فى مجتمع الفنانين .. هـذا بالاضافة إلى أن نقابة الصحفيين كانت أول نقابة فتحت أبواب مجلسها للمرأة فى مصر .. فمنذ عشرين عاماً دخلت أول سيدة فى عضوية مجلس النقابة فى نقابة الصحفيين ، وهذه السيدة هى الزميلة الأستاذة أمينة السعيد التى انتخبت عدة مرات وكيلة للنقابة .

نقد :

وإذا كانت نون (النقابة) تخص الصحفيين أنفسهم فهناك نون

أخرى تهم الرأى العام كله ، وهى نون (النقد) .. إن نصف العمل في الصحافة يقوم على النقد .. ولقد استطاعت الصحافة أن ترتفع بكلمة (نقد) إلى مستوى المواثيق القومية .. والدليل على هذا ما ورد فى الميثاق الوطنى الصادر فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ عن النقد البناء والنقد الذاتى باعتبارهما ضلعين من أضلاع حرية الصحافة .

ولشدة الصلة بين مفاهيم الصحافة ومفاهيم النقد نجد صعوبة كبيرة فى تحديد المعالم التاريخية لحركة (النقد) فى صحافتنا .. على أننى أعتقد أن أول نقد فنى قدمته الصحافة لقرائها يتمثل فى (حديث الأربعاء) الذى كان يكتبه أستاذنا الدكتور طه حسين فى الصفحة الأدبية بجريدة (السياسة) منذ أكثر من خمسين عاماً ثم أخرجه فى كتاب .. وطبيعى أن تكون الصحافة قد عرفت النقد قبل هذا التاريخ لصلته بطبيعة عملها .. لكن نقدات الأستاذ الدكتور طه حسين التى بدأت منذ ذلك التاريخ تعتبر فى نظرى القاعدة الفنية الأولى للنقد الفنى بمفهومه العلمى الحديث .

نيابة :

ولما كان النقد فى صحافتنا غير مقتصر على النقد الفنى .. بل أنه قد بدأ بالنقد السياسى فإن طبيعة الأشياء فى الماضى قد خلقت جهازاً مضاداً للنقد السياسى ، وكان هذا الجهاز يسمى (نيابة الصحافة) .

ذلك أن التحقيق مع الصحفيين فيما كانوا يكتبونه بين الثلاثينيات

والأربعينيات حينما تزايد حجمه رؤى أن يوكل هذا التحقيق ، مبدئياً ، إلى نيابة متخصصة فى قضايا الصحفيين .. ولست أذكر أول تحقيق أجرته هذه النيابة ، لكننى أذكر آخر تحقيق هام . لأنه كان معى .. وكان موعده قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بقليل .

كان موضوع هذا التحقيق خطبة نشرتها لأحد السياسيين تناول فيها بالشرح ما كانت للمعارضة قد تناولته فى عريضتها المقدمة إلى الملك السابق عن تدخل حاشيته فى شئون الحكم بغير وجه حق .

كانت التهمة من وجهة نظر النيابة واضحة لأن المادة التى نشرتها كانت فى عداد المواد الممنوعة من النشر .. وكان أمامى فى هذا التحقيق أحد أمرين إما أن أؤيد ما نشرته ، وهو ما لا سبيل إلى إنكاره — ومعنى هذا أننى أؤيد الاتهام .. وإما أن أمتنع عن الاجابة إلى أن يقضى الله أمراً ، وقد اخترت هذا الأمر .

وكان رئيس النيابة الذى يحقق معى المرحوم المستشار البيطاش رجلا لبقاً ذكياً .. فما أن لاحظ إصرارى على عدم الإجابة حتى صرف كاتب الجلسة وتظاهر بأنه قد قفل المحضر ، وأنه يريد أن يتناول معى فنجاناً من القهوة .. ثم أخذ يتحدث إلى حديثاً خاصاً يبدو خارج الموضوع وإن كان فى صميمه .. وفى هذا الحديث قلت له (وماذا ننشر نحن الآن أكثر مما قاله شيخ القضاة وعميدهم عبد العزيز فهمى (باشا)

فى خطابه حين كان رئيساً لحرب الأحرار الدستوريين فى سنة ١٩٢٣ وهو يهاجم تدخل الحاشية الملكية فى شئون الحكم ؟

.. وتنهد رئيس النيابة وهو يقول لى : ولماذا لم تقل هذه العبارة منذ البداية .. إننى لا أريد أكثر منها لإقفال المحضر .. وإنهاء التحقيق الذى انتهى فعلا بتسجيل هذه العبارة ..

حرف الهاء

هواية :

لا تكاد توجد مهنة فى الدنيا بأسرها لها طبيعة الهواية كمهنة الصحافة فما من صحفى إلا وقد بدأ صلته بالصحافة هاوياً .. ومن المعروف فى الأوساط الصحفية أن انتشار هذه الهواية يشكل نصف متاعب المحررين المسئولين ، فكل عشرة هواة ممن يرون فى أنفسهم كفاءة المحررين لا يكاد يوفق منهم أكثر من واحد فى الانضمام إلى (بلاط صاحبة الجلالة الصحافة) وهذه النتيجة هى التى تشكل الحملات المتتابعة التى يتلقاها المحررون المسئولون من الهواة ، وإن كانت هذه الحملات قد خفت منذ أصبحت الصحافة دراسة يتخرج فيها الشباب من الجامعة فضلا عن المتنفس الكبير للهواة الناشئين فى الصحافة المدرسية والجامعية .

لكن غير المعروف أن هذه الهواية تسبب لأصحابها كثيراً من المتاعب

أيضاً .. أليست الصحافة مهنة البحث عن المتاعب ؟ .. لقد جاءني أحد الهواة ذات يوم من أيام فبراير سنة ١٩٤٥ يقترح أن أجربه كنـاقد برلمانى .. وتحت تأثير احترامى لثقافته العالية وإلحاحه قبلت أن يقوم بهذه التجربة .. وذهب الشاب إلى جلسة مجلس النواب ، واستطاع أن يدخل المجلس بصحبة بعض أصدقائه من النواب .. ويشاء حظه أن يقتل فى هذه الليلة ، وداخل دار البرلمان رئيس الوزراء أحمد ماهر .. وأن يفتش المحققون عمن دخلوا هذه الدار بغير ترخيص . فإذا بهذا (الهاوى) فى مقدمتهم . وقبض عليه أربعة أيام تحت التحقيق واقتضى الإفراج عنه جهداً غير عادى إذ لم يكن هناك سبب يقبله القانون لدخوله المجلس بغير الترخيص .. وطلق هذا الصديق هذه الهواية طلاقاً بائناً لا رجعة فيه ..

حرف الواو

ورق :

إن الصحافة فى منابتها الأولية تعتبر طوراً من أطوار الوراقين .. صناعة الذين يقدمون إنتاجهم على صحائف من الورق .. إن اسم (الصحافة) ذاته له صلة لغوية تاريخية بكلمات صحفية وصحائف وصحف .. فالورق هو عصب الصحافة الذى لا يمكن أن تظهر أو تعيش بدونه .. إنه أشبه الأشياء بعجينة الخبز الذى يقدمه الخبازون كل يوم إلى الناس .. ولقد أصبح من أصول صناعة الصحافة أن إنشاء صحيفة يقتضى أولا إنشاء مخزن متجدد من الورق .

لكن هذا الورق قد أخذ فى الحرب العالمية الثانية سمة أخرى .. لقد أصبح من (الذخائر) التى تتولى البوارج الحربية نقلها لتزويد (سلاح القلم) الذى يشترك مع أسلحة الحرب الأخرى بهذه الذخائر الورقية .

وبالفعل أصبح الورق فى الحرب العالمية الثانية (ذخيرة) لا من الناحية الحربية فقط ، بل من الناحية الاقتصادية أيضاً .. فالصحف التى تحصل على ورق أكثر هى الصحف التى كانت تحصل على مكاسب أكثر .. يكفى للإشارة إلى هذه المكاسب أن طن الورق كان داخل التسعيرة بمبلغ خمسة وثلاثين جنيهاً ، وخارج التسعيرة بخمسمائه جنيه .. والفرق بين هذين الرقمين هو الذى يفسر لنا كيف أصبح بعض الصحفيين فى الماضى من أغنياء الحرب ..



ياءات الصحافة العشرة

.. وأخيراً وصلنا إلى حرف « الشماعة » أى الحرف الذى نستطيع أن تضع فوقه كل أخطائنا وكل ما سهونا عنه .. أنه حرف الياء الذى يمكن أن يبدأ به أى فعل مضارع لوصف أى مسمى من مسميات هذا الأرشيف .. ومع أن حرف الياء هو آخر حروف الأبجدية .. إلا أنه يتحدى ويتغنى لقول الشاعر :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل

إن ياءات الصحافة كثيرة جداً ، لكن أهمها هذه الياءات العشر : يحرق .. يختصر .. يشيل .. يطبخ .. يعلق .. يغطى .. يفبرك .. يفرقع .. ينافس .. يوضب .. وفى هذه الياءات العشر ياءات فنية وياءات ذات تاريخ .

الياءات الفنية :

أول ياء فنية فى دنيا الصحافة هى ياء كلمة « يحرق » .. بمعنى أن يسبق محرر زملاؤه فى الصحف الأخرى بنشر خبر ، فيقال أن هذا المحرر قد حرق الخبر على زملائه ..

والياء الثانية هى ياء « يختصر » وللاختصار فى المؤسسات الصحفية

محررون متخصصون يسميهم بعض الزملاء باسم « المقص » فالمحرر المختصر هو الذى يمسك مقصاً يقص به بعض فقرات أى مقال أو خبر حسب المساحة التى تحددها إدارة التحرير لهذا الموضوع .

والثالثة هى ياء « يشيل » وهى كلمة يختلف معناها العامى العادى عن معناها فى دور الصحف .. فيشيل فى العمل الصحفى تعنى أن الساعة إذا بلغت منتصف الليل فما على سكرتير التحرير إلا أن « يشيل » الصحائف المصبوبة أمامه ، أى يأمر بإدخالها المطبعة مهما كانت هناك أسباب للانتظار .. أن المواعيد فى العمل الصحفى شىء مقدس ..

والياء الرابعة ياء كلمة « يطبخ » والطبخ فى العمل الصحفى شىء مختلف عن مفهومه عند الناس .. إن الطبخ فى الصفحة يعنى تغيير معالم المادة الصحفية من أخبار إلى مواضيع على النحو الذى يراه القارىء ، وهو لا يدرى أن هذه المواضيع إنما جاءت طبخة يشترك فيها كل من يطبخون المادة الصحفية .

أما الخامسة فهى ياء « يغطى » ويغطى أيضاً لها معنى آخر فى الصحافة .. أنها تعنى أن المحرر يستجمع كل أركان الخبر أو الموضوع الصغير الذى أمامه كى يقدمه للقارىء عملا صحفياً متكاملا لا ينقصه شىء يسأل القارىء عنه ..

والياء السادسة هى ياء « يوضب » والتوضيب فى العمل الصحفى هو هذا التنسيق الذى تراه بين مواد الجريدة . إن المحرر الذى يوضب

الصفحات هو المهندس الصحفى الذى يقدم لك هذا البناء المتناسق فى الصحيفة التى تقرأها .

الياءات ذات التاريخ :

بقيت الياءات الأربع ذات القصص الطريفة فى تاريخ الصحافة ، وأولى هذه الياءات ياء « يفبرك » .. لقد كانت « الفبركة » فناً صحفياً مشهوراً فى جيل الصحافة الأسبق ، وقد اختفى هذا الفن فى جيلنا بعد ظهور آداب للمهنة والالتزام بها .. كانت الفبركة هى التى خلقت العبارة التى كانت مألوفة فى الماضى عبارة « دا كلام جرائد » .. ولعل أشهر قصص الفبركة الصحفية فى جيل الصحافة الأسبق قصة محرر المقطم الذى جاءه رئيس المطبعة ليقول له أن الصفحة الأخيرة ينقصها عامود كامل . . فجلس المحرر النشيط وألف من خياله قصة حريق هائل وقع بمدينة استانبول وأحدث كذا وكذا من الحوادث التى لا أصل لها .. ودفع المحرر بهذا الخبر « الخطير » إلى المطبعة ، لكن رئيس المطبعة وجد أن مادة الخبر تغطى ثلاثة أرباع العمود ، فلجأ إلى رئيس التحرير ، وقص عليه القصة كاملة فنادى رئيس التحرير المحرر كاتب الخبر المصنوع وقال له : أكتب تكذيباً لهذا الخبر فيما لا يزيد عن عشرة سطور لتكملة العامود !

وتأتى بعد ياء يفبرك ياء « يفرقع » وهى أيضاً من الاصطلاحات الصحفية القديمة .. واصطلاح « يفرقع » له ناحيتان : ناحية للموضوع الذى يكتبه الصحفى ليحدث به ضجة ثم يتبين أن هذه الضجة « زوبعة فى فنجان » .. وناحية فرقعة للمغنزيوم فى آلات التصوير القديمة .

كان مصورو الصحف القديمة لا يستطيعون ضبط الصورة إلا بواسطة النور المنبعث من لمبات المغنزيوم الملحقة بآلة التصوير .. وذات مرة كان أحد المصورين الصحفيين يلتقط صورة لمجلس وزراء جديد من مجالس الوزراء القديمة التى لم تكن على وفاق مع الشعب ، فما إن « فرقع » المغنزيوم حتى أغمى على رئيس مجلس الوزراء لأنه توهم أن ثوار زمان قد استطاعوا اقتحام مجلس الوزراء برصاصهم .. وكانت أفكوهة تفكهت بها الأوساط الصحفية والسياسية لعدة أيام .

وليراء كلمة « ينافس » قصة .. ففى سنة ١٩٤٥ كانت هناك صحيفتان قد اشتدت المنافسة بينهما . فإذا نشرت إحداهما خبراً أو موضوعاً لا يجده صاحب الصحيفة الأخرى فى جريدته إنهال ذماً على سكرتير التحرير .. وقرر سكرتير التحرير أن « ينافس » بطريقة لم تخطر ببال أى صحفى من قبل ولا من بعد ..

كان مسموحاً فى سنة ١٩٤٥ أن تجرى مراقبة الصحف فى دار الرقابة نفسها ، وكان هذا يتطلب أن يذهب مندوب خاص من الجريدة بصفحاتها قبل الطبع إلى دار الرقابة .. فاتفق سكرتير تحرير الجريدة المنافسة مع هذا المندوب على أنه فى طريق العودة يمر به فيلتقيان وراء نافذة تطل على طريق مظلم مسدود .. وفى دقائق يكون سكرتير التحرير قد اطلع على صفحات الجريدة المنافسة قبل طبع الجريدتين فيلتقط منها ما ينقصه من أخبار .

وظل هذا اللون القبيح من المنافسة غير المشروعة قائماً حتى صدرت لائحة بآداب المهنة فقضت على هذا اللون نهائياً .

بقيت الياء الأخيرة وهى ياء « يعلق » . . وأكثر التعليقات حساسية هى التى تكتب فور الساعة . . أحياناً تكتب هذه التعليقات عند الضرورة بينما تكون إجراءات الطبع قد بدأت . . وقد ارتفع منسوب هذه التعليقات ، وكانت غالبية هذه التعليقات على خطب السيد الرئيس التى يلقيها فى المناسبات القومية الهامة .

ذات مرة كان خطاب الرئيس أنور السادات سيبدأ بعد التاسعة مساء وينتهى قرابة منتصف الليل ، أى عند وقت بداية الطبع . . فكان على أن أستمع إلى الخطاب من المذياع . . وكلما وصل الخطاب إلى نقطه حساسة التقطت منها مادة التعليق — فما أن فرغ السيد الرئيس من إلقاء خطابه حتى كان التعليق ينتقل من يدى إلى أيدى عمال المطبعة . .

يوميات :

هذه المصطلحات الفنية التى تتصل بحرف الياء من أرشيف مهنة الصحافة ينقصها مصطلح هام .. المصطلح الذى نسميه « اليوميات » .

فاليوميات فى الصحف هى مقال الصفحة الأخيرة . . كانت الصفحة الأخيرة فى جيل الصحافة الأسبق إما أن تكون صفحة قصة ، وإما أن تكون صفحة « شذرات » وهى مجموعة كبيرة من الأخبار الطريفة التى لا تجد لها مكاناً بين الأخبار « المحلية » ذات الطابع السياسى .

ومع هذا فإن باب اليوميات ليس جديداً كما قد يظن بعض الزملاء أو القراء المحدثين . . الجديد فيه هو الأسلوب فقط . . فقد كان

حافظ عوض صاحب جريدة « كوكب الشرق » يكتب يوميات جريدته في العشرينيات والثلاثينيات تحت عنوان « حديث المجالس » .. وكان توفيق حبيب المحرر بالأهرام يكتب يومياته في الثلاثينيات تحت عنوان « الهامش » فقد كانت هذه اليوميات تحتل هامش الصفحة الوسط إلى اليسار .. ولعل أول من كتب اليوميات بأسلوبها الحديث الذي نعرفها به الآن هو الصحفي الكبير الراحل توفيق دياب ، فقد كان يكتب مقالاته ابتداء من سنة ١٩٢٦ على صفحات « السياسة الأسبوعية » بأسلوب اليوميات الذي نعرفه الآن . . وكانت أولى هذه المقالات مقالة بعنوان « حر وتراب وطرابيش » وقد تناول في هذا المقال . . هذا المقال القديم مشكلة لبس الطرابيش في فصل الصيف إلى جانب معالجة طريفة لمشكلة النظافة في القاهرة .

يمين ويسار :

وفي خاتمة أبجدية هذا الأرشيف الصحفي لا بد أن أسجل ظاهرة وثيقة الصلة بحرف الياء . . ظاهرة تقسيم الفكر الصحفي إلى «يمين» وإلى « يسار » . . أن هـذه الظاهرة لم تظهر بوضوح إلا خلال الحرب العالمية الثانية .. وبالذات بعد اشتراك الإتحاد السوفيتي فيها . . على وجه التقريب في سنة ١٩٤٣ .

كان الكتاب الصحفيون قبل هذا التاريخ على الأغلب كتاب « يمين » إلا أن تطور الأحداث العالمية قد خلق أفكاراً جديدة شابة تبناها بعض أعلام الصحافة الجدد .. وكانت هذه الأفكار بطبيعة تطور هذه الأحداث أفكاراً إلى « اليسار » .

وكان أول من تصدى لنشر هذه الأفكار من خلال الظروف السياسية التى كانت تمر بها البلاد ثلاثة زملاء هم : المرحوم الدكتور عزيز فهمى الذى يرجح الكثيرون أنه مات فعلا بتدبير من القصر الملكى .. والمرحوم الدكتور محمد مندور الذى عاش حتى شهد فجر الثورة ومسارها فى الخمسينات وشارك فى المفاهيم الفكرية الجديدة إلى أن توفى منذ سنوات .. والدكتور رياض شمس المحامى الذى اشتغل بالصحافة الوفدية فى الماضى ليبث فيها جانباً من الفكر اليسارى الحديث ، وما زال الاضطهاد يلاحقه حتى ترك الصحافة إلى مهنته الأصلية بين المحامين . .



الباب الثالث

المذاهب الصحفية في مصر

المذاهب الصحفية في مصر

سأحاول فى هذه الحلقة من الأرشيف محاولة قد تكون محاولة جريئة من الناحية العلمية . . سأحاول أرشفه تاريخ الصحافة المصرية ذاته فى فصل واحد ، وقد تكون هذه المحاولة تجنياً على (العالم) لكنها أفضل من التجنى على (المعرفة) فللعلم بحوثه المستفيضة ، وللمعرفة خلاصاتها الخاطفة التى تتمشى مع طبيعة العصر ذلك أننا كلما تحدثنا عن نهضة الصحافة المصرية ذهب الحديث ، أو ذهب التفكير فيه إلى ثورة سنة ١٩١٩ أو إلى مقدماتها ونتائجها فحسب ، وهذا ظلم أعتقد أن الأرشيفات الصحفية مسئولة عن إصلاحه . . وقد تكون أرشفة تاريخ الصحافة موضع اهتمام الصحفيين فقط . . لكن التقسيم الجديد الذى سأرد هذا التاريخ إليه يحمل أبعاداً أخرى قد تهم الناس جميعاً . . أننى أقسم منابت تاريخ الصحافة المصرية إلى ثمانية أبواب على النحو الآتى :

الباب الأول

صحف محمد على :

كان محمد على يعتمد فى دعم سلطانه أحياناً ، وطغيانه أحياناً على مفهوم من مفاهيم السيطرة الإعلامية ، فلم يكن مباحاً فى عهده لغير (الوالى) أى لغيره شخصياً أن يصدر صحفاً . . وكانت صحف محمد على مجرد نشرات تحمل أوامره ونواهيه لعماله وأركان حربه فى كل ناحية

دون أن تكون للشعب أية صلة بهذه النشرات وفى ظل هذا المعنى أنشأ محمد على الصحف — أو على الأصح النشرات الآتية : —

١ — جورنال الخديوى :

وقد ظهر هذا (الجورنال) سنة ١٨١٣ ولما كانت الطباعة لم تظهر بالقدر الكافى عند ظهور هذه النشرة فقد ظلت تكتب — على الكربون أو ما أشبه — بخط اليد إلى سنة ١٨٢١ حيث بدأت تطبع بمطبعة القلعة الجديدة ، وكانت لغة هذه النشرة فى البداية هى اللغة التركية التى كانت سائدة على عصر محمد على فى مصر الرسمية .

٢ — الوقائع المصرية :

وقد تطور (جورنال الخديوى) فى سنة ١٨٢٢ إلى جريدة (الوقائع المصرية) وكان هذا التطور أثراً من آثار الطباعة العربية الحديثة بالنسبة لما كان ، ولهذا كانت الوقائع هى أول جريدة رسمية تظهر باللغة العربية إلى جانب ما كان ينشر فيها أصلا باللغة التركية من قبل .

٣ — وقائع كريدية :

وهى جريدة ، أو نشرة تركية أصدرها محمد على فى جزيرة كريت لدعم سلطانه على هذه الجزيرة وإن كانت لم تعش ، كما لم يعش سلطانه فيها إلا قليلا .

٤ — الجريدة العسكرية :

أصدرها محمد على سنة ١٨٣٣ لتحمل ما يصدره من (فرامانات) تركية وتعليمات إلى المرتزقة من ضباطه وجنوده الذين بنى على أكتافهم ، أو على الأصح على أكتاف الجيش المصرى ، ما بناه .

٥ — لامنتيو أجيبسيان :

لقد أنشأ محمد على هذه الجريدة باللغة الفرنسية فى مدينة اسكندرية حيث كانت تقيم غالبية الجاليات الأجنبية ، للرد على جريدة (لامنتيو أوتومان) التى صدرت بمدينة اسكندرية أيضاً لحساب السلطان العثمانى . . وذلك فى سنة ١٨٣٣ . . وهاتان الصحيفتان كانتا تحملان معنى الصراع الذى كان قائماً حول النفوذ بين السلطان العثمانى وبين الوالى محمد على .

الباب الثانى

صحف عرابى :

عرف عرابى طريق الصحافة فى ثورته . . ومع أنه لم ينشىء صحفاً إلا أن ثورته كانت تحتضن الصحف الآتية :

١ — مجلة التنكيت والتبكيت :

وقد أصدرها عبد الله النديم سنة ١٨٨١ مع مقدمات الثورة . . وكان يعتمد فى حملته الدعائية بها على النكتة والنقد اللاذع لأعداء الشعب .

٢ ــ مجلة المفيد :

وقد أصدرها فى نفس الوقت حسن الشيمى . . وكانت تعتمد على الأسلوب الجاد الرصين .

٣ ــ مجلة الطائف :

وقد أصدرها عبد الله النديم بمشورة عرابى عندما اشتد لهيب الثورة سنة ١٨٨٢ فقد أشار عرابى على داعيته الأول عبد الله النديم أن ينشئ صحيفة تجمع أسلوبى الصحيفتين السابقتين لتقف وراء القــوات المحاربة .

الباب الثالث

صحف الأفغانى :

حينما قدم جمال الدين الأفغانى بدعوته إلى مصر سنة ١٨٧١ شجع عدداً من حملة الأقلام الوافدين على مصر لإخراج عدد من الصحف التى تدعو له ولأفـكاره ولعله مما يعـكس ناحية من هذه الأفـكار أن مخرجى هذه الصحف لم يكونوا كلهم مصريين ولا مسلمين أول الأمر مما يدل على أبعاد الآفاق التى كان يتجه إليها السيد جمال الدين .

وهذه الصحف هى :

١ — جريدة (مصر) :

وقد أنشأها أديب أسحق سنة ١٨٧٧ وقد اشترك سليم النقاش مع أديب أسحق فى حركته الصحفية من بعد . .

٢ — جريدة أبو نظارة :

التى أصدرها يعقوب بن صنوع سنة ١٨٧٧ .

٣ — جريدة (مرآة الشرق) :

التى أصدرها سليم عنجورى سنة ١٨٧٩ ووكل تحريرها إلى الكاتب المصرى المسلم إبراهيم اللقانى .

وكانت هذه الصحف الثلاث تلتقى عند نقطة هامة ، وهى الحملة على الحاكم المصرى أو المتمصر بمعنى آخر .

وكان بعضها يحتمى فى حملته بتأييد سياسة السلطان العثمانى . . وقد يكون فى مقدمة معالمها أنها كانت إمتداداً لحركة جمال الدين الأفغانى بعد نفيه عن مصر .

الباب الرابع

صحف عربية فى الخارج :

بعد خروج جمال الدين الأفغانى من مصر أخذ يقود حركة إعلامية شرقية فى الخارج ، وقد تمثلت هذه الحركة منه ومن غيره فى :

١ — جريدة (مصر القاهرة) :

التى أنشاها أديب إسحق لحساب الأفغانى فى باريس سنة ١٨٨٠.

٢ — جريدة (العروة الوثقى) :

التى أنشأها فى باريس جمال الدين الأفغانى نفسه سنة ١٨٨٤ بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده الذى نفى هو الآخر عن مصر عقب الاحتلال البريطانى .

٣ — جريدة (منبر الشرق) :

التى أصدرها الشيخ على الغاياتى فى لوزان بعد قيام ثورة ١٩١٩ فى مصر لتكون لسان حال المجاهدين الشرقيين فى الخارج . . وكانت هذه الصحف كلها تصدر باللغة العربية .

الباب الخامس

صحف الثقافة :

كانت الثقافة تسير جنباً إلى جنب مع السياسة فى تاريخ صحافتنا . . وعلى هذه السيرة ظهرت صحف ثقافية متعددة الألوان فى بواكير هذا التاريخ وفى مقدمتها المجلات الآتية :

١ — مجلة (يعسوب الطب) :

وظاهر من اسمها أنها كانت مجلة متخصصة فى الطب . . وهى ظاهرة تستحق التسجيل أن تكون أول « مجلة » عربية تظهر فى الوجود مجلة متخصصة وقد أصدرها فى سنة ١٨٦٥ الدكتور محمد على « باشا » وقد اشتركت بعض الحكيمات فى تحريرها .

٢ — نزهة الأفكار :

وتعتبر هذه المجلة أول صحيفة مصرية حملت لواء الثورة الفكرية فى جذورها الأولى ، وقد أصدرها للفكران الرائدان إبراهيم المويلحى وعثمان جلال سنة ١٨٦٩ ، ولهذا لم — يحتمل الحكام الطغاة بقاءها أكثر من شهرين .

٣ — روضة المدارس :

التى أصدرها المعلم الأول رفاعة الطهطاوى سنة ١٨٧٠ فى أواخر حياته فكانت أول صحيفة من نوعها . . صحيفة مدرسية . . ولهذا فقد اقترحت على وزارة التربية والتعليم أن تحتفل فى سنة ١٩٧٠ بالعيد المئوى للصحافة المدرسية بمناسبة مرور مائة سنة على ظهور مجلة روضة المدارس . . وقد نفذ هذا الاقتراح .

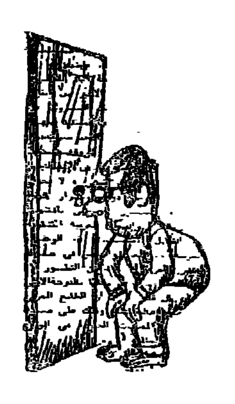
٤ — مجلة المقتطف :

وقد أصدرها الدكتور يعقوب صروف فى بيروت سنة ١٨٧٦

ثم انتقل بها إلى القاهرة سنة ١٨٨٥ . . وكانت متخصصة فى البحوث العلميــة .

٥ ـ مجلة الهلال :

وقد أنشأها جورجي زيدان فى القاهــرة سنة ١٨٩٢ . . وكانت متخصصة فى البحوث الأدبية والتاريخين العربى والإسلامى .



الباب السادس

بينما كانت أستار الحجاب معدلة على وجه المرأة المصرية تخفى جمالها البدنى كانت هناك ثورة فكرية بيضاء ترفع هذا الحجاب عن روح هذه المرأة . . وكان الفضل فى هذه الثورة لثلاث سيدات دخلن ميدان الصحافة مبكرات : الأولى هى السيدة هند نوفل التى أنشأت مجلة (الفتاة) بالاسكندرية سنة ١٨٩٢ والثانية هى السيدة السكندرا افرينو التى أنشأت مجلة (أنيس الجليس) بالاسكندرية أيضاً سنة ١٨٩٨ . . والثالثة هى السيدة لبيبة هاشم التى أنشأت مجلة (فتاة الشرق) بالقاهرة سنة ١٩٠٦ . . أن هؤلاء الثلاث قد أرسين قواعد الصحافة العربية النسائية فى مصر فسبقن بنهضتهن الصحفية جميع النهضات النسائية الأخرى ، وقد كتبن بهذه النهضة فصلا جديدا فى تاريخنا الصحفى هو الفصل السادس فى هذا الأرشيف .

الباب السابع

أما الباب السابع فى تاريخنا الصحفى فهو باب الصحف السياسية المستقلة التى بدأ ظهورها بظهور فكرة الحياة النيابية فى سنة ١٨٦٦

يومئذ بدأ يتوالى ظهور الصحف السياسية التى يملكها الأفراد على النحو التالى :

١ — جريدة (وادى النيل) التى اقترن التصريح بإصدرها مع قيام مجلس شورى القوانين فى سنة ١٨٦٦ وإن كانت لم تتمكن من الظهور إلا فى يوليو سنة ١٨٦٧ .. وقد أنشأها عبـد الله أبو السعود بمدينة اسكندرية .

٢ — جريدة (الأهرام) التى أصدرها باسكندرية فى سنة ١٨٧٥ الإخوان سليم وبشارة تقلا . . كانت أسبوعية ثم تحولت إلى جريدة يومية وكانت سكندرية ثم تحولت إلى قاهرية فى أوائل القرن العشرين .

٣ — جريدة (الوطن) التى أصدرها ميخائيل عبد السيد بالقاهرة سـنة ١٨٧٧ .. بدأت قبطية السمات ، ثم أخذت الطابع القومى الـكامل .

٤ — جريده (المقطم) التى أنشأها بالقاهرة سنة ١٨٨٨ المدرسون اللبنانيون الدكاترة الثلاثة فارس نمر ، ويعقوب صروف ، وشاهين مكاريوس ، وكانت ميولها انجليزية صريحة ، ثم عدلت عن هـذه الصراحة بعد قيام ثورة سنة ١٩١٩ .

الباب الثامن

صحف الأحزاب

لقد ظهرت الأحزاب المصرية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من داخل الصحف على النحو التالى :

١ — جريدة (المؤيد) التى أنشأها الشيخ على يوسف بالقاهرة سنة ١٨٨٩ وانبثق عنها حزب « الاصلاح على المبادىء الدستورية » .

٢ — جريدة (اللواء) التى أنشأها مصطفى كامل بالقاهرة سنة ١٩٠٠ وانبثق عنها الحزب الوطنى .

٣ — جريدة (الجريدة) التى أنشأها لطفى السيد بالقاهرة سنة ١٩٠٧ ـ وانبثق عنها حزب الأمة .

بعد سنة ١٩١٩

تغيرت الصورة بعد قيام ثورة سنة ١٩١٩ فبعد أن كانت الأحزاب تنبثق من الصحف أصبحت الصحف تصدر عن الأحزاب ـ وفيما يلى تسجيل سريع لهذا التطور .

سنة ١٩٢٠

لقد بدأت جريدة (الأهالى) لصاحبها عبد القادر حمزة هذا التطور فى سنة ١٩٢٠ . . كانت (الأهالى) تصدر باسكندرية منذ

سنة ١٩١٠ كإحدى الصحف المستقلة ، لكن اللقاء بين عبد القادر حمزة و بين زعيم الثورة سعد زغلول قد تحولت بها إلى لسان من ألسنة حزبه و أن ظل محتفظاً باستقلاله فى الرأى .. إن موقف عبد القادر حمزه يشبه فى نفس الوقت موقف أمين الرافعى . . ففى سنة ١٩٢١ أصدر أمين الرافعى جريدة (الأخبار) وأمين الرافعى كان قطبا من أقطاب الحزب الوطنى لكنه آثر أن يكون فى صحيفته مستقل الرأى وأن بدت نزعات الحزب الوطنى واضحة المعالم على سياسة صحيفته .

سنة ١٩٢١

وإزاء موقف أمين الرافعى أصدر الحزب الوطنى فى سنة ١٩٢١ جريدة (اللواء الجديد) ووكل تحريرها إلى أحمد وفيق .. وفى سنة ١٩٢١ ظهرت مجلة (الكشكول) ـ لصاحبها سليمان فوزى وهى أول مجلة تعتمد فى المعارك الصحفية على رسوم الكاريكاتير .. لقد كان وراء هذه المجلة السياسى الداهية إسماعيل صدقى الذى كان قد انشق على سعد زغلول . . وهناك شائعة تقول إن هذه المجلة كانت تصدر لحساب حزب الأحرار الدستوريين . وهو خطأ تاريخى ، فحزب الأحرار الدستوريين لم يظهر إلا فى أخريات سنة ١٩٢٢ ، وكل ما هنالك أن رابطة قوية كانت تربط بين إسماعيل صدقى وبين عدلى يكن أول تولى من رياسة حزب الدستوريين فكان انتماء صدقى (باشا) ممول مجلة الكشكول إلى الأحرار الدستوريين مجرد إنتماء إلى شخص عدلى يكن الذى لم تدم رياسته لهذا الحزب إلا شهوراً .

سنة ١٩٢٢ :

أما الجريدة (الرسمية) لحزب الأحرار الدستوريين ، وهى جريدة (السياسة) فقد ظهرت مع الحزب فى آخر أكتوبر سنة ١٩٢٢ وقد أسندت رياسة تحريرها إلى الدكتور محمد حسين هيكل أستاذ القانون الدستورى فى الجامعة المصرية القديمة .

وكانت جريدة (السياسة) أول جريدة تقوم على نظام الشركات فقد كانت شركة يرأس مجلس إدارتها مدحت يكن (باشا) رئيس مجلس إدارة بنك مصر ، ويتولى شئونها الإدارية الدكتور سيد كامل أحد مديرى البنك .

سنة ١٩٢٣ :

نستطيع أن نسمى سنة ١٩٢٣ سنة التصفية فى الأساليب التى خلقتها ثورة سنة ١٩١٩ . . وكانت هذه التصفية نتيجة لصدور الدستور فى ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ وتحول المعارك الصحفية من الشئون الخارجية البحتة إلى الشئون الداخلية التى خلقتها المعارك الانتخابية .

فى هذا الجو حلت جريدة (البلاغ) محل جريدة (الأهالى) لصاحبهما عبد القادر حمزة . . وكانت جريدة (البلاغ) بحكمة هذا الصحفى العظيم أقدر الصحف الحزبية ، أو التى كانت حزبية ، على البقاء . . لقد امتد بقاؤها من جيل ثورة سنة ١٩١٩ إلى جيل ثورة سنة ١٩٥٢ .

سنة ١٩٢٤ :

إن النجاح الذى حققته جريدة (البلاغ) فى تاريخ الصحافة المسائية قد أغرى أحمد حافظ عوض بأن يصدر صحيفةمسائية أخرى هى جريدة (كوكب الشرق) التى ظهرت فى سنة ١٩٢٣ مع تولى سعد زغلول الحكم . . وقد أضافت (كوكب الشرق) إلى حركة الإعلام الوفدية عنصراجديدا .

سنة ١٩٢٥ :

وفى هذه السنة ، سنة ١٩٢٥ حاولت بعض القوى المعارضة للوفد التى ظهرت ثم اختفت ثم عادت من سنة ١٩٢٢ إلى نهاية سنة ١٩٢٧ أن تقوم بحركة إعلامية جديدة ، فأنشأ هذا البعض جريدة (الاتحاد) ووكل رئاسة تحريرها إلى طه حسين للافادة بجاذبيته عند القراء . . لكن إدراك الشعب لمن كانوا وراء هذه الجريدة ، وهم رجال القصر الملكى قد جعل هذه الجريدة تموت بالسكتة منذ نشأتها وخاصة بعد أن انصرف عنها كبار الكتاب كطه حسين والمازنى .

لكن هذه السنة سنة ١٩٢٥ ، كانت ميلادا جديدا للون جديد فى الصحافة الأسبوعية بظهور مجلة (روز اليوسف) . . كانت (روز اليوسف) أول نشأتها مجلة أدبية فى خدمة المسرح ، لكن قوة الإعلام الوفدية قد احتوتها وجعلت منها المجلة السياسية الكاريكاتورية التى تنافس مجلة الكشكول . . وقد أثبتت هذه المجلة جدارتها بدليل بقائها حتى الآن .

سنة ١٩٢٦ :

وإذا قلنا أن سنة ١٩٢٥ كانت بداية الانطلاقة الجديدة فى الصحافة الأسبوعية — فإن هذه الانطلاقة قد بلغت قمتها فى سنة ١٩٢٦ بظهور جريدة (السياسة الأسبوعية) وقد أغرى نجاح (السياسة الأسبوعية) عبد القادر حمزه بإصدار (البلاغ الأسبوعى) فى نفس السنة .

إن تاريخ الصحافة الحزبية ملىء بالأسرار ، وسأحاول كشف بعض هذه الأسرار فى الحلقة القادمة .



أسرار الصحافة الحزبية

رأينا فى الحلقة السابقة أن الصحف الحزبية فى العشرينيات قد بلغت عشراً ، ست صحف يومية ، وأربع صحف أسبوعية ، وأن هذه الصحف العشرة قد أدخلت على تاريخ الصحافة المصرية مفاهيم غير حزبية .. مفاهيم يتصل بعضها بالعروبة وبعضها بالثقافة العامة .

وقبل أن ننتقل إلى الثلاثينيات وما بعدها ينبغى أن نذكر أن هذه الحلقة من الزمن كانت بداية مرحلة خطيرة فى تاريخ الصحافة ، مرحلة الإخصاب الصحفى غير المنتظم . فإن قيام الأحزاب وتعددها فى هذه المرحلة قد شجع عشرات ، وربما مئات ، ممن اتخذوا الصحافة حرفة لهم ، بكفاءة أو بغير كفاءة ، أن يستصدروا تصريحات بإصدار مجلات أو جرائد لحسابهم . والواقع أن حسابهم هذا لم يكن مستقلا ، فقد كانت هذه الصحف « الفردية » بمثابة « البديل » للصحف الحزبية المعروفة فى حالة مصادرتها ، فما تكاد صحيفة منها تصادر فى المساء حتى تصدر فى الصباح بكامل مواصفاتها لكن تحت أسماء أخرى ، من أسماء الصحف المجهولة التى كان يعدها أصحابها للإيجار ..

سنة ١٩٣١ :

وعلى أية حال فقد توقف سيل إصدار الصحف حوالى خمس

سنوات فيما بين سنتى ١٩٢٦ و ١٩٣١ ، ويرجع السبب الأكبر لهذا التوقف إلى أن الحكومة قد أخذت فيما بين سنتى ١٩٢٨ و ١٩٣٠ فى مقاومة هذه (السوق الحرة) لاستصدار الصحف ، وذلك بمراجعة جميع التراخيص الممنوحة للأفراد العاديين بإصدار صحف وإلغاء الكثير منها ممن لم ينتظم صدورها . وكان قانون المطبوعات ، لا يزال ، يحدد مدة ستة أشهر لظهور الصحيفة بانتظام أو يسقط التصريح بصدورها .

وإزاء هذه المقاومة الحكومية ظهرت مقاومة حزبية بإصدار صحف قوية مساندة للصحافة الحزبية وكان نصيب سنة ١٩٣١ من هذه الحركة صحيفتين يوميتين شهيرتين .

الأولى : هى جريدة (الجهاد) التى أصدرها محمد توفيق دياب على المبادىء الوفدية . . والثانية هى جريدة (الشعب) التى أصدرها رئيس الوزراء سنة ١٩٣١ ، وهو إسماعيل صدقى باشا ، واختار لها اسم صحيفة ملغاة من صحف الحزب الوطنى التى كانت تصدر من قبل فى سنة ١٩١٣ ثم جرفتها الأحداث فى الحرب العالمية الأولى .

وإذا كانت جريدة (الشعب) الصدقية لا تستوقف النظر من الناحيتين التاريخية والفنية أكثر من أنها كانت صحيفة من صحف المناسبات السياسية العابرة — فإن جريدة (الجهاد) تعتبر شيئاً آخر ..

إن جريدة (الجهاد) تعتبر من الصحف الثورية . . يكفى فى

التدليل على هذا المعنى أسلوبها الدافق الذى كانت تعالج به أحداث سنة ١٩٣٥ ومن هذا الأسلوب أنها كانت تنشر أسماء الطلبة الذين تقع عليهم اعتداءات السلطات إسماً إسماً ، وكان من هذه الأسماء إسم الطالب جمال عبد الناصر الذى صار زعيما ابتداء من سنة ١٩٥٢ .

وجريدة (الجهاد) هى أول صحيفة أدخلت الألوان كجزء يومى من جزئيات الإخراج الصحفى . وأول جريدة جعلت شعارها بيتاً من الشعر . .

لقد كان شعار جريدة (البلاغ) كلمة من كلمات سعد زغلول هى (الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة) أما شعار (الجهاد) فكان قول شوقى :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهداً

إن الحياة عقيدة وجهاد

سنة ١٩٣٤ :

وفى سنة ١٩٣٤ ظهر أسلوب جديد فى الصحافة الحزبية الأسبوعية بظهور مجلة (آخر ساعة) لصاحبها محمد التابعى .. كان التابعى إلى ذلك الوقت المحرر الأول لمجلة روز اليوسف .. وقد لاحظ فى ذلك الوقت أن السيدة روز اليوسف صاحبة هذه المجلة بدأت تتحرر من النزعة الحزبية ، فأنشأ مجلة (آخر ساعة) ليستقل عن سياسة روز اليوسف ، وليعلن أن مجلة (آخر ساعة) مجلة (مستقلة) لكن هذا الاستقلال كان أسلوباً جديداً ماهراً فى تأييد حزب الوفد . .

سنة ١٩٣٥ :

وقامت السيدة روز اليوسف بحركة جزئية فى هذا الموقف ، فأنشأت فى سنة ١٩٣٥ جريدة (روز اليوسف اليومية) وهى أول وآخر جريدة يعقد حزب الأغلبية ، حزب الوفد ، اجتماعاً طارئاً وبكامل هيئته ، ليقرر أنها لا تنطق باسمه ..

سنة ١٩٣٦ :

ولقد تفشى فى سنة ١٩٣٦ أسلوبان من الأساليب الصحفية .. أسلوب التابعى فى أن تكون هناك صحافة وفدية (مستقلة) . وذلك بظهور جريدة (المصرى) اليومية التى اشترك التابعى نفسه فى تأسيسها مع صاحبها محمود أبو الفتح .. وأسلوب جريدة (السياسة) بأن تستند الجريدة إلى شركة .. ففى سنة ١٩٣٦ تحولت جريدة (الأهرام) نفسها إلى شركة ، ومع أن هذه الشركة قد تألفت من أسرة تقلا ومن إليها فقط — إلا أنها كانت حركة ظاهرة من حركات المقاومة لانتشار الصحافة الحزبية .

كانت (الأهرام) لا تهتز لوجود صحيفة صباحية منافسة ، لكن حينما تكاثرت هذه الصحف .. هذه الصحف الوفدية .. فكر تقلا (باشا) صاحب الأهرام فى أن يقاومها بنفس السلاح الحزبى ، فعرض على الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير (السياسة) بعد توقفها أن يعيد إصدارها على حساب (الأهرام) لتقف فى مواجهة الصحف

الأخرى ، لكن هيكل رفض هذا العرض ، فلم يكن أمام تقلا إلا أن ينشىء شركة تمسك بزمام التوزيع فى الأسواق .

سنة ١٩٣٧ :

ويبدو أن زحف الفكرة الصحفية فكرة ظهور صحف حزب الغالبية حزب الوفد ، وهى مستقلة — لم تعجب القياده الوفدية فى كل الأحوال ، فكلف الحزب فى سنة ١٩٣٧ أحد رجاله بإصدار جريدة وفدية لحماً ودماً لتقف على الأقل فى مواجهة جريدة (البلاغ) التى تحولت فى هذه السنة إلى المعارضة وكانت هذه الجريدة الجديدة هى جريدة (الوفد المصرى) .

سنة ١٩٣٨ :

لكن جريدة (البلاغ) التى كانت فى سنة ١٩٣٨ قد تحولت إلى معارضة الوفد لم يوافق صاحبها عبد القادر حمزة على أن تكون لساناً للمعارضين .. ومن هذا الموقف نبتت الفكرة عند الصحفى محمد خالد الذى كان من كبار محررى (الأهرام) يومئذ أن يصدر جريدة جديدة تنطق بلسان (الهيئة السعدية) التى انشقت على الوفد .. واختار لها اسم جريدة (الدستور) .. ومع أن خالداً قد أخلص للحزب السعدى الجديد .. ومع أن الحزب كان دائم الصلة والرعاية لهذه الجريدة إلا أنه لم يعطها صفة اللسان (الرسمى) له على عكس ما كان يظن الكثيرون .

وفى سنة ١٩٣٨ ظهرت أيضاً جريدة جديدة أخرى ، هي جريدة (مصر الفتاة) لسان حزب الشباب الذى كان يحمل هذا الإسم . إلا أن هذه الجريدة كانت حلقة من سلسلة صحف الحزب التى كانت تنصب عليها مطاردة السلطات فتختفى واحده لتظهر غيرها ، وهى بترتيبهـا الزمنى : الصرخة .. الضياء .. الثغر .. مصر الفتاة .. الاشتراكية .

سنة ١٩٤٤ :

وجاءت الحرب العالمية الثانية بكل ظروفها التى أوقفت سيل إصدار صحف جديدة .. لكن ما كادت سحب الحرب تنحصر فى أخريات سنة ١٩٤٤ حتى عادت الأحزاب إلى نشاطها الصحفى ، فأعاد حزب الأحرار الدستوريين إصدار جريدة السياسة اليومية .. وأصدر مكرم عبيد (باشا) رئيس حزب الكتلة المنشق على الوفد جريدة جديدة باسم (الكتلة) . وأخذ حزب الهيئة السعدية يستعد لإصدار جريدة (الأساس) التى ظهرت بعد عامين .

وكانت الظاهرة الجديدة فى هذه الصحف على اختلاف نزعاتها الحزبية أن رياسات تحريرها قد وكلت إلى الشباب .. فرياسة تحرير (السياسة) قد وكلت إلى ، ورياسة تحرير (الكتلة) قد وكلت إلى الزميلين : جلال الحمامصى والمرحوم قاسم جودة ، ورياسة تحرير

(الأساس) قد وكلت إلى الدكتور على الرجال ، وكان رؤساء التحرير هؤلاء جميعاً دون حدود الثلاثين من العمر .

وفى هذا الاتجاه إلى تجديد شباب الصحافة الحزبية — ظهرت صحيفة حزبية من لون يختلف عن هذه الصحف جميعاً ، لون ثورى جديد تمثل فى جريدة (اللواء الجديدة) التى أصدرها السياسى الشاب إذ ذاك فتحى رضوان بوصفه رئيس الحزب الوطنى (الجديد) الذى استقل به الشباب عن الشيوخ .

سنة ١٩٤٦ :

وفى سنة ١٩٤٦ كانت المعارك الحزبية قد بلغت الأعماق . . وفى هذه الأعماق اختفت جريدة (الوفد المصرى) التى ظهرت فى سنة ١٩٣٧ وحلت محلها جريدة يومية بديلة عنها هى جريده (صوت الأمة) ولم تختلف هذه عن تلك إلا فى الإسم فقط . . وعلى سياسة تجديد شباب الصحافة الحزبية وكلت رياسة تحرير هذه الجريدة إلى الزميل المرحوم الدكتور محمد مندور صاحب سياسة (الطليعة) بين شباب حزب الأغلبية الوفدى . .

وفى تلك السنة ظهرت الجريدة اليومية للأخوان المسلمين .

من هذا العرض السريع للصحافة الحزبية نجد أمامنا ترمومتراً دقيقا لحركات الإعلام الحزبية فى الثلاثين سنة التى تقع بين سنة

١٩٢٠ وسنة ١٩٥٠ .. فقد بلغت صحف الوفد عشراً ثلاث منها صحف أسبوعية ، و بلغت صحف مصر الفتاة المتتابعة خمساً كلها صحف أسبوعية. وهى الصحف التى كان يصدرها أحمد حسين . و بلغت صحف الحزب الوطنى ثلاثاً إحداها أسبوعية ، و بلغت صحف السعديين اثنتين إحداها رسمية والأخرى مناصرة . والباقى للتشكيلات الحزبية الأخرى : ومجموعها خمس وعشرين صحيفة فى ربع قرن . .



جماعات المصاحفين

المصاحفون ، ومفردها مصاحف ، بضم الميم ، هم أنسباء أسرة الصحافة وأصهارها . . هم المنضمون إلى أسرة الصحافة من غير الصحفيين . . هم المخالطون للصحفيين من أصحاب المهن الأخرى . . هم ذوو الاهتمامات الصحفية دون احتراف للصحافة . . إن الذى ابتكر كلمة (مصاحف) هو أستاذ الصحافة محمود عزمى حينما تولى إدارة معهد الصحافة العالى الذى سبق إنشاء قسم الصحافة بجامعة القاهرة وهو المعهد الذى اقترح مشروعه الدكتور كمال الدين جلال . . وقد استخدم هذه الكلمة أستاذ الصحافة المرحوم الدكتور عبد اللطيف حمزة فى وصف أصدقاء الصحافة ، واستخدمها زميلنا أنور الجندى للتعبير فى كتبه عن الشخصيات التى كانت لأصحابها مكانات فى الصحف . .

رباعيات الملتزمين :

سأبدأ بمن كانت لمصاحفتهم طابع شبه رسمى ، وقد ظهر هذا الطابع بظهور الأحزاب عقب ثورة سنة ١٩١٩ واختيار كل حزب مصاحفا للتوجيه الحزبى فى جريدته وأبرز أولئك المصاحفين ، أربعة وهم :

١ — الدكتور حافظ عفيفي :

الذي اختاره حزب الأحرار الدستوريين موجهـا في جريدة (السياسة) عند إنشائها في نهاية أكتوبر سنة ١٩٢٢ . . وكانت طريقة حافظ عفيفي لا تعدو أكثر من تناول فنجان قهوة كل مساء بمكتب رئيس التحرير الدكتور هيكل ، وحول فنجان القهوة تناقش سياسة اليوم .

٢ — الدكتور أحمد ماهر :

الذي اختاره حزب الوفد في أوائل الثلاثينات موجها لإحدى صحفه ، وهي جريدة (كوكب الشرق) . وكانت طريقة الدكتور ماهر هي طريقة المشاركة في كل أعمـال الجريدة سياسيا . . طريقة مسئول له مكتب بدار الجريدة ويباح لكل العاملين فيهـا بالرجوع إليه .

٣ — مكرم عبيد باشا :

حينما شكل مكرم عبيد حزب الكتلة عقب انفصاله عن الوفد في سنة ١٩٤٣ أصدر جريدة (الكتلة) وكانت طريقته في التوجيه طريقة إملائية — كان يملي بنفسه الأخبار والمقالات بواسطة التليفون من منزله . . وكان يلخص سياسة حزبه في جملة من سطرين تنشر كل يوم على رأس الجريدة بعنوان (حكمة اليوم) .

٤ — حامد جودة :

حينما شكل الماهريون حزبهم ، باسم الهيئة السعدية ، ثم أنشاوا له جريدة (الأساس) ١٩٤٧ اختاروا الأستاذ حامد جودة رئيس مجلس النواب موجها لجريدتهم . . وكان له بدار الجريدة مكتب يكتفى فيه باستقبال رئيس تحرير الجريدة ومدير تحريرها ، ولا يستقبل غيرها إلا عند الاقتضاء .

الموجهون المتطوعون :

يقابل هؤلاء الأربعة أربعة آخرون من رجال الأحزاب قد انطلقوا للنشر فى كل الصحف عن طريق صداقاتهم برجال هذه الصحف ، وهم :

١ — عبد الرحمن الرافعى .

قطب الحزب الوطنى الذى كان يعمل متطوعا فى صحف حزبه منذ كان طالبا بالحقوق على عهد مصطفى كامل ، إلى أن أصبح شريكا فى الرأى لأخيه أمين الرافعى فى جريدة الأخبار .

٢ — عبد الرحمن عزام :

كان فى صدر العشرينات من دعاة الوفد فى جميع الصحف . . إلى أن رأس تحرير جريدة (الكشاف) التى أصدرها صاحب الملايين أحمد عبود (باشا) سنة ١٩٢٦

٣ — نجيب الهلالى (باشا) :

كان فى الثلاثينيات وزيرا من وزراء الوفد السابقين . . وكلما كان خارج الوزارة اتخذ له مجلسا فى جريدة (الجهاد) التى أنشأها توفيق دياب .

٤ — دسوقى أباظة (باشا) :

منذ استقال دسوقى أباظة من وظيفته الحكومية فى سنة ١٩١٩ على أثر التحقيق الذى أجراه فى حادث عدوان الانجليز ، على بلدتى العزيزية والبدرشين وأدان فيه الانجليز ، انطلق إلى منبر الصحافة لينشر مقالاته السياسية المتتابعة ، بتوقيع (الغزالى أباظة) نسبة بلدته (غزالة) .

الموجهون الاقتصاديون :

شهدت العشرينيات والثلاثينيات طائفة من الصاحفين الذين نشروا لأول مرة الاهتمامات الاقتصادية على صفحات الصحف . . وكان فى المقدمة منهم .

١ — كامل عبد الرحيم :

الذى كان أول سفير لمصر فى موسكو ثم وكيلا لوزارة الخارجية .. لكنه كان من قبل المحرر الاقتصادى المتطوع لجريدة السياسة اليومية فى النصف الأول من العشرينيات .

٢ — عباس شوقى :

الذى كان أحد مديرى وزارة المالية . . لكن اهتماماته الصحفية قد جعلت منه المحرر الاقتصادى للتطوع لجريدة (السياسة الأسبوعية) فى النصف الثانى من العشرينيات .

٣ — الدكتور محمد أبو طائلة :

الذى كان مفتشا ثم مديرا للتعاون فى وزارة الزراعة . . لكن اهتماماته الصحفية جعلت منه كاتب الصفحة الاقتصادية بجريدة (كوكب الشرق) .

٤ — محمد هلال :

الرجل الذى كان يجمع بين أسوب الأديب وأسلوب الكاتب الاقتصادى . . وقد سبق هؤلاء جميعاً بمقالاته عن القطن . . القطن فقط . .

المرشدون الدينيون :

شهدت العشرينيات والثلاثينيات طرازا من الصاحفين الذين يصدرون فى توجيهم عن الإرشاد الدينى ، وكان أبرزهم أربعة :

١ — الشيخ محمود أبو العيون :

وكان له مكان خاص على صفحات (الأهرام) يتحدث فيه عن

خطر البغاء . . وقد أثار الشيخ أبو العيون ضجة كبرى حين نشر إحصاء مفصلا بالأرقام والعناوين عن بيوت الدعارة السرية .

٢ — الشيخ النفتازانى :

أول من كتب (حديث الصيام) يوميا على صفحات الأهرام . . لكن صلته بجريدة الأهرام كانت تسمح له بإملاء ما شاء من الأخبار عليها .

٣ — الشيخ عبد المتعال الصعيدى :

وكانت له صفحة خاصة فى جريدة (السياسة الأسبوعية) حينما كنت رئيسا لتحريرها منذ سنة ١٩٣٨

٤ — على عبد الرازق :

وليس شك أن أكبر وأشهر مصاحف من المرشدين الدينيين هو الأستاذ على عبد الرازق الذى فصل من الأزهر والقضاء الشرعى بسبب كتابه (الإسلام وأصول الحكم) فى العشرينيات فانطلق إلى كتابة المقالات الدينية ، لأول مرة بالمفهوم الحديث ، على صفحات جريدة (السياسة) .

المرشدون الفلاسفة :

يقابل هذا الرباعى عن المصاحفين رباعى الفلاسفة ، وهم :

١ — مصطفى عبد الرازق :

الذى كان رئيساً لقسم الفلسفة بجامعة القاهرة قبل أن يصبح وزيرا وشيخا للأزهر . . وقد بدأت مصاحفة مصطفى عبد الرازق منذ شبابه حينما أسهم بماله وتلمه فى إنشاء جريدة (السفور) سنة ١٩١٥

٢ — الدكتور منصور فهمى :

الفيلسوف الذى كان له مكان محدد فى بداية كل أسبوع إلى يسار الصفحة الأولى فى جريدة الأهرام لينشر فيه تعليقاته الفلسفية تحت عنوان (خطرات نفس) وكان أروع ما كتبه فى هـذا الباب مقال بعنوان (أنت أنت الله) على أثر وفاة أحد أبنائه .

٣ — أحمد أمين :

عميد الآداب الذى كانت له صفحات ثابتة من صفحات مجلة الرسالة التى أنشأها الزيات ، وقيل يوم إنشائها أنها تعتمد على قلمى الزيات وأحمد امين . .

٤ — إسماعيل مظهر :

أحد أعمدة الفلسفة خارج أسوار الجامعة من العشرينيات إلى الأربعينيات . . كان يملأ الصحف بمقالاته الفلسفية . . ثم كان له حيز خاص به على صفحات مجلة (الجديد) .

جماعات المنقبين :

وأقصد بأولئك (المنقبين) فريق الصاحفين الذين كانوا ينقبون عما وراء الأحداث والأخبار من جذور تاريخية . . وكانت لأولئك الصاحفين المنقبين ، وإن اختلفت بصماتهم الفكرية مدرستان : مدرسة العروبيين ، أى الذين يردون كل شىء على مسرح الأحداث إلى أصله فى اللغة العربية أو التاريخ العربى . . ومدرسة الاجتماعيين الذين كانوا يبلورون الأحداث بلورة تاريخية ذات صلات بالأسلوب الاجتماعى .

العروبيون :

١ — أحمد زكى (باشا) :

وليس شك أن أحمد زكى (باشا) كان الأستاذ الأول فى مدرسة العروبيين . . لقد كان يلقب بلقب (شيخ العروبة) . . وقد استقال من وظيفة سكرتير مجلس الوزراء فى العشرينيات كى يتفرغ للأبحاث العربية التى كان ينشرها بالتتابع على صفحات (الأهرام) .

٢ — محمد مسعود :

الذى كان مديراً عاماً للمطبوعات . . لكنه كان على صفحات جريدة الأهرام التوأم الفكرى لأحمد زكى (باشا) . . وكانت مساجلاتهما المنتظمة على صفحات الأهرام موضع الاهتمام .

٣ — وحيد الأيوبى :

وقد اشتهر بكتابة المقالات اللغوية على صفحات الأهرام . واشتهرت مقالاته باسم (الطقاطيق) لأنها لم تكن تتجاوز العشرين سطراً ، لكن الأهرام كانت تفرد لهذه (الطقاطيق) اللغوية مكانا يكاد يكون ثابتا فى بعض الفصول على صفحاتها الأولى .

الاجتماعيون :

١ — الدكتور صبرى السوربونى :

وهو أستاذ هذه المدرسة بغير منازع . . فلا أحد قد تخصص فى التاريخ الحديث من أبناء الجيل الأسبق كالدكتور صبرى ، وكانت كل غرف رؤساء التحرير تعرف صبرى السربونى — نسبة إلى تخرجه من جامعة السوربون .

٢ — راشد رستم :

وهو مثل للصاحف المخلص الدءوب . . فقد كان له مكان ثابت فى سهرات جريدة الأهرام ، وكان فى هذه السهرات يبادل المحررين الرأى فى كل شىء دون أن يكتب شيئاً إلا إذا لم يكن هناك من يحسن كتابته غيره .

٣ — لطفى جمعه :

كان محامياً فذاً جنت عليه الصحافة . فقد غلبت هوايته للصحافة على قدراته الدفاعية كأحد أقطاب المحاماة . . فما من حملة صحفية قامت للفكر أو الفن أو التاريخ إلا وكان له بمقالاته فيها النصيب الأوفى .



المذاهب الصحفية

هناك خطأ شائع فى كتابة تاريخ الصحافة المصرية .. وهو خطأ أبيض لا يتجنى على الواقع ، ولكنه لا يمثل كل الحقيقة .. هذا الخطأ الأبيض هو أن كل من كتب فى تاريخ الصحافة المصرية منذ ثورة سنة ١٩١٩ قد تناول تقسيم هذه الصحافة تقسيما قائماً على المذاهب السياسية وحدها .. وهو تقسيم صحيح ، لكنه تقسيم ناقص .. ناقص لأنه يربط بين الصحف والصحفيين وبين أحزابها وأحزابهم فقط ، مع أن التطور الصحفى ابتداء من هذا التاريخ كانت له معالم أخرى ، معالم يشترك فيها الصحفيون على اختلاف أحزابها .. وهذه المعالم تشكل مذاهب صحفية بحتة بصرف النظر عن المذاهب الحزبية أو غير الحزبية التى كانت تخدمها هذه الصحافة فى الثلاثين عاماً التى تبدأ من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٥٠ . وكما قسمت تاريخنا الصحفى فى مراحله الأولى التى تناولتها فى حلقة سابقة إلى ثمانية أبواب - فإنى أقسم المذاهب الصحفية التى ظهرت بعد ثورة سنة ١٩١٩ إلى ثمانية مذاهب أو على الأصح إلى أربعة مذاهب تقابلها أربعة مذاهب أخرى .

١ - مذهب المتطرفين :

لا شك أن ثورة الشعب فى سنة ١٩١٩ كان من أوليات انعكاساتها على المفكرين وحملة الأقلام ظهور أصحاب الأفكار .. المتطرفة بالنسبة

لما سبق هذه الثورة ، وإن أصبحت هذه الأفكار هى التى تجارى تحركات الشعب .. وكان أبرز المتطرفين فى صحافة الحزب الوطنى هو أمين الرافعى ، ويقابله فى صحف الوفد عباس محمود العقاد .

كان أمين الرافعى يرى ويكتب أن مجرد الاقتراب من الانجليز فى سياسة البلاد خطيئة .. وكان العقاد يرى أن مجرد المعارضة للزعامة السعدية خطيئة . . لقد بلغ من تطرف الرافعى أنه لم يكن يعارض الزعامة فحسب ، بل لقد كان يعارض أحياناً ، أقطاب الحزب الوطنى الذى كان يدين بمبادئه ، أما العقاد فقد بلغ من تطرفه أنه كان فى بعض مقالاته يلغى الكثير مما كان فى صفحات التاريخ قبل قيام ثورة سنة ١٩١٩ ، فلما انشق على زعامة الوفد فى منتصف الثلاثينيات اعتبر أن تفكيره السياسى هو الأصل وأن الزعامة الوفدية النحاسية هى التى خرجت على هذا الأصل .

ومع تطور الزمن وتطور الأحداث خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ظهرت مدرسة جديدة من المتطرفين تتمثل فى الصحفيين الشبان الثلاثة : الدكتور عزيز فهمى ، والدكتور محمد مندور ، والأستاذ يوسف حلمى عليهم رحمة الله ..

لقد كان الدكتور عزيز فهمى إبناً لرئيس مجلس النواب الوفدى المرحوم عبد السلام فهمى جمعة (باشا) ومع هذا فهو لم يتردد فى معارضة أبيه .. أما الدكتور محمد مندور فقد سلك طريقاً آخر ، فقد

شكل من بعض شباب حزبه تشكيلا جديداً باسم (الطليعة الوفدية) .. وقد سكت حزب الوفد على هذا التشكيل لأنه كان يفيد من تطرفه في معارضة الآخرين . . أما يوسف حلمى فقد انفصل عن كل التشكيلات التى كانت قائمة متجهاً إلى المفاهيم اليسارية الجديدة التى كانت قبل سنة ١٩٥٢ تعتبر فى قمة التطرف .

٢ — مذهب المعتدلين :

يقابل مذهب المتطرفين مذهب المعتدلين . . وكان هذا المذهب أظهر ما يكون فى الصحف غير الحزبية وبالذات فى جريدتى الأهرام والمقطم . . ففى أحداث ثورة سنة ١٩١٩ كان داود بركات رئيس تحرير الأهرام يدعو إلى عدم المبالغة .. فلما ثارت المظاهرات على هذه الدعوة وألقت الحجارة على نوافذ دار الأهرام — كتب داود مقاله المشهور بعنوان (آخر خدمة الغزعلقة) ولما أحس بأن فى هذا المقال شيئاً من التطرف المضاد وضع على رأس الأهرام شعاراً جديداً هو (الأهرام جريدة مصرية للمصريين) وقد خلفه على رياسة تحرير الأهرام ، تحت هذا الشعار ، أنطون الجميل الذى اتخذ فى الاعتدال أسلوباً أكثر عمقاً هو الامتناع عن الكتابة أصلا إلا حينما تكون هناك أحداث ينعقد الإجماع على الرأى فيها ..

أما جريدة المقطم فكان على رأسها فى التحرير خليل ثابت . . وكان خليل أبعد عمقاً . . فكان يبحث فى الأعماق عن الأشياء التى

تهم رجل الشارع فى غير السياسة .. فاشتهر بمقالاته الافتتاحية عن الأسعار والتموين وسائر نواحى العمران .

٣ — مذهب العاطفيين :

وليس شك أن الشعب المصرى بين الحربين العالميتين الأولى والثانية كان يعيش على عواطفه عيشة كان لها من يمثلها من حملة الأقلام .. وأحسب أن خير من مثل هذه العواطف فى صحف الجيل الأسبق هو الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى فى صحافة الوفد ، والشيخ عبدالعزيز البشرى فى صحافة الدستوريين .. لقد كانت مقالات هذين الكتابين قصائد منثورة لا تحرك عواطف القراء فقط بل تحرك عواطف الزعماء أنفسهم .. وقد بلغ من تأثر سعد زغلول بمقالات المنفلوطى أنه حين أشار بتعيينه فى وظيفة كبيرة وحين سمع من أحد مديرى المستخدمين أن المنفلوطى لا يحمل أية مؤهلات دراسية عليا أمسك سعد زغلول بمجموعة من كتب ومقالات المنفلوطى قائلا لمخاطبه : قل لى من الذى يحمل شهادات كهذه الشهادات ؟

أما البشرى فكان عالماً أزهرياً (قاضياً شرعياً) .. فلم تكن هناك غرابة فى تعيينه مديراً للمطبوعات ، ثم مراقباً للمجمع اللغوى .

٤ — مذهب العقليين :

يقابل مذهب العاطفيين مذهب العقليين وقد ظهر هذا المذهب بين سنتى ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ وبالذات بظهور جريدتى السياسة الدستورية والبلاغ الوفدية .. كان على رأس (السياسة) الدكتور هيكل .. وكان على رأس (البلاغ) عبد القادر حمزة .. وكان كلاهما على ثقافة

قانونية واسعة فكانت مقالاتهما الافتاحية قطعاً من المنطق الذى يحرك العقول والأفهام على الرغم من أن كلا منهما كان غارقاً فى حزبيته فكان رد كل منهما على مقالات الآخر متعة للمثقفين فى دنيا السياسة ..

٥ — مذهب السفوريين :

ولقد شهد المجتمع المصرى بين الحربين العالميتين الأولى والثانية حركة من حركات التحرير سميت بحركة (السفور) وأنشئت لهذه الحركة بالفعل جريدة باسم (السفور) فى سنى الحرب العالمية الأولى .. كان محرر هذه الجريدة ، عبد الحميد حمدى ، يعنى بسفور المرأة بعد حجابها الطويل فى الماضى .. لكن حركة السفور ما لبثت أن تطورت فشملت الاتجاه إلى السفور فى الفكر والفن والأدب والسياسة وكان إعلام هذا التطور : محمود عزمى الذى كان ينادى بلبس البرانيط وسلامة موسى الذى كان ينادى بالأدب السافر ومنيرة ثابت التى كانت تنادى بالاختلاط بين الجنسين فى كل التشكيلات الاجتماعية والسياسية.

مابقى من المذاهب الصحفية

تعمدت أن أختتم هـذا « الأرشيف الصحفى » بالحديث عن « المذاهب الصحفية » بالنسبة لمرحلة من مراحل الصحافة قد أصبحت تاريخاً ، وهى مرحلة ما بين سنتى ١٩٢٠ — ١٩٥٠ . . تعمدت هذا لأرفع الظلم الذى وقع على هذه المرحلة بتقسيم الصحافة فيها تقسيماً حزبياً فقط . . إن التقسيم لابد أن يكون تقسيماً فنياً يبرز ما للصحفيين من أثر مستقل عن زحف السياسات الحزبية فى هذه المرحلة . . ولقد أشرت فى الحلقة السابقة إلى خمسة مذاهب صحفية ، وبقيت من هذه المذاهب ثلاثة هى :

مذاهب المحافظين :

لقد كان هذا المذهب هو الحركة المضادة لمذهب السفوريين الذين نادوا بالسفور فى حياة المرأة وحياة الأدب والثقافة والسياسة أيضاً . .

كان المحافظون فى العشرينيات ينددون بالطفرة فى السفور النسائى أو الأدبى أو السياسى . كانوا يقولون أن سفور المرأة لا ينبغى أن يتعدى المعالم الوسطى فى وجه المرأة وأن تعليمها لا ينبغى أن يتعدى التدبير المنزلى والتدبير الصحى ليس غير . . كان من رأيهم أن الأدب ينبغى ألا يكشف عن سوءات الناس . . كفى أدباً فى رأيهم أن يكون

الإنتاج الأدبى متعلقاً بالعظات . مهما قيل فى جمود هـذا الرأى فى الأدب ، فهو على أية حال نداء ، أياً كان نوعه ، إلى الأدب الهادف . . وكان من رأيهم فى السياسة ألا تـكون مشغلة للناس جميعاً . . أن السياسة فى رأيهم كانت فرض كفاية لا فرض عين ، أى لا ينبغى أن يتعرض لها إلا الأكفاء فقط . .

ولقد كان من عمالقة هذا المذهب ، مذهب المحافظين الشيخ رشيد رضا منشىء مجلة المنار الذى كان دائم التحذير من خطر الاندفاع فى التجديد على العقيدة الدينية . . كان الشيخ رشيد رضا يرى أن يقف التجديد عند الحدود التى حددها الإمام الشيخ محمد عبده الذى أقام من نفسه خليفة له . .

وكان فى الصف الأول منهم محمد الهياوى الـكاتب الصحفى الذى كانت مقالاته على صفحات مجلة الـكشكول كالسياط فى ظهور دعاة التجديد السياسى . . كان الهياوى يرى أن التجديد السياسى لا ينبغى أن يخرج على تقاليد البلاد . . وكان ينافس الهياوى فى هذا الإتجاه حسن الشريف على ما بينهما من خلاف فى الثقافات ، فالهياوى كان فى قمة الثقافة الأزهرية وحسن الشريف كان فى قمة الثقافة «العصرية» لـكنه كان يسخر هـذه الثقافة الحديثة الواسعة فى مهاجمة الذين يحاولون الخروج على أصول الحـكم باسم الديمقراطية . . فـكانت مقالاته على صفحات « السياسة » محل إعجاب أنصار الوسط . .

مذهب الخطابيين :

لقد كان من آثار ثورة سنة ١٩١٩ ومشاركة المثقفين فيها مشاركة أساسية ظهور فئات لها كوادرها من الخطباء الذين يلهبون بخطبهم حماسة الجماهير . . وكان من أثر الثورة أن انعكست مفاهيمها الخطابية على صحف ما بين العشرينات والثلاثينيات على اختلاف نزعاتها الحزبية نتيجة لمشاركة عدد من نوابغ الخطباء والمتحدثين فى تحرير الصحف . . وكان أبرز أولئك الخطباء الكاتبين ثلاثة : توفيق دياب ، وطه حسين وزكى مبارك . .

كانت مقالات توفيق دياب خطباً مكتوبة ، بل لقد كان توفيق دياب إذا أراد أن يكتب مقاله الافتتاحى استدعى أحد معاونيه فيجلسه أمامه بينما يقف هو ليملى عليه فقرات مقاله وكأنه يلقى خطبة على الجماهير . . وكما كان توفيق دياب فى مواقفه الخطابية يتقدم ويتأخر أو يذهب ويجيء فوق منصة الخطابة — كذلك كانت تصدر عنه نفس هذه الحركات عند إملائه المقال .

أما طه حسين فإن أسلوبه الإملائى ، الذى يجمع بين طبيعته وبين مبتكراته الإلقائية كمحاضر ، كان هو نفس أسلوبه فى إملاء مقالاته ، أسلوب المحاضر الذى لا تفارق موسيقاه عباراته التى يمليها فى جلسته المعروفة . . فكان القراء يقرأون مقالاته السياسية وكأنهم يستمعون إلى محاضرة من محاضراته التحليلية الشيقة .

وأما زكى مبارك فقد نقل فى مقالاته على صفحات جريدة البلاغ التى كان يعنونها « الحديث ذو شجون » نفس الطريقة التى كان يخطب

بها طلاب الأزهر في سنة ١٩١٩ — طريقة إعداد أذهان السامعين ، أو القارئين ، للمعارك التي ظل زكي مبارك يخوضها على مدى العمر كله إلى آخر نفس فيه .

مذهب الساخرين :

إن مذهب « الساخرين » هو المذهب الثامن . أو المذهب الأخير في تقسيم المذاهب الصحفية بين العشرينات والخمسينات تقسيما فنياً لاطغيان للحزبية السياسية عليه . . لقد تعددت ألوان السخرية الصحفية في هذه المرحلة من تاريخ الصحافة . . كان بعض الكتاب الساخرين قادراً على أن يستخدم في سخرية أعلى مستويات الفصحى كالبشرى ، وبعضهم ينزل بسخريته إلى أعماق اللهجة الدارجة . كان بعضهم يعتمد على النظم وبعضهم يعتمد على النكتة ، كان بعضهم يستمد سخريته من الأدب القديم ، وبعضهم يعتمد على المبتكرات الحديثة .

وليس شك أن الأسلوب الساخر في الصحافة المصرية له جذور قديمة ترجع إلى مدرسة عبد الله النديم كاتب الثورة العرابية في أخريات القرن التاسع عشر ، وقد حاول أحمد حافظ عوض صاحب جريدة « كوكب الشرق » بين العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين أن يحيي هذا الأسلوب . فخصص في جريدته بابا للنقد الاجتماعي الساخر يحتمي فيه تحت توقيع مستعار هو « عوضين » . . لكن مجلة الكشكول « قد التقطت منه هذا الخيط وأفردت له الصفحات الطوال التي كان يكتبها نظما بالعامية المخلطة بالفصحى كاتب الفكاهة حسين شفيق المصري . . وكاتب شاب آخر جنى عليه الزمن هو المرحوم عزيز فهمي . وهو غير الدكتور عزيز فهمي .

فلما ظهرت مجلة « روز اليوسف » لتقف فى الطرف المضاد لمجلة الكشكول ابتكر كاتبها محمد التابعى أسلوباً جديداً فى السخرية السياسية يعتمد على التقاط الصفات الشاذة فى أى سياسى وإبراز هذه الصفات بالأسلوب الكاريكاتورى الجديد .

ولقد توسط فكرى أباظة بين هذين الأسلوبين فأنشأ على صفحات (المصور) المقالات التى تعتمد على النكتة المرسلة التى تضرب ولا تجرح .

وحول هذه الأساليب جميعاً ظهر أرقى أساليب السخرية وهو أسلوب المازنى . . لقد كان المازنى أديباً عملاقاً ، فاستطاع ان يتحول بمقالاته السياسية إلى قطع من الأدب ، لكنه الأدب الساخر . . ولم تقف سخرية المازنى على مقالاته السياسية فقط . . بل تعدتها إلى مقالاته الأدبية أيضاً ، لقد بلغ من سخريته ، وهو الإنسان الرقيق — رقيق النفس ورقيق الجسم معاً ، أن كتب يقول إنه وحده قد صارع فرقه من حملة (الشوم) فصرعهم جميعاً .

سباعيات المنسيين

أعترف بأنى أشعر بشيء من القلق ، لأن هذا الأرشيف لم يوف المنسيين من زملائنا السابقين كل حقهم .. إننى أوجه لنفسى فى هذه الخاتمة نفس النقد الذى وجهته لأقسام المعلومات فى دور الصحف لأن معلوماتها المستوفاة فى كل شيء لا يظهر عليها النقص إلا بالنسبة لأبناء المهنة أنفسهم .. وسأحاول فى هذه الحلقة أن أعالج جزئية صغيرة من جزئيات هذا النقص بالقدر الذى أقدر عليه . . سأحاول أن أجعل من هذه الحلقة الختامية عرضاً سريعاً غير ما سبق عرضه لبعض فئات المنسيين من زملائنا السابقين الراحلين .. وهذه الفئات فى نظرى ثلاث .. فئة الذين كانت الأضواء مسلطة عليهم فى حياتهم ، فلما انطفأت شمعة حياتهم انحسرت كل الأضواء عن أسمائهم .. وفئة الذين نذكرهم بعد مماتهم ذكراً خاطفاً وفى بعض المناسبات فقط . . وفئة الذين كان النسيان بالنسبة لهم كالأكفان التى لا شيء غيرها لمن فارقوا الحياة . . وعلى قدر طاقتى سأذكر من كل فئة سبعة وأنا استغفر الله عن تقصيرى وتقصير تاريخنا الصحفى بالنسبه للآخرين .

الفئة الأولى :

فئة الذين أحيطت أسماؤهم فى حياتهم بالهالات فلما ماتوا أحيطت هذه الأسماء بالصمت الرهيب — أذكر منهم :

١ — جورجى زيدان : إنه منشىء دار الهلال .. وليست دار الهلال هى سبب مجده فى حياته ، بل إن سلسلة القصص التى كتبها عن التاريخ الإسلامى ، وهو غير مسلم . كانت تجعله فى حياته محط أنظار المؤرخين وأساتذة الجامعات فى الخارج فضلا عن أنظار الأدباء والقراء فى الوطن العربى .

٢ — حبيب جاماتى : الزميل الذى كان محط الأنظار فى جميع المحافل العربية ومحافل المستشرقين باعتباره الكاتب الصحفى الذى نقل الكثير من الفكر العربى إلى اللغة الفرنسية .. لقد كانت مسلسلته عن (تاريخ ما أهمله التاريخ) مضرب الأمثال حتى لقد أصبح هذا العنوان من عناوينه اصطلاحا لغوياً .

٣ — داود بركات : الذى انتقل بجريدة الأهرام من مرحلة إلى مرحلة وهو رئيس لتحريرها .. فلطالما كتب مؤرخو الصحافة فى تاريخ جريدة الأهرام عن رؤساء تحريرها إلا بالقليل عن هذا الصحفى الذى كان أول رئيس تحرير للأهرام فتح أبوابها للتحركات الشعبية وأول من كتب على رأس جريدة الأهرام أنها (جريدة مصرية للمصريين) .

٤ — عبد العزيز جاويش : الذى يذكر له مؤرخو التطور السياسى فى مصر أنه كان أحد مجاهدى الحزب الوطنى دون أن يتناولوا بالتركيز دوره الصحفى كخليفة لمصطفى كامل على رياسة تحرير

جريدة (اللواء) مع أن جريدة اللواء قد شهدت عهد رياسته للتحرير من الحركة ما لم تشهده من قبل ولا من بعد .

٥ — عبد المجيد حلمى : الصحفى الشاب المصرى الذى أسس أول مجلة متخصصة فى شئون المسرح منذ خمسين عاماً .

٦ — منيرة ثابت : أول صحفية مصرية تصدر صحيفة يومية مصرية باللغة الفرنسية بجانب مجلتها العربية وهى (الأسبوار) .. لقد كانت فى صباها إذا أقبلت على أى محفل ولو كان من محافل الوزراء تركزت عليها كل الأضواء .

هند نوفل : أول فتاة مصرية أحدثت ضجة فى دنيا الصحافة حين أنشأت مجلة (الفتاة) .. ومتى ؟ فى سنة ١٨٩٢ .

الفئة الثانية :

فئة الصحفيين الراحلين الذين تظهر أسماؤهم .. أحياناً .. كأنها وميض خاطف سرعان ما يختفى وأذكر منهم :

١ — أحمد حلمى : الصحفى الذى تحمل وحده عذاب صحافة الحزب الوطنى تحت ظروف قيام الحرب العالمية الأولى . . لقد ذكرته نقابة الصحفيين . فأقامت له لوحة تذكارية .

٢ — أسعد داغر : مؤسس جريدة (القاهرة) فى سنة ١٩٥٣ ولقد ذكرته وأنا أروى تاريخ هذه الجريدة .

٣ — حسنى العرابى الصحفى الذى أسس فى شبابه . سنة ١٩٢٣ الحزب الشيوعى المصرى . . لقد ذكرته وأنا أتحدث عن هذه الواقعة . لكن كم عدد الذين يعرفون أنه كان شريك بيرم التونسى فى المنفى .

٤ — عبد الحميد حمدى . آخر من يذكر فى الحركة الفكرية الجديدة التى قامت بها جريدة (السفور) فى سنى الحرب العالمية الأولى مع أنه هو الذى أنشأ هذه الجريدة ورأس تحريرها .

٥ — عبد الله أبو السعود : لو لم تقم نقابة الصحفيين عيداً مئوياً لصحافة مصر الأهلية — أى غير الحكومية — فى سنة ١٩٦٦ لظل اسم عبد الله أبو السعود نسياً منسياً . مع أنه مؤسس أول جريدة سياسية أخبارية فى تاريخ هذه الصحافة الأهلية .

٦ — على الغاياتى : إنه مؤسس جريدة منبر الشرق — الجريدة العربية الثانية بعد جريدة العروة الوثقى التى ظهرت فى أوربا فى العشرينات ثم انتقل بها إلى القاهرة فى الأربعينات .

٧ — محمد المهياوى : الكاتب الصحفى الذى كان سعد زغلول نفسه يتمنى أن يكون من أنصاره . . لقد كان فى حياته الصحفية عملاقاً من عمالقة الصحافة بين سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٥٠ .

الفئة الثالثة :

فئة الصحفيين الراحلين الذين كفنهم النسيان مع أنهم كانوا من أولى الناس بالذكران . . وأذكر منهم : —

١ — أحمد وفيق . أكاد أكون واثقاً أن هذا الاسم يكاد يكون غريباً على أسماع الكثرة من القراء والصحفيين أيضاً مع أن أحمد وفيق كان أحد رؤساء تحرير صحف الحزب الوطنى بين خواتيم الحرب العالمية الأولى ومقدمات ثورة سنة ١٩١٩ فى الوقت الذى كانت هذه الصحف تصدر فى الصباح لتصادر فى الضحى ولتظهر فى اليوم التالى صحيفة غيرها . . لقد باع وفيق فى هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا الصحفى كل ما ورثه ، وكان شيئاً كثيراً ليواصل دفاعه عن مبدئه حتى اضطر أخيراً وبعد تشرد السنين أن يقبل وظيفة رئيس إدارة وقف قاسم باشا بمحافظة القاهرة . . ثم حرم من هذه الوظيفة وهو يدافع عن كرامته على فراش الموت فى نهاية الثلاثينات .

٢ — أسعد ولاية : أول صحفى أسس مدرسة التخصص فى أنباء البورصة وكانت جريدته (الجريدة التجارية) المدرسة التى خرجت غالبية شباب الصحافة الذين أصبح لهم هذا التخصص .

٣ — توفيق صليب : إنه إسم يذكر فى تاريخ الجهاد الوطنى فقط مع أنه عاش ومات صحفياً وحينما اشتد الخلاف بين الصحافة والحكومة فى معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ كان الحل الموفق لهذا الخلاف هو تعيين الصحفى توفيق صليب مديراً لرقابة النشر .

٤ — حسين شفيق المصرى : أحد شعراء الشعب الذين يتغنى الزجالون بأسمائهم . . أما فى دنيا الصحافة فإن النسيان يلف اسم حسين شفيق المصرى . . مع أننا إذا أردنا أن نؤرخ للصحافة الفكاهية فى مصر خلال الربع الثانى من القرن العشرين فإن هذا التاريخ يبدأ بحسن شفيق للمصرى .

٥ — فرج سليمان : أنا واثق أن اسم الصحفى فرج سليمان ليس معروفاً الآن إلا عند بعض القلة من الأحياء من أصحاب الصحف الأقليمية فقط . . مع أن الصحفى فرج سليمان هو صاحب أول خطوة جريئة فى الصحافة الأسبوعية المصورة . . خطوة إزالة الحرج من نشر صور الحسان فى المجلات . . لقد أنشأ لهذا الغرض مجلة (الحسان) التى كانت المجلة الصديقة لكل فتية وفتيات العشرينات . . ومع أن أسلوب هذه المجلة قد تفشى فى كل المجلات المصورة من بعد ، إلا أن صاحب هذا الأسلوب قد توارى اسمه مع الأبدية التى اختطفته من زمن بعيد . .

٦ — محمود رمزى نظيم : لقد كان ملء السمع والبصر بين الصحفيين منذ اشتراكه على عهد صباه فى الحركات الوطنية السرية قبل سنة ١٩١٠ إلى ان توفى بعد سنة ١٩٥٥ . . كان المحرر الأول فى صحافة الأزجال التى اختفت بانتهاء العشرينات . . وكان شيخ المندوبين فى الصحف اليومية فى الأربعينات وكان اسمه ملء الإذاعات بوصفه قطباً من أقطاب شعراء الشعب والزجالين . . ثم صار اسمه فى عداد المنسيين ، لكنه النسيان الذى يتفق مع صوفيته ، فقد كان الصحفى

للتصوف الأول الذى يعتقد برضى وإيمان ، أن كل شىء فى هذه الدنيا إلى زوال .

٧ — محمد صادق عنبر : إن أى صحفى من الجيل السابق علينا لابد أن يشعر بالحزن حين يجد أن الجيل اللاحق لا يعرف شيئاً عن (صادق عنبر) لقد كان صادق عنبر آخر من مثل مجد اللغة العربية بين مندوبى الصحف . . كان المندوب الممتاز لجريدة الأهرام الذى تتسابق الهيئات فى الرجاء بأن يكون هو الصحفى الذى يغطى أخبار تجمعاتها فى العشرينات . . فقد كان وصف صادق عنبر لهذه التجمعات قطعاً من الأدب تستحق الحفظ لما وهبه الله من فنون البلاغة التى استطاع ان يلحقها بصياغة الأخبار ولو أن عنبرا قد طال به العمر إلى عصر المجمع اللغوى لكان من أنجمه اللامعة .



الفهرس

فهرس الأعلام

فهرس السيدات

فهرس الصحفيين والكتاب

فهرس الصحف

الوطن
الوفد
الوقائع
جورنال الخديوى
خيال الظل
روز اليوسف
روضة المدارس
صوت الأمة

فتاة الشرق
مرآة الشرق
مصر
منبر الشرق
نزهة الأفكار
وادى النيل
يعسوب الطب

فهرس المواضيع

(رقم الإيداع بدار الكتب ٤٣٥٧ لسنة ١٩٧٥)

إقـرأ فـي
مطبوعات الشعب

■■ **مقدمة ابن خلدون**
عبد الرحمن بن خلدون

■■ **الامن القومى**
عميد/عبد الكريم نافع

■■ **تاريخ الطبقة العاملة المصرية ١٩١٩ - ١٩٢٩**
امين عز الدين

■■ **تاريخ الطبقة العاملة المصرية ١٩٢٩ - ١٩٣٩**
أمين عز الدين

■■ **الاغانى لابى الفرج الاصبهانى**
اشراف وتحقيق ابراهيم الابيارى

■■ **قضايا ومعارك ادبية**
محمد عبد الحليم عبد الله

■■ **اسماء الله**
احمد مخيمر

■■ **بعد التحية والسلام**
عبد الرحمن الابنودى

■■ **رسالة الى المسيح**
مصطفى بهجت بدوى

■■ **كتابات سياسية ١٩٦٥ - ١٩٧٠**
د . اسماعيل صبرى عبد الله

■■ **ثورة ١٩١٩**
عبد الرحمن الرافعى

■■ **حتى ننتصر**
السيد فرج

■■ **قراءة جديدة احادث ٤ فبراير**
جمال سليم

■■ **الملف السرى لحرب أكتوبر**
محمد جبر

■■ **وانطلقت المدافع بعد الظهر**
اللواء/عبد الحليم ابوغزالة

■■ **بشار بن برد**
ابراهيم المازنى

■■ **ميلاد شعب**
سعيد تيم

■■ **حكايات عن عبد الناصر**
عبد الله امام

■■ **حياة الناس فى البلاد الأخرى**
حسن جوهر

■■ **اطلس ثدييات العالم**
د . حسين زين الدين

■■ **علم الحيوان**
د . محمود البنهاوى وآخرون

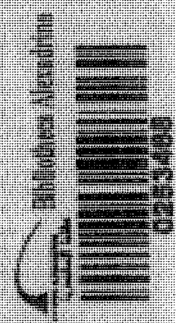
■■ **عجائب مخلوقات الله**
حسن جوهر

■■ **الدعاية الصهيونية فى أمريكا**
د . نادية سالم

■■ عندما يتحدث الأستاذ حافظ محمود ـ نقيب الصحفيين السابق ـ عن أسرار الصحافة فمن المؤكد أن حديثه سيكون ممتعا على طريقته الجذابة وبأسلوبه الرشيق الذي طالما أمتعنا به على مدار الفترة الطويلة التي مارس فيها الأستاذ حافظ محمود العمل الصحفي .

■■ وفي هذا الكتاب يقدم لنا الأستاذ حافظ محمود أحسن ما في حقبة هامة من التاريخ المصري بما حفلت به من أحداث سياسية واجتماعية وأدبية بالإضافة الى عرض الشخصيات التي عاصرها الكاتب خلال تلك الحقبة الهامة .

■■ ونحن اذ نرجو للقارىء رحلة ممتعة مع هذا الكتاب الذي يعتبر كوثيقة هامة تلقي مزيدا من الضوء على فترة هامة من فترات التاريخ المصري المعاصر ، نرجو لأستاذنا الجليل المزيد من الصحة وطول البقاء لكي يثري حياتنا بالمزيد من دراساته ومواقفه المخلصة الشجاعة .



الثمن ٧٥ قرشا